الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

أطروحة دكتوراه

مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)

الشعبة: أصول الدين

التخصص: التفسير وعلوم القرآن

جهود المفسّرين المغاربة في العناية بأصول التفسير دراسة تأصيلية تطبيقية

إعداد الطالب: خيرة شويـة

نوقشت بتاريخ [08 جويلية 2024] أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. ميلود عمارة	أستاذ تعليم عال	جامعة الوادي	رئيسًا
د. حمزة بوخزنة	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مشرفًا
د. منصر عباس	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مناقشًا
د. مختار قديري	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مناقشًا
د. نورة بن حسن	أستاذ تعليم عال	جامعة باتنة	مناقشًا
د. محمد بشير باي	أستاذ تعليم عال	جامعة الجزائر	مناقشًا

السنة الجامعية: 2024-2025م / 1445-1446هـ

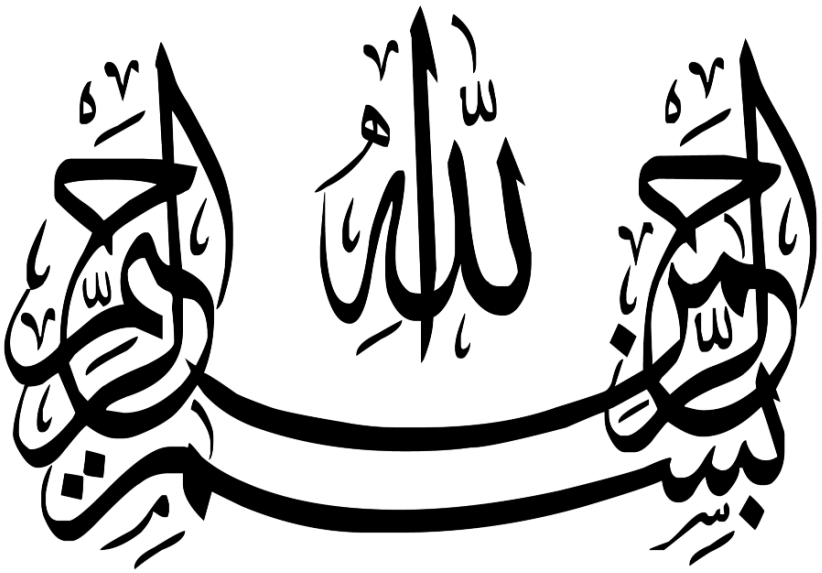
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أهدي هذا العمل والجهد إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وبارك فيهما،

وإلى قرة عيني أولادي: عبد الرحمن، رقية، أسامة، وأنفال،

والزوج الفاضل سليم بن قط،

كما لا أنسى إخوتي وأخواتي وأبنائهم، وكل الأهل والأحباب.

شكر وتقدير

يسعدني وقد أنهيت بفضل الله ومنّه إعداد هذه الأطروحة أن أتوجه بالحمد والشكر لله العلي القدير الذي أعانني، وأمدّني بالعزم والتصميم لإتمام هذا العمل العلمي، وقيض لي وللطلبة هذا الصرح العلمي: كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، التي تسعى جاهدة لإنارة السبيل للطلبة والباحثين، وإرشادهم إلى الطريق الصائبة في مجالهم العلمي.

ولا يفوتني هنا أن أخصّ بجزيل الشكر والعرفان، وعظيم الامتنان إلى من لم يبخل بوقته، وجهده، وتوجيهاته منذ اللحظة الأولى من إعداد هذه الأطروحة إلى أن خرجت بهته الصورة، الدكتور: **حمزة بوخزنة**، الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، فكان المقيل من العثرة، وباعث الهمّة والعزيمة في النفس كلما وهنت الخطوة، فنسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء، ويحفظه ذخرا وسندا لأهله ووطنه.

والشكر كل الشكر للزوج الكريم على سعة صدره وتفهّمه، فقد كان خير سند وخير معين.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذين: **محمد الصالح غريسي، ويوسف تريعة** الذيْن تحملا العناء في سبيل حصولنا على عدد من المصادر والمراجع المهمة للدراسة.

والشكر موصول كذلك لكل من أعاننا ولو بالدعاء أو الكلمة الطيبة.

فنسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يبارك جهود الجميع ويجعلها في ميزان حسناتهم.

والله ولي التوفيق.

ملخص الدراسة

لقد كان اهتمام علماء المغرب العربيّ بعلم التفسير بالغا، حيث كثرت المؤلفات فيه منذ القرون الأولى، والتي لها وزنها وقيمتها في الساحة العلمية، بينما تأخر ظهور أصول التفسير عن التفسير بعدة قرون، الأمر الذي يدعو إلى تقصي مدى حضور أصول التفسير في التفاسير المغاربية، وكذا مدى اهتمامهم بها، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن جملة من التساؤلات، وأبروها: ما هي أهمّ المرتكزات التي انبنت عليها أصول التفسير عند المفسرين المغاربة؟

وعليه جاءت الأطروحة بعنوان: **جهود المفسرين المغاربة في العناية بأصول التفسير دراسة تأصيلية تطبيقية**، وهذا بهدف المساهمة في وضع أطر أساسية لأصول التفسير من خلال تتبع تطبيقات المفسرين المغاربة لها في تفاسيرهم، مع محاولة الاستخلاص والتحليل لمختلف مباحث علوم التفسير وأصوله التي بَرَّزَ فيها المفسرون المغاربة، وكان لهم الدور الكبير في ظهورها، وهذا من خلال رسم مخطط الدراسة في: مقدمة، ومبحث تمهيدي لنشأة وتطور التفسير المغاربي واتجاهاته، والفصل الأول للتعريف بأصول التفسير، والفصل الثاني لاستمداد التفسير وأنواعه عند المفسرين المغاربة، والفصل الثالث لطرق التفسير وقواعده عند المفسّرين المغاربة، والخاتمة، والفهارس، ومن أهم النتائج التي توصّلت إليها: أنّ التفسير في المغرب العربي تميّز بتعدد اتجاهاته وتنوعها، كما أنّ للمفسرين المغاربة الفضل في إرساء المنهج الجامع أو الاتجاه الأثري النظري، وأنّ المكانة التي حظيت بها التفاسير المغاربية ليست من ضرب الصُّدَف، بل لاعتمادهم على أصول متينة ورصينة في التفسير، جنّبتهم الوقوع في الزلل، والتي من بينها اتباعهم لأحسن طرق التفسير، كما اعتمدوا على قواعد التفسير، سواء القواعد العامة، أو القواعد الترجيحية، مما أضفى على تفاسيرهم صبغة خاصة بهم، وتميزا، فكانت تفاسيرهم عظيمة جليلة، أشاد بها الكثير من العلماء.

Study summary

The interest of the scholars of the Arab Maghreb by the science of interpretation was immense, as there are many books on it since the first centuries, which have their weight and value in the scientific arena, However; the emergence of the principles of interpretation was delayed by severaly centuries after the interpretation, which leads to check the attendance of the principle interpretation in the Maghrebis interpretation, and how it was their interest by it through the attempt of answering series of questions, the main one is: What are the anchors that were constructed on the principle interpretation by the Maghrebis interpreters?

Thus, the thesis is entitled: **The efforts of Maghrebis interpreters in paying attention to the principles of interpretation an applied original study.** It came with the aim of contributing to the establishment of basic frameworks for the principles of interpretation by tracing Maghrebis interpreters' applications of them in their interpretations, while attempting to extract and analyze the various topics of the sciences of interpretation and its origins. In which the Maghrebis interpreters became prominent, and they played a major role in its emergence, and accordingly the plan of the study was drawn up in: an introduction, an introductory research for the emergence and development of Maghrebis interpretation and its trends, the first chapter for introducing the principles of interpretation, the second chapter for deriving interpretation and its types according to Maghrebis interpreters, and the third chapter for the methods and rules of interpretation forthe Maghrebis interpreters, the conclusion, and the indexes. Among the most important findings that I reached: that interpretation in the Arab Maghreb was distinguished by the multiplicity and diversity of its trends, and that the Maghrebis interpreters had the credit for establishing the comprehensive approach or the theoretical archaeological trend, and that the position that Maghrebis interpretations enjoyed was not a coincidence. Rather, they relied on solid and sober principles of interpretation, which kept them from falling into mistakes, which included their following the best methods of interpretation. They also relied on the rules of interpretation, whether general rules or preferential rules, which gave their interpretations a character of their own and distinction, so their interpretations were great and majestic, many scholars praised it.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

خلق الله سبحانه وتعالى البشر، وهو أعلم بما يصلح حالهم في الدارين الأولى والآخرة، فأرسل رسله وأنزل عليهم كتبه ليبّن للناس الطريق السويّ الذي عليهم اتباعه، وكان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، المنزّل على نبيّنا محمد ﷺ المعجزة الخالدة، فكان كتاب هداية للعالمين، ومنهاج قويم للحياة، فيه نبأ الأولين والآخرين، وبه الفلاح والسعادة والنجاة، فاعتكف عليه العلماء بالدراسة والتأليف، فما من فن من الفنون إلا وكتبوا وتألقوا وأبدعوا فيه، فازدهرت المكتبات الإسلامية، وزخرت بالكنوز العلمية.

ومن جملة العلوم التي حظيت بعنايتهم البالغة علم التفسير، لارتباطه الوثيق بالكتاب فهما واستنباطا، والمراجع للتراث الإسلاميّ عامة يلمس – على غرار الإسهامات المشارقية – اهتماما كبيرا من علماء المغرب العربي به، إيمانا منهم بأنه السبيل الأمثل للتقرب لله تعالى، فقدموا أعمالا جليلة ومصنفات عظيمة، حاولوا من خلالها تبيين مراد كلام الله عزّ وجلّ، حتى يتسنّى للناس اتّباع تعاليمه الحكيمة، خاصة مع ابتعادهم عن العصر النبويّ الشريف، وعصر الصحابة عليهم رضوان الله، وكذا قصور فقههم باللغة العربية، وقلّة زادهم فيها، ما أدّى إلى غياب كثير من معانيه عنهم، إضافة إلى ما استجد للناس من أمور دنياهم التي يحتاجون فيها إلى من ينير لهم الدرب القويم، حتى لا يزلّوا عن الطريق المستقيم.

ورغم كلّ هذا فإن التفسير ظلّ يفتقد لأصول التفسير التي كان ظهورها متأخرا عن التفسير بأشواط عديدة، فهي تضمن السلامة والقبول للتفسير، وصارت أصول التفسير ضرورة ملحة، وخاصة مع كثرة الانحرافات والفتن، فكان للمعاصرين دور فعّال في إرساء أسسه وقواعده الكفيلة بتحصين التفسير من كل خطأ وزلل، ومن الانحراف به عن جادة الصواب.

ومع احتفاء علماء المغرب العربيّ بعلم التفسير، وكثرة المؤلفات فيه منذ القرون الأولى، والتي لها وزنها وقيمتها في الساحة العلمية، وتأخر ظهور أصول التفسير عن التفسير بعدة قرون، الأمر الذي يدعو إلى تقصي مدى حضور أصول التفسير في التفاسير المغاربية، وكذا مدى اهتمامهم بها، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن جملة من التساؤلات، والتي من أهمّها:

1. هل كان للمفسّرين المغاربة اهتمام بأصول التفسير؟
2. ما هي أهمّ المرتكزات التي أنبنت عليها أصول التفسير عند المفسرين المغاربة؟
3. كيف كانت استفادة المفسّرين المغاربة من أصول التفسير؟ وبم تميّزت؟
4. هل كان للمفسّرين المغاربة دور في بعث روحٍ جديدة في التفسير من خلال الأصول التي اتّبعوها؟
5. هل كان لأصول التفسير دور في بناء المكانة العلمية التي حظيت بها التفاسير المغاربية على غرار غيرها من التفاسير ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها جاءت هذه الدراسة بعنوان:

جهود المفسرين المغاربة في العناية بأصول التفسير دراسة تأصيلية تطبيقية

وتتمثل أهمية الدراسة في كونها من الدراسات المساهمة في إرساء أسس ودعائم أصول التفسير.

كما تكمن أهمية الدراسة في التأصيل لأصول التفسير اعتمادا على استقراء التفاسير المغاربية، إذ تعدّ التفاسير أهمّ وأفضل مصدر لأصول التفسير، فهي ميدانها التطبيقي. وخاصة عندما نعلم أنّ أغلب المفسرين المغاربة لا يمكن عدّهم من زمرة المشاركين في التفسير، أو من المقلدين النقلة عن غيرهم من مفسري أهل المشرق، وإنما جاءت معظم تفاسيرهم مُؤَسّسة استجابة لوضع راهن ومنطلقات مختلفة اجتماعية ودينية وتربوية وإصلاحية ... تتصل اتصالا مباشرا بالواقع، مما أكسبها طابعا مغايرا في الاستنباط والبيان.

ولا ريب أنّ لهذا الاختلاف في التناول التفسيري تأثيرا على أصول التفسير، التي جاءت هذه الدراسة لتحاول إماطة اللثام عنها، وتكشف عن البصمة المغاربية في الدرس التفسيري.

وتهدف هذه الدراسة إلى إعطاء لمحة عن مسار التفسير في بلاد المغرب العربي، وكذا الكشف عن أصالة الدرس التفسيري عند المغاربة، والتعرف على أهمّ الاتجاهات التفسيرية التي ظهرت فيها، وإبراز مدى مساهمة المفسّرين المغاربة في خدمة التفسير، وإثرائه وتجديد مباحثه، والتأصيل له.

كما يتركز دور الدراسة في التأصيل لعلم أصول التفسير من خلال عدد من التفاسير المغاربية المتقدمة للعود به إلى جذوره الأولى، وأخذ أفضل تصور عنه، ومحاولة منا الكشف عن مباحث أصول التفسير التي عُني بها المفسرون المغاربة، في منجزهم التفسيري، ولتبرز الدور الذي لعبه هؤلاء في الاستفادة منها وضبطها، أو الإضافة عليها.

كما تهدف الدراسة للمساهمة في وضع أطر أساسية لأصول التفسير من خلال تتبع تطبيقات المفسرين المغاربة لها في تفاسيرهم، مع محاولة الاستخلاص والتحليل لمختلف مباحث علوم التفسير وأصوله التي بَرَّزَ فيها المفسرون المغاربة، وكان لهم الدور الكبير في ظهورها.

وأيضا التركيز على أهمية العناية بأصول التفسير ودورها في فهم النص وتقريبه للقارئ، كونها ليست مجرد مباحث تساق لبيان كثرتها وتنوعها فحسب دون تنوير الباحثين بدورها الوظيفي التفسيري الفعّال.

ونشير هنا إلى أنّ الدراسة ستكون للتفاسير المغاربية التي أُلّفت ابتداء لتفسير كتاب الله تعالى كاملا الموسومة بالتفسير المقبول بين القرنيين الثاني والخامس للهجرة، مع التركيز على المطبوع منها، والاستغناء عن المختصرات.

وبناء على هذا تحددت التفاسير التي ستدرس بإذن الله في: تفسير الإمام يحي بن سلام، وتفسير أحكام القرآن للإمام أبي العباس الباغائي، وتفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، كما ستكون الدراسة مقتصرة على المقدمة من كل تفسير، مع التنبيه هنا على أن مقدمة تفسير يحي بن سلام تُعدّ من المفقود، فاعتمدنا على ما ورد منها في مقدمتي تفسير هود بن محكم، وتفسير ابن أبي زمنين، كما اقتصرت الدراسة على تفسير ما يزيد عن الربع من القرآن الكريم من كل تفسير من هذه التفاسير، وهو من سورة النحل حتى سورة الصافات.

وما كان اعتمادنا على تفاسير القرون الأولى إلا محاولة منّا للوقوف على أصول التفسير من جذورها الأولى، والتأصيل لها، والسير معها عبر المحطّات الزمنيّة المختلفة.

ومما دفعنا للقيام بهذه الدراسة حبّنا لكتاب الله تعالى، ومساهمة في خدمته، ومحاولة السير على نهج العلماء السابقين الذين ما ادخروا جهدا في خدمة كتاب الله العظيم، حفظا وقراءة، وتفسيرا، وتصنيفا في شتى العلوم المرتبطة به، والخادمة له.

وكذلك الانتماء إلى القطر المغربي دفعنا للتنقيب عن جهد المغاربة في التفسير، وفي خدمة كتاب الله، وعن دورهم إزاء دور المشارقة في هذا.

وأما بالنسبة للدراسات السابقة، فلا توجد دراسة تطرقت لدراسة أصول التفسير من خلال تفاسير منطقة بذاتها، وخلال فترة زمنية محددة، ولكن تصادفنا رسالة دكتوراه بعنوان: جهود **العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير**، والتي يظهر من خلال عنوانها أنها مشتملة على دراستنا، وهي: أطروحة دكتوراه لعباس عبد الله بابكر، وإشراف الأستاذ الدكتور عمر يوسف حمزة، جامعة أم درمان، جمهورية السودان، 1439هـ/2018م.

وهي دراسة قيّمة حاولت جمع أهمّ موضوعات أصول التفسير من خلال ما كُتب فيه من كتب، وكذلك من خلال ما ورد من موضوعاته في مضآن أصول التفسير من: مقدمات بعض التفاسير، وبعض كتب علوم القرآن وغيرها.

إلا أن دراستنا تفترق عن هذه الدراسة من عدة وجوه، وهي:

- الإطار المكاني، إذ تركز دراستنا على المنطقة المغاربية.
- استقراء التفاسير، التي تعتبر أهمّ مصدر لأصول التفسير.
- التأصيل لأصول التفسير انطلاقا من تتبع تطبيقات المغاربة لها في تفاسيرهم، وكذا إبراز دور المغاربة فيها، وفي خدمة كتاب الله تعالى.

كما نجد العديد من الدراسات التي تتقاطع مع دراستنا في جزئية من الجزئيّات، كدراسة التفسير في بلاد المغرب العربي، أو دراسات تتعلق بأحد تفاسير الدراسة، ونذكر منها:

. جهود علماء المغرب العربي في تفسير القرآن الكريم من الفتح الإسلامي حتى العصر الحديث، أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، للباحث عبد الشكور محمد سعيد فكة، وإشراف مبارك محمد أحمد رحمة، من جامعة أم درمان الإسلامية، جمهورية السودان، لعام 1433هـ.

. مكانة يحي بن سلام البصري في التقسير، مقال للدكتور عبد المجيد محمد أحمد، لمجلة سرّ من راء، المجلد الأول، العدد الأول، 1436هـ/2005م، الصفحات 12- 29.

. اختيارات يحيى بن سلام الفقهية في التفسير . مسائل الحدود نموذجا . مقال للباحث الطيب الزاوي، إشراف الدكتور ميلود عمارة، لمجلة الشهاب، المجلد: 9، العدد: 1، 2023م، الصفحات 389- 404.

. أبو العباس المقرئ الباغائي الجزائري وجهوده في تفسير القرآن الكريم، مقال للأستاذ الدكتور مختار نصيرة، وللأستاذة الدكتورة حدة سابق، لمجلة الحضارة الإسلامية، المجلد: 20، العدد الأول، ماي 2019م، الصفحات 49- 70.

. منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية، أطروحة دكتوراه لعبد العزيز ناصري، إشراف الأستاذ الدكتور خير الدين سيب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1437هـ/2016م.

وهي دراسة جليلة استوفت العديد من الجوانب المهمّة في منهج الإمام مكي، وقد استفدنا منها.

. الاستنباط عند مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية جمعا ودراسة، رسالة ماجستير لناصر بن محمد الحمد، إشراف الأستاذ الدكتور محمد بن عمر بازمول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1438هـ.

وهي دراسة نفيسة إذ اهتمّت بجمع استنباطات الإمام مكي في تفسيره، والتي تمثّل جانبا من جوانب الاجتهاد عند الإمام.

. أصول التفسير عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة ماجستير لنجوى مناع، إشراف الدكتور محمد مغربي، جامعة الجزائر 1، 1437هـ/2016م.

وللوصول لأهداف الدراسة اعتمدنا على المنهجين الاستقرائي والوصفي المدعّمان بالتحليل للمادة محل الدّراسة النظرية والتطبيقية، كما تخللت الدراسة بعض المقارنات.

وقد قمنا بالاطلاع على عدد من الكتب المؤلّفة في أصول التفسير، للوقوف على أهمّ معطيات أصول التفسير، وأتبعناها باستقراء للتفاسير المقررة للدراسة، واستخرجنا منها كل ما له علاقة بأصول التفسير من تفسير بالقرآن، وتفسير بالسنة، وتفسير بأقوال الصحابة والتابعين، واستفادتهم من اللغة، واجتهاداتهم، وغير ذلك، ممّا مكّننا من وضع خطة للدراسة، ما فتئت تتغير

وتتعدل حتى رست على صورتها الأخيرة المكوّنة من: مقدمة، فصل تمهيدي، وثلاث فصول، والخاتمة، حيث اشتملت **المقدمة** على إشكالية الدراسة وأهميتها، والأهداف التي ترمي الوصول إليها، مع توضيح المنهج المتّبع لذلك، ووضع الأطر الحدودية للدراسة، مع إطلالة على الدراسات السابقة.

أما **الفصل التمهيدي** فكان عبارة عن لمحة تاريخية على التفسير في بلاد المغرب العربي خلال القرون الهجرية الخمس الأولى، مع التتبع لأهمّ المؤلفات التفسيرية والتعريف بأصحابها، وأهمّ الاتجاهات التي ظهرت فيها.

بينما كان **الفصل الأول** للتعريف بأصول التفسير، وأهمّيتها، ومسارها التاريخي، وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى.

ليكون **الفصل الثاني** البداية الفعلية للدراسة التطبيقية، وذلك بالتعرف على أهمّ العلوم التي اعتمد عليها المفسّرون المغاربة، وكذا أنواع التفسير عندهم. مع الإشارة هنا أن الجانب التطبيقي قد تخلل الفصلين السابقين.

لنتمّم **بالفصل الثالث** الذي نقف معه على طرق التفسير عند المفسّرين المغاربة، وكذا الاطلاع على أهمّ قواعد التفسير التي اتّبعوها عند تفسيرهم لكتاب الله العزيز.

لنختم **بالخاتمة** المشتملة على أهمّ النتائج، وبعض التوصيات.

. هذا وقد تمّ تخريج الآيات القرآنية في المتن، وإن تكررت الآية في نفس الصفحة فلا يعاد تخريجها، هذا مع كتابتها بالرسم العثماني اعتمادا على مصحف المدينة النبوية، برواية حفص عن عاصم.

. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، مع الاكتفاء بصحيح البخاري إن ورد فيه، وإلا فصحيح مسلم، وإن لم يرد فيهما خُرجت الأحاديث من المتون الحديثية التي وردت فيها، وذلك بالاكتفاء بذكر رقم الحديث، والجزء والصفحة التي ورد فيها الحديث.

. الترجمة لأغلب الأعلام المذكورين في الدراسة إلا المشاهير من الصحابة، وكذا المعاصرين من الأعلام، وكذلك الأعلام الوارد ذكرهم في ترجمة مفسّري الدراسة، والأعلام الوارد ذكرهم في أقول المفسرين في النماذج التفسيرية التطبيقية للدراسة.

. أما المادة العلمية المستقاة من مصادرها، فقد تم الإحالة إليها في الحاشية السفلية، وذلك بالاكتفاء بذكر اسم المصدر أو المرجع مع الصفحة، والرمز لها بـ ص، وإردافه برقم الصفحة، وإن كان الكتاب ذا أجزاء فيلحق به رقم الجزء/ رقم الصفحة، أما باقي معلومات الكتاب فستذكر كاملة في قائمة المصادر والمراجع.

هذا وقد يُختصر اسم الكتاب، فمثلا:

- ✓ البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، فنكتفي بالقول: البيان المغرب.
- ✓ تاج العروس من جواهر القاموس، فنقول: تاج العروس.
- ✓ التفسير واتجاهاته بإفريقية من النشأة إلى القرن الثامن الهجري، فنقول: التفسير واتجاهاته بإفريقية.
- ✓ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، فنقول: الديباج المذهب.
- ✓ رياض النفوس قي طبقات علماء القيروان وإفريقية، فنقول: رياض النفوس.
- ✓ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، فنقول: وفيات الأعيان.

. بذلنا جهدنا للابتعاد عن الحشو والإطناب، وجمع وعرض المعلومات بأسلوب مختصر، كما اكتفينا في الأغلب بذكر ثلاثة نماذج لكل مفسّر، هذا وقد تزيد أو تنقص وذلك في الأغلب بحسب طول النماذج أو قصرها أو لزيادة البيان.

. حاولنا في هذه الدراسة جاهدين الالتزام بالموضوعية، واتّباع المنهج العلمي الملتزَم به في مجال البحوث العلمية.

. أردفنا الدراسة بفهارس علمية للآيات القرآنية، وللأحاديث النبوية، والأعلام المترجم لهم، وكذا قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات حسب ورودها في الدراسة، كما رُتّبت المصادر والمراجع وفق الترتيب الأبجدي.

وقد استوقفتنا خلال فترة إعداد الدراسة عدة مطبّات، منها:

. خسارتنا لعام دراسي كامل، وذلك بتغييرنا لموضوع الأطروحة.

. وكذلك ما أصاب البلاد والعالم أجمع من وباء كوفيد 19 (كورونا)، الذي بسببه أغلقت الحدود، وتوقف السفر بين البلدان، مما أدى إلى تأخر حصولنا على مصادر أساسية للدراسة،

وكذا بعض الأطروحات، التي نعتبرها من الدراسات السابقة، بالإضافة إلى ما سببته هذه الجائحة من ضغوط أثرت على الحالة النفسية والاجتماعية التي انعكست بالسلب على سير الأطروحة.

. ومما نعتبره من المعيقات التي صادفتنا السعي الحثيث للتوفيق بيت المسؤوليات التي على عاتقنا من تربية الأولاد والقيام على شؤون العائلة، وكذا مواصلة العمل على الأطروحة والسعي لإكمالها في الحدود المطلوبة.

والحمد لله أولا وأبدا على ما أنعم من إتمام هذه الدراسة، وعلى ما يسّر لنا من مشرف متفان في عمله، رغم كثرة مشاغله، وتعدد اهتماماته، **الأستاذ الدكتور حمزة بوخزنة**، الذي لم يبخل بتوجيهاته القيمة، وآرائه السديدة، وملاحظاته الدقيقة، فكل الشكر والتقدير والاحترام له، وجزاه الله خير الجزاء، وبارك الله له في علمه وعمله.

ولا أزعم الكمال لما أنجزت من عمل، وحسبي أني بذلت جهدي للوصول لما قصدت من الدراسة والبحث، وأملي في من يقدم لي النصح والإرشاد، ومن يصحح لي الخطأ والزلل، فالكمال لله سبحانه وتعالى، فما كان من صواب وتوفيق فمن المولى عزّ وجلّ، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي ومن الشيطان، وأرجو الغفور الرحيم أن يعفو زلتي، ويوفقني للصواب في القول والعمل، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل التمهيدي

نشأة التفسير المغاربي واتجاهاته

ويتضمن ثلاث مباحث

- المبحث الأول: نشـــأة التفســـير في بلاد المغرب العربي وتطوره
- المبحث الثاني: المؤلفات التفسيرية المغاربية وترجمة مفسّري الدراسة
- المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في بلاد المغرب العربي

المبحث الأول: نشأة التفسير في بلاد المغرب العربي وتطوره

أخذ التفسير مكانة سامقة بين العلوم لارتباطه بكتاب الله العزيز، وبيان معانيه، وهو بذلك ملازم للفتح الإسلامي، لاحتياج الناس لبيان معاني كلام الله تعالى وفهم مقاصده، والقيام على حدوده.

المطلب الأول: التفسير مع الفتح الإسلامي

كانت بدايات التفسير للقرآن الكريم في بلاد المغرب العربي مع بداية الفتح الإسلامي على يد الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين، الذين كانوا على درجة عالية من الوعي لمقومات الفتح وأهدافه، فما كان همّهم إلا إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وما كان الفتح في منظورهم إلا فتح القلوب بالهداية والتعليم.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي لم يتم في فترة قصيرة كما اعتاد عليه المسلمون في فتح بلاد المشرق، فقد دام أكثر من ستين سنة، وهذا لكثرة ارتداد البربر، وصعوبة مراسهم، وطول مدة الفتح لم تشغل المسلمين عن الجانب العلمي الذي سار جنبا إلى جنب مع التقدم في الفتح، لأن نشر الإسلام كان الهدف الأسمى والأول لهذه الفتوحات، ولكن ساهمت في تأخر تعمق العلم وازدهاره.[2]

ومع هذا فقد شَرُفت المنطقة بدخول نخبة من الصحابة ﷺ ففي سنة سبع وعشرين من الهجرة أمر عثمان بن عفان ﷺ عبد الله بن أبي سرح[3] بغزو إفريقية[4]، وقد ندب الناس إلى هذه الغزوة، فخرج جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص496. جهود علماء المغرب العربي في تفسير القرآن الكريم: ص137.

2 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: 125/1.

3 . أبو يحيى، عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث، القرشيّ العامريّ، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أسلم قبل فتح مكة، وكان من كتّاب الوحي للنبي ﷺ، شهد فتح مصر، ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان، ولم يبايع لأحد، ومات بها سنة 36هـ، وقيل: قصد الرّملة بدل عسقلان، وقيل: بل شهد صفين، وعاش إلى سنة 57هـ، وقيل: سنة 59هـ. ينظر في: الإصابة في تمييز الصحابة: 93/4- 96. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 107/2. الأعلام: 88/4، 89.

4 . ينظر في: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: 31/1.

عمر بن الخطاب وأخواه عبيد الله وعاصم، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو ذر الغفاري، وخلق كثير، وكانت هذه الغزوة تسمى غزوة العبادلة.[1]

وكان مجموع من خرج مع عبد الله بن أبي سرح من مصر إلى إفريقية عشرين ألفا، وبعد تفوق المسلمين على أهل المغرب، وتصالحوا معهم على الجزية[2]، قصدوا مصر سالمين، وقد أقاموا بها سنة وشهرين.[3]

وهذا العدد وهذه المدة كفيلان لنشر تعاليم الدين الإسلامي في بلاد المغرب العربيّ، وغرس البذور الأولى لمختلف علوم الدين، وخاصة تفسير القرآن الكريم من قبل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما ﷺ ممن عُرفوا بالتفسير.

وأما ما بين سنة ثلاث وثلاثين للهجرة وسنة خمس وأربعين للهجرة توالت حملات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بعد ارتداداتهم، وكان للصحابة ﷺ تردُّدٌ وحضور فيها، وخاصة عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير[4]، "وكان لهذا التردد أثر كبير في نشر العلم، وذلك لأن هؤلاء قد عرفوا البلاد وطبائع أهلها، فَهُم أقدر على معرفة مداخلها وأصلح الطرق لنشر العلم بها، ولا شك أنه قد أصبح لهم بها أصحاب وتلاميذ"[5]، وخاصة أن غزوة ابن حديج[6] كانت سنة 45هـ وقد طالت مدة مكوثه بإفريقية، فهي لا تقل عن الأربع سنوات.[7]

1 . ينظر في: رياض النفوس: 15/1، 16.

2 . ينظر في: البيان المغرب: 32/1- 35.

3 . ينظر في: رياض النفوس: 27/1.

4 . ينظر في: البيان المغرب: 38/1- 40.

5 . التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص498. جهود علماء المغرب العربي في تفسير القرآن الكريم: ص139.

6 . معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة، أبو نعيم، وأبو عبد الرحمن الكندي، له: صحبة، ورواية قليلة عن النبي ﷺ، وروى أيضا عن: عمر، وأبي ذر، ومعاوية، حدّث عنه: ابنه عبد الرحمن، وعلي بن رباح، وسويد بن قيس التجيبي، وغيرهم، ولي إمرة مصر لمعاوية، ودخل إفريقية غازيا ثلاث مرات، وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهورة شريفة، وشهد وقعة اليرموك، توفي بمصر سنة 52هـ. ينظر في: رياض النفوس: 92،93/1. سير أعلام النبلاء:37/3- 40.

7 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: ص37، 38.

وكذلك في سنة خمسين من الهجرة " وصل عقبة بن نافع الفهري[1] إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين، فافتتحها، ودخلها، ووضع السيف في أهلها، فأفنى من كان بها من النصارى، ثم قال: إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزّا للإسلام إلى آخر الدهر... وفي سنة إحدى وخمسين شرع في ابتداء بناء مدينة القيروان، وأجابه العرب إلى ذلك، وكان من بينهم ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، وسائرهم من التابعين"[2]

هذا وقد اختط عقبة بن نافع موضع المسجد الأعظم بالقيروان، ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، واختلف الناس عليه في القبلة، بأنّ يقوّمها، ذلك أنّ أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشرق الشمس، إلى أن فرّج الله عليه ببيان موضع المحراب، واحتذى به جميع مساجد المدينة.[3]

وما يمكن استخلاصه من هذا الخبر، كثرة المساجد منذ الأيام الأولى لبناء القيروان، وبداية التعليم فيها.

ولا ريب في أن الصحابة والتابعين الذين قدموا مع عقبة بن نافع قد جلسوا للتدريس في القيروان، فقد مكثوا بها خمس سنوات كاملة، وهي مدة كافية لنشر وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية وغيرها.[4]

1 . عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري، نائب إفريقية لمعاوية وليزيد، وهو الذي أنشأ القيروان وأسكنها الناس، وكان ذا شجاعة، وحزم، وديانة، لم يصح له صحبة، شهد فتح مصر، واختط بها، حكى عنه: ابنه؛ الأمير أبو عبيدة مرة، وعبد الله بن هبيرة، وعلي بن رباح، وعمار بن سعد، وقد كان عقبة بن نافع مجاب الدعوة. قُتل سنة 63هـ. ينظر في: رياض النفوس: 97/1، 98. أسد الغابة في معرفة الصحابة: 57/4. سير أعلام النبلاء: 532/3- 534.

2 . البيان المغرب: 44/1.

3 . ينظر في: رياض النفوس: 12/1، 13. والبيان المغرب: 45/1.

4 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: ص51.

ومما يؤكد ظهور الكُتّاب في وقت مبكر في بلاد المغرب العربي عموما وفي القيروان خصوصا، ما رُوِيَ من أنّ سفيان بن وهب[1] صاحب رسول الله ﷺ كان يمر بالغِلمة بالقيروان، فيسلم عليهم وهم في الكُتّاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه.[2] وقد كان وجود سفيان بن وهب بالقيروان بين سنوات 60هـ، و78هـ.[3]

فكانت الانطلاقة في النشاط العلمي ببلاد المغرب العربي ببناء القيروان ومساجدها التي كانت مسرحا لتدريس العلم على يد الصحابة والتابعين الذين قدموا مع عقبة بن نافع، كما قام عقبة ببناء عدة مساجد بالمغربين الأقصى والأوسط، والتي كانت بلا شك مراكز تعليمية.[4]

وفي ولاية عقبة بن نافع الثانية على بلاد إفريقية والمغرب كله سنة 62هـ، قدِم للقيروان وكان معه خمسة وعشرون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ[5]، ثم خرج بأصحابه وبكثير من أهل القيروان إلى المغرب يفتحه الأول فالأول إلى أن انتهى إلى البحر المحيط، فأقحم فرسه فيه، وقال مقولته الشهيرة، ثم رجع قافلا إلى القيروان.[6]

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ قادة الفتح كانوا " يكلّفون من معهم من كبار الفقهاء والرواة من الصحابة والتابعين بنشر اللغة ومبادئ الإسلام بين البربر، وتفقيه من أجاب منهم إلى الدخول في الدين."[7]

فقد ترك عقبة بن نافع فيهم بعض أصحابه يعلّمونهم القرآن وشرائع الإسلام، ولم يدخل المغرب الأقصى أحد من الولاة غير عقبة بن نافع، وقيل إنّ أكثرهم أسلموا طوعا على يده،

1 . سفيان بن وهب الخولاني، يكنى أبا أيمن، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وحضر حجة الوداع، وشهد فتح مصر وإفريقية، وسكن المغرب، روى عنه أبو الخير مرثد بن عبد الله، وأبو عشانة، ومسلم بن يسار. توفي سنة 82هـ. ينظر في: معرفة الصحابة: 769/1- 771. رياض النفوس: 89/1- 91. أسد الغابة في معرفة الصحابة: 502/2.

2 . ينظر في: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: 151/1. معرفة الصحابة770/1. رياض النفوس: 91/1.

3 . ينظر في: معالم الإيمان: 151/1.

4 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: 129/1. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص50.

5 . ينظر في: البيان المغرب: 48/1.

6 ينظر في: رياض النفوس:34/1-39. البيان المغرب: 48/1-54.

7 . مدرسة الحديث في القيروان: 126/1.

ووصل موسى بن نصير[1] بعده، وترك وراءه سبعة عشر رجلا من العرب يعلّمونهم القرآن وشرائع الإسلام.[2]

كما تميّز بعض الصحابة عن غيرهم بتخصص معين بالقرآن الكريم، الأمر الذي سينعكس على التعليم في بلاد المغرب العربي، فهذا عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان من كتبة الوحي، وعبد الله بن الزبير كان عضوا في لجنة كتبة مصحف عثمان ﷺ، وعدد لا بأس به من الصحابة من حفّاظ القرآن، وعلى علمٍ بتفسيره كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وغيرهم.[3]

ومما يدل على بداية انتشار التعليم في وقت مبكر في المغرب العربي كذلك وصية عقبة بن نافع لأولاده[4]، " بأن لا يأخذوا الحديث إلا عن الثقات، وأن لا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن، لتدل على ظهور رواية الحديث وكتابته منذ هذه الفترة المبكرة في القيروان، مع مراعاة ضوابط الرواية وقواعدها."[5]

فتعليم القرآن قد كثر بالقيروان بعد تأسيسها وتعميرها، وكثرت المساجد والكتاتيب، واهتم العلماء برواية الحديث والتفسير وخاصة ما يتعلق منها بآيات الأحكام.[6]

والمصادر التاريخية لم تذكر شيئا عن الدور التعليمي للصحابة ﷺ ولربما ظروف الفتح وما كان من ارتدادات الأفارقة لم تساعدهم على الاستقرار للتعليم والتدريس أكثر، ولم تسمح لدورهم

1 . أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي بالولاء، فاتح الأندلس، كان من التابعين، نشأ في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، وخدم بني مروان، ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولاه إفريقية وما وراءها من المغرب، فأقام بالقيروان، وكان شجاعا عاقلا كريما تقيا، لم يهزم له جيش قط، روى عن تميم الداري، وحدّث عنه: ولده عبد العزيز، ويزيد بن مسروق، توفي ستة 97هـ. ينظر في: وفيات الأعيان: 318/5- 329. سير أعلام النبلاء: 496/4-502. الأعلام: 330/7، 331.

2 . ينظر في: البيان المغرب: 70/1.

3 . ينظر في: القراءات بإفريقية: ص28.

4 . ينظر في: رياض النفوس: 34/1، 35.

5 . مدرسة الحديث في القيروان: 125/1، 126.

6 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص68. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص498، 499. جهود علماء المغرب العربي في تفسير القرآن الكريم: ص139.

في التعليم بالظهور، ولكن برز دور التابعين في هذا الجانب، ومنهم: علي بن رباح اللخمي[1]، وأبو رشيد حنش بن عبد الله الصنعاني[2]، أبو سعيد كيسان المقبري[3]، وكل منهم كان له سكن بالقيروان، وانتفع بهم أهلها.[4]

ومن التابعين من تخصّص في التفسير واشتغل به، وما قصد بلاد المغرب إلا لنشر العلم بها، وهو عكرمة مولى حبر الأمة ابن عباس ﷺ، وقد حلّ بالقيروان في أواخر أيامه وهو في منتهى نضجه العلمي، وأقام بها، فالتف حوله كثير من طلبة العلم وأخذوا عنه ما رواه عن شيخه في التفسير، وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة.[5]

فكانت البدايات الأولى للتعليم في بلاد المغرب العربي، جنبا إلى جنب مع الفتح الإسلامي ليزداد الاهتمام بالجانب العلمي مع بداية عهد الولاة على المغرب العربي.

1 . أبو موسى علي بن رباح بن قصير اللخمي، الإمام، الثقة، كان فاضلا جليلا من كبار علماء التابعين، يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، ورَوَى عنه جماعة يكثر تعدادهم، من بينهم: : يزيد بن أبي حبيب، وحميد بن هانئ، وابنه موسى بن علي الذي أكثر عنه، قدم إفريقية غازيا مجاهدا، وسكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا، وانتفع به وتفقّه على يديه أهل القيروان، توفي علي سنة 114هـ، وقيل: سنة 117هـ. ينظر في: رياض النفوس: 119/1، 120. سير أعلام النبلاء: 101/5، 102.

2 . أبو رشيد حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة الصنعانيّ، تابعيّ، شجاع، من القادة، يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: علي، وابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد انتفع به خلق كثير، فممن يروي عنه: الحارث ين يزيد، وابن أنعم، وقيس ين الحجاج، غزا المغرب مع رُويفع، والأندلس مع موسى بن نصير، سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا، توفي بإفريقية سنة 100هـ. ينظر في: رياض النفوس: 121/1،122. سير أعلام النبلاء: 493/4. الأعلام: 286/2.

3 . أبو سعيد كيسان المقبري، المدني، كان من فضلاء التابعين، كان من الموالي فلم يعرف نسبه، ثقة، روى عن الصحابة كابن عمر، وأبي هريرة، وعن جماعة من المحدثين كيزيد بن أبي حبيب، وابن أنعم، سكن القيروان وروى عنه أهلها، توفي سنة 100هـ. ينظر في: رياض النفوس: 123/1، 124. الإصابة في تمييز الصحابة: 487/5، 488. الأعلام: 237/5.

4 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص66. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص496، 497.

5 . ينظر في: رياض النفوس: 145/1، 146. نشأة التفسير بتونس: ص67. وينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص497، 498.

المطلب الثاني: التفسير في عهد الولاة (96 هـ – 184 هـ)

وتوالى الولّاة على إفريقية وبلاد المغرب العربي، ولم يستتب الأمر فيها إلا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز[1]، حيث ولّى إسماعيل بن أبي المهاجر[2] على إفريقية، فكان خير أمير وخير والٍ، وما زال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه. وقد بعث معه عمر بن عبد العزيز تسعة من التابعين أهل علم وفضل، منهم: عبد الرحمن بن رافع[3]، وسعد بن مسعود التُّجيبيّ[4]، وغيرهما.[5]

ويمكن اعتبار هذه البعثة البداية الرسمية لتعليم البربر القرآن وتعاليم الدين الإسلامي[6]، إذ الاهتمام بالتعليم كان من قِبل الخليفة، على غرار ما كان في السابق من اهتمام بالجانب العسكري وحسب.

---

1 . عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص القرشي، الأموي، المدني، ثم المصري، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، السيد، أمير المؤمنين، الخليفة، الراشد، العادل. حدَّث عن: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، سعيد بن المسيب، وعروة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وطائفة غيرهم. كما حدَّث عنه جماعة كثر، توفي سنة 101هـ. ينظر في: سير أعلم النبلاء: 114/5- 148. الوافي بالوفيات: 312/22- 314.

2 . أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الدمشقي، مولى بني مخزوم، كان فقيا فاضلا ورعا، من العلماء الثقات، كان مفقه أولاد عبد الملك الخليفة، حدّث عن: السائب بن يزيد، وأنس بن مالك، وأم الدرداء، وجماعة، وروى عنه: الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن أنعم، وطائفة، استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين، سنة 99 هـ فأسلم على يديه جمهور كبير من البربر، سكن القيروان وتوفي بها سنة 132هـ. ينظر في: رياض النفوس: 115/1- 117. سير أعلام النبلاء: 213/5. الأعلام: 319/1.

3 . أبو الجهم، عبد الرحمن بن رافع التنوخي المصري، من التابعين الفضلاء، روى عن جماعة، منهم: عبد الله بنِ عمرو، وعقبة بن الحارث، وروى عنه: ابنه إبراهيم، وعبد الرحمنِ بن زياد بن أَنعم، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ولاه موسى بن نصير قضاء القيروان سنة 80 هـ، وهو أول من استقضي بها بعد بنائها، وتوفي فيها سنة 113هـ. ينظر في: رياض النفوس: 110/1. تاريخ الإسلام: 271/3. الأعلام: 306/3.

4 . أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي، كان رجلا فاضلا مشهورا بالدين والفضل، قليل الهيبة للملوك في حقٍ يقوله، لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو من العشرة الذين بعث بهم عمر بن عبد العزيز ليفقّهوا أهل القيروان، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم، وروى عنه جماعة، كعبد الرحمن بن زياد ابن أنعم. ينظر في: رياض النفوس: 102/1- 106.

5 . ينظر في: البيان المغرب: 76/1، 77.

6 . ينظر في: القراءات بإفريقية: ص39، 40.

"وقد ضمّت هذه البعثة جلّة من علماء التابعين الذين كان لهم دور حاسم في نشر العلوم الإسلامية، وخاصة ما يتعلق منها بأحكام القرآن وتفسيره ورواية الحديث."[1]

وكان استقرار البعثة في القيروان عاصمة بلاد المغرب العربي، وبنوا المساجد، والكتاتيب، وأقبلوا على نشر العلم بها، وانتفع بها أهل إفريقية، وطال مقام بعضهم بالقيروان حتى زاد على الثلاثين عاما.[2]

فالتعليم الديني بالمنطقة تدعّم ببعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز، الأمر الذي جعل سكان المغرب يتعلّقون بهم، ويقبلون عليهم في الأخذ من علوم الشريعة، والتفقه في الدين.[3]

ومن أبرز العلوم التي كانوا يتلقونها: " القراءات والتفسير، وعلوم القرآن وكل ما يتعلق بآيات الأحكام."[4]

وقد تخرج على يد هؤلاء التابعين علماء إفريقية الأوائل الذين نهلوا من معين معلّميهم، ليحملوا مشعل التعليم والتدريس في المنطقة بعدهم، ويأتي في طليعتهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت161هـ) الذي عُدّ أول مولود في الإسلام بعد فتح إفريقية، وقد توسّع في العلوم الإسلامية، وروى عن جماعة من التابعين بالمشرق، وأقام بمكة مدة ودرّس بها، وكانت له فيها مجالس مشهورة، وأقبل عليه سفيان الثوري[5] وأخذ عنه، ثم رجع إلى القيروان ودرّس بها.[6]

وبعد عزل إسماعيل بن أبي المهاجر، تراجعت الحركة العلمية في البلاد، إذ تولى أمر البلاد جماعة من الولاة لم يُؤثر عنهم اهتمام بالعلم، وساءت سيرتهم خلال فترة حكمهم، فكان هذا

1 . نشأة التفسير بتونس: ص68. وينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص499.

2 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: 126/1. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص499.

3 . جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي: ص11.

4 . نشأة التفسير بتونس: ص66، 67. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: 497.

5 . سفيان بن سعيد بن مسروق، الثوري، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، ثم خرج منها سنة 144هـ، فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا سنة 161هـ. له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير كلاهما في الحديث، وكتاب في الفرائض. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 229/7- 279. الأعلام: 104/3، 105.

6 . ينظر في: رياض النفوس: 152/1- 162. التفسير واتجاهاته بإفريقية: ص43. جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي: ص11.

سببا في وقوع الفتن، وشدة استياء البربر المسلمين من أفعالهم التي تناقض تعاليم الدين الإسلاميّ، الأمر الذي جعل عندهم قابلية للتمرد في الوقت الذي نادى فيه دعاة الخوارج بشعارات خادعة ظاهرها فيه بعض الحق وباطنها ينطوي على شر عظيم، كالمساواة بين المسلمين، ووجوب الخروج على الحكّام الظلمة، غير أنهم لم يستجيبوا لهم إلا بعد أن يئسوا من إمكانية تبليغ صوتهم بالشكوى إلى الخليفة، وهكذا اندلعت ببلاد المغرب العربي ثورات لا نهاية لها، ابتدأت سنة 122هـ، وتضافرت جهود الإباضية والصفرية للإحاطة بحكومة القيروان، وأصبح همّ الخليفة بالمشرق القضاء على هذه الثورات، فكان يرسل الجيش تلو الآخر، وقد دامت هذه الحروب أكثر من ثلاثين سنة، تمكّن الخوارج خلالها من الاستيلاء على القيروان مرّتيْن، إذ استولى عليها الصفرية سنة 140هـ لمدة سنة وشهرين، ثم وليهم بعدهم الإباضية لمدة سنتين، إذ قد أسس الصفرية دولتهم (المدرارية 140- 296هـ)، وأسس الإباضية دولتهم (الرستمية 161- 297هـ)، الأمر الذي أدى إلى تعطل الحركة العلمية نوعا ما، إذ كان للخوارج نشاط علمي على مذهبهم، فقاموا بكتابة العديد من المصنّفات على اعتقادهم، وقد وُجد في المقابل من اهتمّ بطلب العلم من أهل إفريقية وبرع فيه منذ وقت مبكر، إلا أنهم قلائل، مثل: جميل بن كريب المعافري[1].[2]

وفي أول عهد يزيد بن حاتم[3](155- 170هـ) تداع خطر الخوارج إلى الاضمحلال، وساد الهدوء والاستقرار، وقلت الحروب، ونشطت الرحلة إلى المشرق، وعاد الطلاب الأفارقة وقد

1 . جميل بن كريب المعافري، أبو كريب، قاض فاضل، كان مقيما بتونس، وولي قضاء القيروان سنة 132 هـ فحسنت سيرته. وثار جمع من (الصفرية) في أيامه فلما اشتد أذاهم خرج أبو كريب في ألف رجل لقتالهم، فالتقوا بظاهر القيروان في الطريق المؤدية إلى تونس، فقتل أبو كريب وجميع من معه، وهذا سنة 139هـ. ينظر في: الأعلام: 138/2.

2 . مدرسة الحديث في القيروان: ص58- 61، 63. بتصرف.

3 . أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة الأزدي، البصري، ولي إمرة مصر سنة 144هـ، ثم ولي المغرب مدة، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج في سنة 155هـ، ودخل مدينة القيروان في هذا التاريخ، فمهد إفريقية، وذلل البربر، وكان بطلا، شجاعا، مهيبا، شديد البأس، ولم يزل والياً بإفريقية إلى أن توفي بها سنة 170هـ بالقيروان. ينظر في: وفيات الأعيان: 321/6- 326. سير أعلام النبلاء: 233/8- 235.

برعوا في شتى العلوم، وكان أول من أدخل علم مالك[1]، علي بن زياد[2]، حيث روى الموطأ لأهل إفريقية، وفسّر لهم قول مالك، فأقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير لاعتماده على الحديث، لا سيما على رواية أهل المدينة وهم الصفوة من الصحابة والتابعين، الذين تعوّد أهلُ إفريقية على طريقتهم في العلم والتعلم بعيدا عن المسائل الكلامية التي جرّت عليهم الويلات، كما أدخل جامع سفيان الثوري الكبير والأوسط إلى إفريقية أيضا، وكذلك عبد الله بن فروخ[3] الذي رحل إلى المشرق، وسمع من الإمام مالك بن أنس، ومن سفيان الثوري، وابن جريج[4]، وهم أعلام في التفسير، وقد برع في الحديث والفقه، ثم عاد إلى القيروان فأقام بها يعلم الناس العلم، ويحدّثهم بسُنّة رسول الله ﷺ حتى انتفع به كثير، وهكذا دام الحال حتى في عهد خَلف يزيد بن حاتم، إلا ما كان من ثورة بعض الجند وخاصة في عهد محمد بن مقاتل العكي[5](171- 184هـ) الذي كان سيء السيرة،

1 . أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، المدني، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، توفي 179هـ، من مصنفاته: الموطأ. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 48/8- 135. الأعلام: 257/5، 258.

2 . أبو الحسن علي بن زياد من أهل تونس، كان ثقة، مأمونا، فقيها خيارا، متعبدا، بارعا في الفقه، سمع من مالك بن أنس، ومن سفيان الثوري، ومن الليث بن سعد، ومن ابن لهيعة، وغيرهم، وكان خير أهل إفريقية في الضبط للعلم، ولم يكن في عصره بإفريقية مثله، سمع منه البهلول بن راشد، وسحنون، وأسد بن الفرات، توفي سنة 183هـ. ينظر في: طبقات علماء إفريقية: ص251- 253. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 80/3- 84.

3 . عبد الله بن فروخ الفارسي، كان من شيوخ أهل إفريقية، قيل: ولد بالأندلس، وسكن القيروان، وكان ممن رحل في طلب العلم، فلقي بالمشرق مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وقد لقي أيضا أبا حنيفة، ولقي غير واحد ممن حمل عن سفيان، منهم زكرياء بن أبي زائدة، وكان يكاتب مالكا، وكان مالك يعرفه ويكاتبه بجواب مسائله، وكان ثقة في حديثه، وتعافى من القضاء لما ولي، وقد سمع عنه يحيى بن سلام، مات ابن فروخ بمصر سنة 176هـ. له كتاب في الرد على أهل البدع والأهواء. ينظر في: طبقات علماء إفريقية،: ص34- 37.الأعلام : 112/4.

4 . عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، وقيل: أبو خالد، الرومي مولى بني أمية، فقيه الحرم المكيّ، كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. توفي سنة 150هـ. ينظر في: الوافي بالوفيات: 119/19، 120. غاية النهاية في طبقات القراء: 418/1. الأعلام: 160/4.

5 . محمد بن مقاتل بن حكيم العكي، توفي بعد 184هـ، وكان رضيع هارون الرشيد العباسي. ولي إفريقية سنة 181 هـ، فقدم إليها وأقام بالقيروان، ولم تحمد سيرته، فقد ظلم وعسف، فخرج عليه تمام بن تميم التميمي، نائبه على تونس فزحف إليه، وبرز لملتقاه العكي، ووقع المصاف، فانهزم العكي، وتحصن بالقيروان في القصر، وغلب تمام على البلد، ثم نزل العكي بأمان، وتسحب إلى طرابلس، فنهض لنصرته إبراهيم بن الأغلب، فتقهقر تمام إلى تونس، ودخل ابن الأغلب

ولما اختلّت عليه الأمور عزله هارون الرشيد[1]، لينتهي به عهد الولاة ببلاد المغرب العربي، وليبدأ حكم الأغالبة.[2]

المطلب الثالث: التفسير في عهد الأغالبة والأدارسة

بدأ حكم الأغالبة في إفريقية (184- 296هـ)، ودام ما يفوق القرن من الزمان، ويعتبر عصرهم من أزهى عصور هذه البلاد في المجال العلمي، وفي مجال الحضارة والعمران والأمن والاستقرار.[3]

وممَّن برز في هذه الحقبة من العلماء واهتم بالتفسير يحي بن سلام* أسد بن الفرات[4]، فقد كان مع نشاطه في رواية الحديث والفقه يُسمِع الطلاب التفسير، وله مجالس في ذلك.[5]

القيروان فصلى بالناس وخطب وحض على الطاعة والألفة، ثم التقى ابن الأغلب وتمام، فانهزم تمام، واشتد بغض الناس للعكي، وكاتبوا الرشيد فيه، فعزله وأمر عليهم إبراهيم بن الأغلب. ينظر في: تاريخ الإسلام: 779/4. الأعلام: 107/7.

1. أبو جعفر هارون ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالريّ، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. بويع بالخلافة سنة 170هـ، فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحا، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعا كثير الغزوات، يلقب بجبّار بني العباس، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، توفي في " سَناباذ " من قرى طوس سنة 193هـ وبها قبره. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 286/9- 295. الأعلام: 62/8.
2. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص56- 58. بتصرف. وينظر في: شجرة النور الزكية: 130/2، 131.
3. ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: ص63.

* ستأتي ترجمته لاحقا في المتن

4. أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان الحراني ثم المغربي، الإمام، العلامة، القاضي، دخل القيروان مع أبيه في الجهاد سنة 181هـ، وكان أبوه من أعيان الجند، روى أسد عن مالك بن أنس (الموطأ) ، وعن: يحيى بن أبي زائدة، وجرير بن عبد الحميد، وغيرهم، وقيل: إنه تفقه أولا على الإمام علي بن زياد التونسي، وغلب عليه علم الرأي، وكان مع توسعه في العلم فارسا، بطلا، شجاعا، مقداما، مضى أسد أميرا على الغزاة من قبل زيادة الله الأغلبي متولي المغرب، فافتتح بلدا من جزيرة صقلية ، وأدركه أجله هناك سنة213هـ. ينظر في: طبقات علماء إفريقية: ص81- 83. ترتيب المدارك وتقريب المسالك291/3- 309. سير أعلام النبلاء: 225/10- 228.
5. ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص58.

ومما وصلنا من دروسه يُظهر صلابة الرجل في ردوده على أهل الأهواء وخاصة في مسألة رؤية الله وخلق القرآن.[1]

فقد ذُكِر أنّ أسد بن الفرات كان " يعرض التفسير فتلا هذه الآية: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: 13، 14]، فقال عند ذلك أسد: (ويحٌ لأهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله عزّ وجلّ خلق كلاما، يقول ذلك الكلام المخلوق: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: 14].)"[2]

كما أنه كان يوما يُقرَأ عليه من التفسير إلى أن قرأ القارئ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23]، وكان أحد المعتزلة جالسا بين يديه فقال له: يا أبا عبد الله، مِن الانتظار؟ وكان إلى جانب أسد نعل غليظ فأخذ بتلابيبه، وأخذ بيده الأخرى نعله، وقال: إي والله يا زنديق، لتقولنّها أو لأُبيّضنّ بها عينيك! فقال: نعم، ننظره.[3]

وذُكر أنه قيل لأسد بن فرات، إنك جئتنا بالرأي وتركت الآثار وما كان عليه السلف. فقال: أما علمت ... أن قول أصحاب النبي ﷺ هو رأي لهم وأثر لمن بعدهم، وكذلك قول التابعين هو رأي لهم وهو أثر لمن بعدهم.[4]

كما كثرت في عهد الأغالبة المكتبات الخاصة، ومنها: مكتبة سحنون[5]، وكانت تحتوي على كتب عظيمة، منها: جميع كتب عبد الله بن وهب، وهو راوية للتفسير عن الإمام مالك،

1 . ينظر في: التفسير واتجاهاته بإفريقية: ص44. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص501.

2 . طبقات علماء إفريقية: ص82.

3 . ينظر في: رياض النفوس: 265/1. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 301/3، 302.

4 . ينظر في: رياض النفوس: 266/1.

5 . أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، وأصله من الشام، كان جامعا للعلم، واجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهد في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة والترك، لا يقبل من السلطان شيئا، من شيوخه: ابن القاسم، وأشهب، سفيان بن عيينة، وابن وهب، وغيرهم. انتشرت إمامته في المشرق والمغرب. وسلم له الإمامة أهل عصره، واجتمعوا على فضله وتقديمه. صنّف المدونة، وعليها يعتمد أهل القيروان، وعنه انتشر علم مالك في المغرب. مناقبه كثيرة، وتوفي سنة 240هـ. ينظر في طبقات علماء إفريقية: ص101- 104. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 45/4- 88.

ومكتبة محمد بن سحنون[1] الذي بلغت مصنّفاته مائتي كتاب في جميع العلوم ومنها علوم القرآن، كما أنه كان هناك بيت الحكمة القيرواني، وكثرت في ذلك الوقت قصور الرباط، والتي كانت مع مهمتها الجهادية مراكز تعليمية هامة، وكانت كذلك منازل العلماء من المراكز العلمية التي ساهمت في نشر العلم، فكان للإمام سحنون حلقة عظيمة بداره، وكان لمحمد بن يحي بن سلام[2] المفسّر مثلها، وكان عيسى بن مسكين[3] يحدّث بكتب ابن وهب في منزله. كما تكثفت رحلة الأندلسيين إلى إفريقية، ومنهم: بقي بن مخلد[4] صاحب التفسير والمسند الذيْن لا نظير لهما.[5]

ولم يكن الازدهار العلميّ في تلك الفترة ناتجا عن تشجيع من الأمراء الأغالبة، إنما كان سببه حرص العلماء ومقدرتهم على الاستفادة من الظروف المتاحة لهم لنشر العلم، وإن استثنينا مسألة القول بخلق القرآن، نجد أن حكومة القيروان لم تكن تتدخل في الناحية العلمية، بدليل أن حلقات الإباضية والصفرية والمعتزلة كانت تُعقد في جامع عقبة لمدة نصف قرن في العهد الأغلبيّ، حتى جاء الإمام سحنون فشرّدهم، واستقرّ المذهبان المالكي والحنفي، ونشطت الحياة المسجدية، وكثر العلماء، وأقبل أهل إفريقية على التصنيف، فمثلا صنّف يحي بن سلام تفسيره وجامعه في

1 . ستأتي ترجمة لاحقا في المتن.

2 . محمد بن يحي بن سلام، المفسّر، المحدّث، الفقيه، ولد بالبصرة وانتقل في سنواته الأولى من عمره مع والده إلى القيروان، وكان تحصيله العلمي بها، فتتلمذ على والده وروى عنه تفسيره، وروى عنه محمد بن أبي داود العطار، وابنه يحي بن محمد، وقد كان ثقة نبيلا، توفي سنة 262هـ وقد كان عمره 82 سنة. ينظر في: طبقات علماء إفريقية: ص38. تراجم المؤلفين التونسيين: 52/3.

3 . أبو محمد عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي، المغربي، سمع من سحنون، وابنه جميع كتبه. كما سمع من غيرهما من الشيوخ في العديد من البلدان، كان من أهل الفقه، والورع وكان مهيباً، وقوراً، مأموناً، صالحاً، كثير الكتب في الفقه، والآثار. مات سنة 275هـ، وقيل سنة 295هـ. ينظر في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 331/4- 351. سير أعلام النبلاء: 573/13.

4 . أبو عبد الرحمن بَقِيّ بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي، وكان ورعا، فاضلا، زاهدا.سمع: من محمد بن عيسى الأعشى، ويحي بن يحيى. ورحل إلى المشرق فلقى جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين، وسمع: بإفريقية: من سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف وغيرهم جماعة. ملأ الأندلس حديثا ورواية، من مؤلفاته: تفسير القرآن، ومسند النبي ﷺ ليس لأحد مثله. توفي سنة 276هـ. ينظر في: تاريخ علماء الأندلس: 107/1- 109. سير أعلام النبلاء: 285/13- 296.

5 . ينظر قي: التفسير والمفسرون في غرب إفريقية: ص66، 67.

الحديث، ورتّب سحنون المدونة وذيّل مسائلها بالأحاديث، كما امتلأت الحصون والمحارس بالعلماء والعباد المرابطين.[1]

وكذلك الأمر بالنسبة لدولة الأدارسة في المغرب الأقصى فقد اهتمت بالعلم وبناء المساجد، وازدهرت الحياة العلمية بفاس، وقصدها الناس من الأندلس وإفريقية، وقد كان المذهب الاعتزالي ظاهرا في عهد الأدارسة والأغالبة ، وتمكن المعتزلة من الوصول إلى القضاء مرتيْن بالقيروان، وامتحنوا أهل السنة في مسألة القول بخلق القرآن، وقد قاوم الشعب الإفريقي الاعتزال أشد المقاومة، وصدرت الفتاوى عنهم والمؤلفات في الرد عليهم، وما زال أمرهم في تناقص حتى زال كلية بعد قيام دولة بني عبيد.[2]

المطلب الرابع: التفسير في عهد الشيعة الإسماعيلية (296 – 362 هـ) وما بعده

حرص العبيديون على مصادرة الفكر السنّي، وتعطيل شرائع الإسلام، وإماتة العلم الصحيح واضطهاد أهله، وبالرغم من كل الظروف قاوم الأفارقة، فتضامن علماء أهل السنة وعبادهم ومتصوفوهم، وتضافرت جهودهم لرد كيد العبيديين، وإخراجهم من أرض إفريقية، ومنعهم من أن ينالوا حصن السُّنة بالمغرب، والتف الشعب حول هؤلاء العلماء العاملين، الذين عُرفوا بتضحياتهم المثالية في سبيل الحق وتمسّكهم بالسنة، وأصبحوا هم القادة الحقيقيّين لشعوبهم.[3]

فرغم ما أحاط بهم من ظروف ومنعٍ من التحديث والإقراء في المساجد، لم يتخلوا عن مهمة نشر العلم، ففتحوا بيوتهم للطلبة، فقصدوهم للتلقي، حتى إن دار إسحاق السبائي كانت كالمسجد لكثرة من يؤمه من الطلبة، وكان أحمد بن يزيد الدباغ يُسمع في داره، وكذلك أحمد بن نصر الهواري، كما قاوم علماءُ السنةِ الرافضةَ بطريقة الجدل والمناظرة، وقد أفحموا فيها دعاة بني عبيد، وأقاموا عليهم الحجة، ودحضوا مزاعمهم بالبراهين القاطعة، كما دخلت القيروانَ على عهد العبيديين بعض المصنفات الحديثية الهامة، مثل: مصنف عبد الرزاق، والجامع الصحيح

1 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: ص68، 69.

2 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص62، 63.

3 . ينظر في: مدرسة الحديث في القيروان: ص77.

للإمام البخاري، وفي مقابل هذا قام بالتصنيف للباطنيين أبرز مفكّريهم: أبو حنيفة النعمان بن محمد[1]، فقد صنّف كُتبا عِدّة في فقههم، وكتابا في التفسير، هو أساس التأويل.[2]

أما الحكم في دولة بني حماد في المغرب الأوسط فقد كان تابعا للعبيديين، وولاؤهم للمذهب الإسماعيلي، إلا أنهم لم يتشدّدوا في مطالبة الناس بالتشيّع، لأنهم لم يكونوا متحمّسين للدعوة الإسماعيلية، غير أنهم لا يستطيعون الإعلان بذلك خوفا على سلطانهم، فانفسح المجال تدريجيا أمام العلماء لنشر السنة، وبذلك بدأت الحياة العلمية تعود إلى المساجد والكتاتيب شيئا فشيئا، حتى عجّت القيروان بالعلماء من جديد، وكثرت المصنّفات في مختلف فروع الشريعة، فقد ألّف ابن أبي زيد(ت386هـ) مصنفات عديدة في الفقه والحديث والرد على أهل البدع، وألّف القابسي (ت403هـ) في الحديث وأصول الدين، وغيرهما كثير.[3]

وما كانت معركة أهل السنة في العهد الذي سادت فيه مذاهب الإباضية والصفرية على المغرب العربي في أصالة وصحة النص القرآني، وإنما في التأويل البعيد لبعض الآيات المتعلقة بالأسماء والأحكام وباقي القضايا العقدية، أما في عهد التشيع في الدولة الفاطمية، اتخذت المعركة منحى آخر في الدفاع عن النص القرآني وإثبات تواتره، وعدم تحريفه كما يدعي الشيعة، وخوض معركة عدالة الصحابة وصدقهم، أما الأهم في القضية فهو الهجوم والنقض للتأويلات الباطنية لظواهر القرآن التي بالغ فيها الشيعة، وجعلوها من أركان العقائد، فحرّفوا بذلك النصوص لتستقيم مع عقائدهم الباطلة في عصمة الأئمة، وغير ذلك من التشريعات المنحرفة، كزواج المتعة، والزيادة في الأذان، ومخالفة المأثور من ميراث البنات.[4]

---

1 . النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمي، تولى قضاء القضاة للدولة العبيدية، فهو من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيروان، مولدا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية، توفي بها سنة 363 هـ، من تصانيفه الكثيرة: اختلاف أصول المذاهب، دعائم الإسلام. ينظر في: الأعلام: 41/8. معجم المؤلفين: 106/13، 107.

2 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص76، 77.

3 . ينظر في: المرجع نفسه: ص80.

4 . ينظر في: جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني: ص32، 33.

وما كان التخلص النهائي من أتباع العبيديين، والانتصار على الروافض وحصول البذخ والأبهة إلا على عهد آخر أمراء صنهاجة بالقيروان: المعز بن باديس (407- 449هـ)، فقد دام حكمه قريبا من نصف قرن، شهدت فيها الحياة العلمية بالقيروان عصرها الذهبي، وعادت البلاد إلى حظيرة أهل السنة والجماعة بصفة رسمية، وتوفرت فيها أسباب العمران والحضارة، ونفقت سوق العلم والأدب، وحمل الناس على مذهب الإمام مالك.[1]

وما كانت الوحدة المذهبية في الفقه والقراءة القرآنية بضربة لازب، بل هي محصلة جهود عديدة ومناظرات ومصابرات ومرابطات من علماء المالكية ضد بقايا الوجود الإباضي ثم الإسماعيلي الشيعي، ولم يطل القرن الخامس الهجري حتى ترسخت أصول هذه الوحدة التي تتخذ النص الشرعي قرآنا وسنة مرجعا لا محيد عنه في الفتوى والعمل والتخريج.[2]

وترجع غلبة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لعدة عوامل، من أهمها: المكانة العلمية والذاتية التي يحظى بها الإمام مالك في أذهان المغاربة، باعتباره وارث علم السلف من الصحابة والتابعين، وما اشتهر به من الزهد والصلاح ولزوم الحرم المدني، وقد شاع عندهم الأثر: (**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**)[3]، هذا فضلا عمّا للمدينة المنورة من هيبة في الذهنية الإسلامية، حيث كانت بمنأى عن نزاعات الأهواء وصراعات الفرق التي تموج بها الشام والعراق، وباعتبارها ومنطقة الحجاز بصفة عامة الوجهة الأولى في الطلب العلمي لكل الحاجّين والمعتمرين، فكان أكثر تلامذة مالك من الجهة الغربية من مصر وما يليها من المغرب العربي والأندلس.[4]

ولقد كان الخيار للأفارقة محصورا بين مذهبين المالكي والحنفي، فتجنبوا الحنفي لاشتهاره بالرأي، هذا الأخير الذي كان سببا في الفتن التي عاشها الأفارقة، وذاقوا من أصحابه الويلات،

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص81.

2 . ينظر في: جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني: ص7.

3 . سنن الترمذي: رقم: 2680، 344/4. وقال: « هذا حديث حسن.» وينظر في المستدرك على الصحيحين: رقم: 307، 168/1. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.»

4 . ينظر في: جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني: ص21، 22.

وأقبلوا على المذهب المالكي لاعتماده على الحديث، وموافقة ذلك ما في نفوسهم من التعطش إلى السنة.[1]

ومع هذا لم يكن الحقد الباطني ليسكت على عودة إفريقية للسُّنة، فأرسلوا إليها أعراب بني هلال وبني سليم . وكانوا ممنوعين من اجتياز نهر النيل لِما عُرفوا به من الإفساد في الأرض . فتسابقوا إليها وجرت بين الأعراب وبين المعز حروب كثيرة كانت الدائرة فيها عليه، وتمكنوا من دخولها سنة 443هـ فخربوها وأتوا على الأخضر واليابس، وتقاسموا مُدنها، وانقطع المير عن القيروان وتعطلت الأسواق، وأما الأمير الزيري فالتجأ إلى المهدية واتخذها عاصمة للدولة الضائعة التي استولى عليها النورمنديون سنة 1148م، ثم تم الفتح الإسلامي لها مرة أخرى على يد الموحدين الذين سحقوا القبائل الهلالية وطردوا النورمنديين وأسسوا مملكة لمدة ثلاث قرون، وبذلك انتهت حضارة القيروان التي كانت العاصمة الدينية والعلمية والسياسية لإفريقيا والمغرب، فقد أُجلي أهلها عنها، وتفرّق من بقي حيًّا من علمائها في الأمصار.[2]

ومن خلال هذه الإطلالة على الحياة العلمية ودروس التفسير في بلاد المغرب العربي في القرون الخمس الأولى، وما صحبه من ظروف، يتبيّن أن للمغاربة اهتمام بليغ بكتاب الله تعالى، وسنة نبيّه ﷺ، وقد كانت لهم جهود معتبرة في التفسير، وخاصة في مجابهة تيار الخوارج والاعتزال والتشيّع.

1 . التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص533.

2 . ينظر في: المرجع نفسه: ص81- 83.

المبحث الثاني: المؤلّفات التفسيرية المغاربية وترجمة مفسّري الدراسة

لقد كان للمغاربة عناية فائقة بكتاب الله تعالى، وبشتى العلوم المتعلقة به، وخاصة التفسير منها، فهناك مؤلفات معتبرة في التفسير لم تصلنا، وأما ما بين أيدينا وما وصلنا من تفسير للقرآن الكريم كاملا مطبوعا فيقابلنا:

المطلب الأول: تفسير يحيى بن سلام

وهو أقدم مؤلَّف تفسيري مطبوع بين أيدينا – رغم فقد جزء كبير منه- لمؤلِّفه يحيى بن سلام، وهو الإمام العلامة أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، البصري، الإفريقي، القيرواني، المفسّر، المقرئ، الفقيه، عالم بالحديث واللغة، له اختيار في القراءة عن طريق الآثار، وكان من الحفاظ، ثقة ثبتا، حتى أنه ما يسمع شيئا قط إلا حفظه، فكان إذا مر بمن يتغنى، يسد أذنيه لئلا يسمعه فيحفظه[1]، " وله مصنفات كثيرة في فنون العلم"[2]، ومن أهمها وأبرزها تفسيره القرآنَ الكريم كاملا، ولد بالكوفة سنة 124هـ، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونُسب إليها، ورحل إلى مصر ومنها إلى إفريقية، فاستوطنها[3]، وقد أدرك عددا من التابعين وأخذ عن العديد من المشايخ، منهم: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسعيد بن أبي عروبة، وقطر بن خليفة، وشعبة، والمسعودي، وحماد بن سلمة، وهمام بن يحيى[4]، وغيرهم كثير، فقد أُثِر عنه أنه قال: « أحصيت بقلبي من لقيتُ من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالما، سوى التابعين، وهم أربعة وعشرون، وامرأة تحدث عن عائشة رضي الله عنها.»[5]

1 . ينظر في: طبقات علماء إفريقية: ص37. رياض النفوس: 188/1. سير أعلام النبلاء: 396/9، 397. غاية النهاية في طبقات القراء: 325/2. طبقات المفسرين: 371/2. الأعلام: 148/8. معجم المؤلفين: 200/13.

2 . طبقات علماء إفريقية: ص37.

3 . ينظر في: الأعلام: 148/8.

4 . ينظر في: سير أعلام النبلاء: 396/9. غاية النهاية في طبقات القراء325/2.

5 . رياض النفوس: 188/1.

أما تلامذته فكُثُر، " روى عنه جماعة من المشرق والمغرب، وكان يقول: «كل مَن رويتُ عنه العلمَ فقد رَوى عني، إلا القليل منهم.»، ويُذكر عنه أنه قال: « روى عني من العلماء أربعة: مالك، والليث بن سعيد، وعبد الله بن لهيعة.»، ونسي الرابع."[1]

وقال: «كتب عني مالك بن أنس ثمانية عشر حديثا.»[2]

هذا وقد " أقام يحيى بن سلام بإفريقية أكثر من خمس عشرة سنة أخذ عنه فيها دون شك عدد كبير من أبناء القيروان وغيرها، ولكننا اليوم لا نعرف منهم سوى القليل، مثل: أبي داود العطار أحمد بن موسى بن جرير، وهو أحد الاثنين اللذين وصلنا تفسير ابن سلام عن طريقهما مرويا عن ابن سلام، أبي عبد الله إسماعيل بن رباح الجزري، أبي سنان زيد بن سنان، أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي الدغشي، أبي الربيع اللحياني، محمد بن قادم، محمد بن يحيى بن سلام، وهو ثاني من وصلنا تفسير ابن سلام عن طريقه مرويا عن أبيه يحيى مباشرة."[3]

وكانت وفاة الإمام يحيى بن سلام وهو قافل من الحجّ بمصر في صفر، سنة 200هـ رحمه الله.[4]

هذا وقد أُتّهِم الإمام بالإرجاء وهو بريء منه، ويرجع سبب اتهامه هذا كما رُوي أن "موسى بن معاوية الصماد حي أتاه، فقال له: يا أبا زكريا، ما أدركت الناس يقولون في الإيمان؟ فقال له: « أدركت مالكا، وسفيان الثوري، يقولون: الإيمان قول وعمل، وأدركت مالك بن مغول، وقطر بن خليفة، وعمر بن ذر، يقولون: الإيمان قول.» فأخبر موسى بن معاوية، سحنون بن سعيد بما ذكر يحيى بن سلام، عن عمر بن ذر، وقطر بن خليفة، ومالك بن مغول، ولم يذكر له ما قال عن غيرهم، فقال سحنون: هذا مرجئ."[5]

1 . المرجع نفسه: 188/1.

2 . المرجع نفسه: 189/1.

3 . القراءات بإفريقية: ص158، 159.

4 . ينظر في: طبقات علماء إفريقية: ص38. رياض النفوس: 189/1. سير أعلام النبلاء: 397/9. غاية النهاية في طبقات القراء: 325/2. الأعلام: 148/8. معجم المؤلفين201/13.

5 . طبقات علماء إفريقية: ص38.

كما ذُكر أن رجلا قال للإمام ابن سلام: " يا أبا زكريا، إنهم يقولون: إنك تقول بالإرجاء، فضرب يده على جدار القبلة، وقال له: « ورب القبلة ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط، كيف وقد حدثتكم أنه بدعة.».[1]

" وقد شهد العلماء ببراءته من الإرجاء، وبثقته في رواية الحديث وعلمه وفضله، وبكونه صاحب سنة.[2]

ومما ورد في تفسيره مما يؤكّد براءته من الإرجاء، وأنّه على طريقة السلف الصالح، نذكر:

1. قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: 32]: « الخليل بن مرة ذكره بإسناد قال: يقول الله: ادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم.

إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل الناجي، قال: قال رسول الله ﷺ: « الدرجة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد أن يختطف بصره، فيفزع لذلك فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان، فيقول: أخي فلان، كنا في الدنيا نعمل جميعا وقد فضل علي هكذا. فيقال له إنه كان أفضل منك عملا، ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى.».»[3]

2. وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل: 111]، قال: « أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء، قد استوفاها في الدنيا. وأما سيئاته فيوفّاها في الآخرة، يجازى بها النار.

وأما المؤمن فهو الذي يوفى الحسنات في الآخرة.

وأما سيئاته فإن منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهبت سيئاته بالبلايا والعقوبة كقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: 30]، ومنهم من تبقى عليه من سيئاته فيفعل الله فيه ما يشاء.

---

1 . المرجع نفسه: ص37.

2 . نشأة التفسير بتونس: ص77.

3 . تفسير يحي بن سلام: 62/1.

قال يحي: وبلغني أن منهم من تبقى عليه من سيئاته فيشدد عليه عند الموت، ومنهم من تبقى عليه منها فيشدد عليه في القبر، ومنهم من تبقى عليه منها فيشدد عليه في الموقف، ومنهم من يبقى عليه منها فيشدد عليه عند الصراط، ومنهم من يبقى عليه منها فيدخل النار فينتقم منه ثم يخرجه الله منها إلى الجنة.»[1]

3. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:79]: « سيبعثك ربك مقاما محمودا: الشفاعة.

- يونس بن أبي إسحاق الهمداني، عن أبيه، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان، قال: " يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة، عراة، كما خلقوا، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حتى يلجمهم العرق، ولا تكلم نفس إلا بإذنه، قال: فأول من يدعى محمد ﷺ، يا محمد فيقول: « لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت.»، ثم يقال له: اشفع، قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله.".»[2]

ويلي تفسير الإمام يحي بن سلام، تفسير هود بن محكم الإباضيّ[3]، وبعده التفسير الباطني لابن حيون أبي حنيفة النعمان بن محمد الشيعيّ.

" ولم يظهر مفسرون كبار قبل القرن الخامس الهجري، وقصارى الأمر كان رواية التفسير المأثور أو الوارد من كتب المشرق كتفسير الواحدي، أو تفسير عبد الرزاق، ... والعلة في ذلك راجعة إلى نفور مالكية المغرب الإسلامي من التفسير بالرأي تهيبا لمقام الكتاب العزيز، ولأن التفسير سيولجهم حتما إلى مناقشات غيرهم في دلالات الآيات، وهو ما كان المالكية يوصدون الباب أمامه، ولم يشذ عن هذا المسلك إلا القلة من العلماء الرافضين للتقليد الشديد."[4]

---

1. المصدر السابق: 94/1.
2. المصدر نفسه: 155/1، 156.
3. هود بن محكم الهواري، مفسر، فقيه إباضي، من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط. نشأ وتعلم بتيهرت، من آثاره تفسير للقرآن الكريم على مذهب الإباضية، توفي بعد 250هـ. ينظر في: معجم أعلام الجزائر: ص338.
4. جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني: ص44، 45.

ولعل السبب كذلك الظروف التي سادت بلاد المغرب العربي، إذ سيطر التيار الشيعيّ على بلاد المغرب العربي أزيد من نصف قرن من الزمن، ليعود مشعل التفسير لأهل السنة والجماعة مع بدايات القرن الخامس للهجرة، فنجد مثلا: تفسير أحكام القرآن لأبي العباس الباغائي، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي.

المطلب الثاني: أحكام القرآن

أحكام القرآن لأبي العباس الباغائي، وهو أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الربعي الباغائي[1]، ثم القرطبي، المقرئ، الحافظ، من كبار علماء المالكية في وقته. ولد في (باغاية)[2] سنة 345هـ، رحل إلى المشرق وسمع بمصر وغيرها. فمن شيوخه: أبو الطيب بن غلبون، وأبو بكر الأدفوي، وأخذ عنه أبو عبد الله بن عتّاب. دخل الأندلس سنة 376هـ، وأقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة. واستأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه فأقصاه. ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية (400 – 453هـ) إلى خطة الشورى بقرطبة فلم يطل أمره، توفي سنة 401هـ، وكان من أهل العلم والحفظ والذكاء، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في حفظ القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، ونحا في كتابه أحكام القرآن نحوا حسنا.[3]

1. لقد اختلف العلماء في نسبة الإمام أبي العباس إلى باغاية على ثلاث أوجه: الباغائي، الباغاني، والباغابي، ولعل الأصح من بينهم الباغائي، وذلك لورود هذه النسبة في كتابة، ولأن مولده كان في باغاية، وقد قوى النحويّون النسبة إلى مثلها بقلب الياء همزة بعد حذف التاء فتكون "باغائي". ينظر في: تفاسير آيات الأحكام ومناهجهم: 163/1.

2. بَاغايَة: مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجّانة وقسنطينية الهواء. معجم البلدان: 325/1. ولا تزال تسمى بهذا الاسم إلى الآن، وهي تقع في الشرق الجزائري، على بعد 15كلم من مدينة خنشلة، وهي اليوم تابعة إداريّا لدائرة الحامّة من ولاية خنشلة. ينظر في: أحكام القرآن للباغائي (مقدمة تحقيق): ص12.

3. ينظر في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 198/7. الديباج المذهب: 174/1، 175. طبقات المفسرين للداوودي: 53/1، 54. معجم أعلام الجزائر: ص361، 362. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: ص235.

المطلب الثالث: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية

ومن تفاسير القرن الخامس للهجرة نجد تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، وهو الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم القرطبي، المقرئ، المفسر، الفقيه، النحوي، اللغوي، الأديب، المتفنن، الإمام، العلامة، فهو من أهل التبحر والراسخين في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها، فهو من أوعية العلم مع الدين والسكينة، وكان خيّرا فاضلا، متواضعا، مشهورا بالصلاح وإجابة الدعوة، كان مولده بالقيروان سنة 355هـ، نشأ فيها، وبها بدأ تلقيه للعلم منذ نعومة أظافره، وقد وسافر إلى مصر وهو ابن 13 سنة، واختلف في مصر إلى المؤدّبين بالحساب، ثم رجع إلى القيروان واستكمل بها علومه، ثم نهض إلى مصر ثانية، بعد أن أكمل القراءات بالقيروان سنة 377هـ، فحج حجّة الفريضة عن نفسه، ثم عاد إلى القيروان، وبقى عليه شيء من القراءات، فعاد إلى مصر ثالثة في سنة 382هـ، فاستكمل ما بقى عليه، ثم عاد إلى القيروان سنة 383هـ، وأقام بها يقرئ إلى سنة 387هـ، ثم خرج إلى مكة، فأقام بها إلى آخر سنة 390هـ، وحج أربع حجج متتالية نوافل، ثم قدم من مكة في سنة 391هـ إلى مصر، ثم قدم من مصر إلى القيروان في سنة 392هـ، ثم قدم الأندلس في رجب سنة 393هـ، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، فانتفع به جماعات من الناس، وكان في كل رحالاته يلقى الشيوخ، ويأخذ عنهم، ويستدرك، ويستكمل، ولا يقصّر، واستمرت رحلاته في سبيل العلم مدّة 25 سنة، قضاها متردّدا بين القيروان، ومصر، والحجاز، والشام، وقد اجتمع له أثناء ذلك العديد من الشيوخ، منهم: أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني، وأبو الحسن علي بن محمد القابسي من القيروان، وأبو بكر محمد بن علي الأدفوي، وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون، وابنه طاهر، أبو عدي عبد العزيز بن الإمام من مصر، كما لقي من المحدثين والفقهاء بالمشرق جماعة، منهم: أبو الحسن أحمد بن فراس العبقسي، أبو القاسم السقطي، وأبو الفضل أحمد بن عمران الهروي، وعبد الرحمن بن علي العباسي، وأبو الحسن المطوَّعي، وأبو الطاهر محمد بن محمد العجيفي، وأبو الحسن بن زريق البغدادي، وأبو بكر أحمد بن إبراهيم المروزي، وغيرهم. وقد تصدر الإمام مكّي بن أبي طالب القيسي لتعليم القرآن وعلومه وعمره 28 سنة

بالقيروان، وبعد دخوله إلى قرطبة علا ذكره، واشتهر بالثقة والضبط، وحسن الأداء، والأمانة، وذاع صيته، وأقبل عليه طلاب العلم يأخذون عنه، فمِمَّن تتلمذ على يده ابنه أبو طالب محمد، ومن تلامذته كذلك ابن عتاب، وحاتم بن محمَّد الطرابلسي، وأبو الوليد الباجي، ويحيى بن إبراهيم بن البياز، وموسى بن سليمان اللخمي، وأبو بكر محمد بن المفرّج، ومحمد بن أحمد ابن مطرف الكناني، وعبد الله بن سهل، ومحمد بن محمد بن أصبغ، ومحمد بن عيسى بن فرج المغامي، ومحمد بن محمد بن بشير، وحازم بن محمد، وأحمد بن محمد الكلاعي. وقد كانت وفاة الإمام مكي بقرطبة سنة437هـ، وقد نيف على الثمانين سنة، كانت حافلة بالإنجازات والتصنيف والتأليف، إذ قاربت مؤلفاته المائة مؤلَّف، وكانت أكثرها في التفسير وعلوم القرآن وقراءاته، ومن أهمها: الهداية إلى بلوغ النهاية، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، الإبانة عن معاني القراءات، التبصرة في القراءات، الكشف عن وجوه القراءات، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مشكل إعراب القرآن[1]، وقد تم تحقيق العديد من مؤلفاته وطباعتها.

1 . ينظر في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 13،14/8. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ص254، 255. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ص597- 599. معجم الأدباء: 2712/6- 2714. إنباه الرواة على أنباه النحاة: 313/3- 319. وفيات الأعيان: 274/5- 276. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ص220، 221. سير أعلام النبلاء: 591/17، 592. الديباج المذهب: 342/2، 343. غاية النهاية في طبقات القراء: 270/2، 271. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 298/2. طبقات المفسرين للداوودي: 331/2، 332. شجرة النور الزكية: 160/1، 666. الأعلام: 286/7. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: 406/2- 408. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: ص1269- 1271.

كما قام بعض المغاربة باختصار تفسير الطبري[1]، وذلك لتيسير وصول مضمون الكتاب الأصلي للعامة، وممن قام باختصاره: أبو يحي محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي (ت419هـ)* ومحمد بن أحمد بن عبد الله ابن اللجالش** (ت490هـ).[2]

1 . أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام، العلم، المجتهد، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فقد أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة التصانيف، استقر في أواخر أمره ببغداد، حدَّث عنه خلق كثير، وتوفي سنة 310هـ، وقد خلّف التصانيف الجليلة، منها: أخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 267/14- 282. غاية النهاية في طبقات القراء: 96/2، 97.. طبقات المفسرين للسيوطي: ص95- 97. الأعلام: 69/6.

* محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح، أبو يحي التجيبي، الصمادحي، السرقسطي، من الولاة بالأندلس، ومع رياسته كان من أهل العلم والأدب والفضل، له اختصار في غريب القرآن استخرجه من تفسير الطبري، رواه عنه ابنه أبو الأحوص معن بن محمد، غرق أبو يحي هو وأهل المركب الذي ركبه قاصدا الحج في جمادى الأولى سنة 419هـ.ينظر في: تاريخ الإسلام: 311/9. التكملة لكتاب الصلة: 308/1. معجم المؤلفين: 275/8.

** أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الله المري، ويعرف بابن اللجالش، نحوي، أصولي، فقيه مالكي، له اشتغال في التفسير، من أهل المرية بالأندلس، رحل إلى المشرق واستوطن مكة، وأخذ عن الجويني وكريمة المروزية، وأخذ الناس عنه هنالك، له نختصر تفسير الطبري. ينظر في:الصلة: 563/2. معجم المفسرين: ص476..

2 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص524، 525.

المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في بلاد المغرب العربي

لقد تعددت المؤلفات في التفسير في بلاد المغرب العربي في القرون الهجرية الخمس الأولى، الأمر الذي انعكس على اتجاهات التفسير، والتي كانت متنوعة ومختلفة كذلك، فقد ظهر في بلاد المغرب العربي اتجاه التفسير بالرأي الباطل، كالتفسير الباطني، وهو تابع للظروف التي عاشتها هذه البلاد، فقد سادت فيها بعض المذاهب الخاطئة كالإباضية والصفرية وهما من الخوارج، كما رضخت هذه البلاد تحت الحكم الشيعي زمنا طويلا، ولهذا نجد تفسير هود بن محكم، الذي كان على المذهب الإباضي، والذي يعتبر اختصارا لتفسير يحي بن سلام، ولا يختلف عنه إلا في ما تدخّل به هود بن محكم في المواضع التي أراد فيها تأييد مذهبه اعتقادا وفقها.[1]

كما نجد تفسير أساس التأويل لابن حيون الشيعي، وهو من التفاسير الباطنية، والذي لم يتناول فيه تفسير القرآن الكريم كله، بل أخذ بعض الآيات التي ظهر له أنها تؤيد المذهب الذي يدعو إليه.[2]

أما بالنسبة لاتجاهات التفسير المقبول في المغرب العربي خلال هذه القرون الخمس فقد كانت متنوعة، بين الاتجاه الأثري، والاتجاه اللغوي والاتجاه الفقهي، مع ملاحظة تمازجها في التفسير الواحد، فهي متكاملة فيما بينها، ولا يمكن خلو أي تفسير منها، ومع هذا يمكن تمييز الاتجاه الغالب في التفسير.

المطلب الأول: الاتجاه الأثري

وهو أبرز الاتجاهات التي ظهرت في بلاد المغرب العربي، والذي يمثّله بقوة تفسير الإمام يحي بن سلام، الذي اعترف بعلمه وفضله العلماءُ، وكانت له ولتفسيره مكانة جليلة عندهم، فقال عنه أبو عمرو الداني: «كان ثقة ثبتا عالما بالكتاب والسنة وله معرفة باللغة والعربية.»[3]، وقال عن تفسير ابن سلام أنه لم يؤلِّف أحدٌ من المتقدمين مثله.[4]

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص808.

2 . المرجع نفسه: ص826.

3 . نقلا عن سير أعلام النبلاء: 397/9.

4 . ينظر في: المرجع نفسه: 397/9.

فكان الاهتمام بتفسيره عظيما، من بين ناقل عنه، وحافظ له، ومختصر، وقد شاع وذاع في كثير من الأقطار، ونقل منه كبار العلماء والمفسرين بين مُقِلّ ومُكثِر[1]، كالإمام الطبري في تفسيره[2]، ومكي بن أبي طالب القيسي في الهداية[3]، وعبد الحق بن عطية في تفسيره[4]، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن[5]، والسيوطي[6] في الإتقان[7]، وغيرهم.

كما اختصره عالمان أندلسيان، هما: ابن أبي زمنين[8]، وأبو المطرف القنازعي[9]، ولم يصلنا غير تفسير ابن أبي زمنين، الذي له أهمية كبيرة، إذ يساعد على تلافي ما لحق تفسير ابن سلام من نقص، وهناك كذلك كتاب ثالث يعتبر اختصارا لتفسير ابن سلام، وإن لم يصرح صاحبه بذلك، حيث إنه أحدث تغييرا ببعض النصوص العقدية لتوافق معتقده الإباضي، ألا وهو: تفسير هود بن محكم[10]، وقد قال محقق تفسير هود بن محكم: « واليوم وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد أن الشيخ هودا الهواري اعتمد اعتمادا

1 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص80. جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي: ص12.

2 . ينظر في: تفسير الطبري: 427/3.

3 . ينظر في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ص414.

4 . ينظر في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 387/3، 388، 492.

5 . ينظر في: الجامع لأحكام القرآن: 8/13، 123، 138، 251، 276، 290، 300، 305، 310، 313.

6 . أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد، المصري، الشافعي، المتبحر في شتى العلوم، نشأ بالقاهرة يتيما، وقرأ على جماعة من العلماء، من بينهم: علم الدين البلقيني، ومحيي الدين الكافيجي، وتوفي سنة 911هـ، وله الكثير المؤلفات، منها: الدر المنثور في التفسير المأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث. ينظر في: حسن المحاضرة: 335/1- 344. الأعلام: 301/3، 302. معجم المؤلفين: 128/5.

7 . ينظر في: الإتقان في علوم القرآن: ص45.

8 . أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي، الإمام المعروف بابن أبي زَمَنِين، نزيل قرطبة سمع وروى، كان عارفا بمذهب مالك متفننا في الأدب والشعر مقتفيا لآثار السلف، له كتب كثيرة منها: المقرب في اختصار المدونة ليس في مختصراتها مثله، توفي سنة 399هـ. ينظر في: الوافي بالوفيات: 260/3. الأعلام: 227/6.

9 . عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن أبو المطرّف، الأنصاري، القرطبي، الفقيه، المحدث، المقرئ، المفسر، المتفنن، العابد، الزاهد، الورع. المعروف بالقنازعي نسبة إلى صنعته، أخذ عن الأصيلي، وابن المكوي، وغيرهما، وروى عنه محمد بن عتّاب، وأبو عمر بن عبد البر، وغيرهم، من كتبه: شرح الموطأ، واختصار تفسير ابن سلام، توفي سنة 413هـ. ينظر في : طبقات المقسرين للسيوطي: ص64، 65. الأعلام: 337/3. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: 661/2، 662.

10 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص546، 547.

كثيرا، إن لم أقل اعتمادا كليّا على تفسير ابن سلام البصري، ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ هود الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك، وهذا هو عين الحقيقة والصواب، والأمانة العلمية تقتضي أن أجلو هذا وأبيّنه في تقديمي للكتاب.»[1]

وما كان هذا الاهتمام الكبير بتفسير الإمام ابن سلام إلا لأنه " أحدث نقلة هامة في تاريخ التفسير، فقد اتسم بالتعمّق في المنهج، وجمع في تفسيره بين الرواية والدراية."[2]

فالإمام ابن سلام يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري، فبالوقوف عليه يتضح كيف تطور التفسير عمّا كان عليه في عهد ابن جريج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مدينا له بذلك المنهج الأثري النظري الذي درج عليه في تفسيره العظيم، وتتبيّن مدى مساهمة المدرسة المغاربية في مسيرة تطور التفسير.[3]

وأما منهج الإمام يحي بن سلام في تفسيره عموما، فإنه" يذكر الآية ثم يسوق الأحاديث والآثار الواردة فيها بإسنادها إلى أصحابها، وربما علّق السند ولم يذكره كاملا."[4]

فهو يسير فيه على منهج المحدّثين في سرد الأخبار والآثار والأحاديث بسندها للنبي ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين، مع إيراده لكثير من الإسرائيليات في تفسيره، هذا مع عنايته الكبيرة بتفسير القرآن بالقرآن، والقراءات القرآنية لما لها من الأثر الكبير في العملية التفسيرية، سواء فيما تعلق بالجانب الإعرابي، أو بجانب المعاني المترتبة على الاختلاف في القراءات، كما أنه لم يهمل علوم القرآن، كبيان المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، كما برز اعتناءه بالمعاني اللغوية للألفاظ القرآنية، في ما يعرف بغريب القرآن، وكذلك في ما يتعلق بالاشتقاق والتصريف، كما كانت له عناية بالمسائل الفقهية المتعلقة بالآية مع إيراده لآراء العلماء والفقهاء، ومناقشته

1 . تفسير هود بن محكم (مقدمة التحقيق): 24/1.

2 أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير: ص202.

3 . ينظر في: التفسير ورجاله: ص27، 28. نشأة التفسير بتونس: ص72. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص507. جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي: ص12. الاتجاه الإصلاحي من خلال التفسير: ص18.

4 . التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص548، 549.

للأقوال، والترجيح فيما بينها، ويُبين اختياره، كما أنه يتعرض للمسائل العقدية التي تحويها الآيات القرآنية، ويورد أقوال أهل السنة وينصرها، ويضعف أقوال المبتدعة وأهل الأهواء، ويحذر منها، وبالجملة فإن كل الاتجاهات متجلية في تفسير الإمام يحي بن سلام، ولذلك يعتبر أول من وضع المنهج الأثري النظري، مُمهِدا بذلك الطريق للإمام الطبري بعده ليرسخ هذا المنهج ويطوره.[1]

ومع هذا فإن الاتجاه الغالب عليه هو الاتجاه الأثري، لاعتماده الشديد على الإسناد والرواية، وهي الطريقة التي دأب عليها المفسرون قبله وفي عصره، وهذا دون إغفاله لنقد الروايات ومناقشة الأقوال والترجيح والاختيار من بينها.

ليتطور هذا الاتجاه على يد الإمام مكي بن أبي طالب والإمام المهدوي بالاستغناء عن الإسناد خشية التطويل في المصنفات، مع الالتزام بنقل الصحيح من الأخبار[2] وقد ظهرت اتجاهات أخرى إلى جانب الاتجاه الأثري.

المطلب الثاني: الاتجاه اللغوي

الاعتماد على اللغة في تفسير القرآن الكريم كان منذ البدايات الأولى للتفسير، إلا أن ازدهار علم النحو بالبصرة في أوائل القرن الثاني، وما شكّله بصورته المقننة والمقعدة كمادة ضرورية للتفسير يُعتمد عليها في تحليل التركيب القرآني، وبيان مواقع المفردات بعضها من بعض، وما استقر فيها من روابط الإعراب، الأمر الذي جعل مفسري القرن الثاني يلجؤون إلى آثار البصريين الأولين ويستفيدون منها في التفسير[3]، فكان ذلك سببا أو دافعا لزيادة الاعتماد على اللغة في التفسير، وقد كان هذا الأخير ظاهرا في تفسير الإمام يحي بن سلام.

كما تزايدت عناية المغاربة بتعلم اللغة العربية، حتى أصبح لبلاد المغرب العربي علماؤه في اللغة والنحو، الذين اشتهروا وفاقوا أئمة المشرق، ومنهم من اشتهر بالتفسير كأبي عثمان سعيد بن حداد (ت302هـ)، وكذلك أبو القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان(ت346هـ) الذي يُعد إمام الناس في النحو وكبيرهم في اللغة، قيل إنه فاق المبرد وثعلبا وابن النحاس في هذا المجال، ليزداد

1 . جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي: ص16، 31، 32. بتصرف. وينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص81، 82,

2 ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص72.

3 . ينظر في: التفسير ورجاله: ص26.

ظهور الاتجاه اللغوي والاعتماد عليه في تفسيرات القرن الخامس للهجرة، كالإمام أبي العباس المهدوي الذي خصص قسما هاما من تفسيره إلى الناحية الإعرابية واللغوية في القرآن.[1]

ومن المبرّزين في الاتجاه اللغوي، الإمام مكي بن أبي طالب، و**تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية** من التفاسير القيّمة، وقد كانت الاستفادة منه جليلة، إذ رجع إليه العديد من كبار المفسرين من بعده ونقلوا أقواله، واستشهدوا بها، وناقشوه[2]، كالإمام ابن عطية في تفسيره[3] وكان كثير التعقب للإمام مكي، والإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن[4]، والإمام ابن جزي الكلبي[5] في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل[6]، والإمام أبي حيان في تفسيره البحر المحيط[7]، وغيرهم.

والإمام مكي بن أبي طالب كان متفننا بارعا في شتى العلوم، الأمر الذي انعكس على تفسيره، فكان مشتملا على مختلف اتجاهات التفسير مع بروز الاتجاه الأثري، والاتجاه اللغوي عليه، ويمكن اعتبار تفسيره " تفسيرا نحويا لغويا يهتم بالأثر ويعنى كثيرا بالقراءات."[8]

وطريقته في التفسير تعتمد على بيان المكي والمدني بإيجاز، ثم تقسيم السورة إلى وحدات أو مقاطع، أو مجموعات، ثم يقسم الوحدات إلى آيات أو جزء من آية، فيذكر أول آية المجموعة وآخر جملة من الآية الأخيرة فيها، وأحيانا أخرى يعمد إلى آية واحدة فيذكر أولها، وهو في كلتا الحالتين لا يذكر النص القرآني كاملا، وأحيانا يعمد إلى جزء من آية، ثم يبدأ بذكر التفسير الإجمالي غالبا، وإن كان في الآية أكثر من قول فإنه يفسّرها على ما تحتمله من أقوال، معتمدا

1 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص72-74.

2 . ينظر في: منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية: ص118.

3 . ينظر مثلا في: المحرر الوجيز: 425/5.

4 . ينظر مثلا في: الجامع لأحكام القرآن: 394/1.

5 . أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، الغرناطي، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى علم الأصول. توفي سنة 741هـ. ينظر في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 88/5، 86. الأعلام: 325/5. معجم المؤلفين: 11/9.

6 . ينظر مثلا في: التسهيل لعوم التنزيل: 112/2.

7 . ينظر مثلا في: البحر المحيط: 264/1.

8 . التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص611.

على التفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ثم يبدأ ببيان المفردات وأصولها اللغوية واشتقاقاتها، وما يتعلق بذلك من تحليل التراكيب والجمل، وبيان القراءات واللغات والتصاريف، وهو في كل ذلك ينقل عمّن تقدمه من المفسرين، فيقبل ما يقبل ويرد ويرجح ويستنتج في إطار اللغة وقواعدها، كما يورد الأحكام الفقهية التي تتعرض لها الآيات القرآنية، معتمدا على آراء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء، ومتبعا أقوالهم بالمناقشة والترجيح والاختيار، كما أنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة في معتقده، فكثيرا ما يردّ على أهل الأهواء والبدع، وأصحاب الفرق المنحرفة، كما كانت له عناية كبيرة بعلوم القرآن وبيان أسباب النزول والملابسات التاريخية التي لها الأثر على تفسير النص القرآني، وهو في كل ذلك يتحدث بأسلوب سهل، وعبارة واضحة، بعيدة كل البعد عن التعقيد.[1]

لقد كان الاهتمام بمختلف علوم اللغة ومباحثها واضحا وجليا في التفاسير المغاربية، مسايرا الاتجاه الأثري كما كان لهم الاهتمام بالجانب الفقهي.

المطلب الثالث: الاتجاه الفقهي

ظهر الاتجاه الفقهي في بلاد المغرب العربي، وهو الاهتمام بآيات الأحكام، الآيات التي تتضمن التشريعات المتعلقة بالعبادة والمعاملات، وقد كانت محل اهتمام من قِبل الفقهاء والمحدثين والمفسرين لشدة الحاجة إليها في تنظيم شؤون الفرد والجماعة، ولذلك شاع الاهتمام بها في بلاد المغرب العربي مع البدايات الأولى لنشر الدين الإسلامي.[2]

وقد ظهرت بها عدة مذاهب يتزعمها المذهب الحنفي والمالكي، وهذا إلى مطلع القرن الخامس للهجرة، حيث حُمل الناس على مذهب الإمام مالك.

وكان اهتمام المغاربة بالفقه المالكي منقطع النظير، وأصبحت القيروان المركز الثاني للمذهب المالكي بعد المدينة المنورة، فبعد دخول موطأ مالك بلاد المغرب العربي، وإقبال الطلبة عليه، حتى زاد الرواة عنه من أهل القيروان عن الثلاثين تلميذا، ليأتي الإمام سحنون بالمدونة، التي جمعت عِلم مالك وفقهه، ولتكون عُمدة المذهب بعد الموطأ، وأقبل عليها تلامذة سحنون ومن بعدهم،

1 . ينظر في: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: ص199. الهداية إلى بلوغ النهاية (قسم الدراسة): ص34.
2 . ينظر في: المرجع نفسه: ص97.

واهتموا بها ما بين شارح ومختصِر ومعلّق، ثم جاء ابن أبي زيد القيرواني والملقب بمالك الصغير، فهو الذي لخّص المذهب وضمّ نشره، وذبّ عنه، وملأت البلاد تآليفه.[1]

و" نما الحديث والفقه واعتنى بهما المغاربة عناية فائقة بزت ما عداها، ونبغ كثير من المغاربة في هذا الشأن وذاع صيتهم حتى طبق الآفاق وأصبحوا قبلة الأنظار في كل مكان."[2]

وقد كان اهتمام المغاربة بالفقه على حساب العلوم الأخرى، ولذلك قلت المؤلفات في التفسير إذا ما قارناها بالمؤلفات في الفقه، كما ظهر هذا الاهتمام حتى من الناحية التفسيرية، إذ إن المؤلّفات في التفسير الفقهي (أحكام القرآن)، وعلى قلّتها أكثر من المؤلفات في التفسير العام، إلا أن الأمر الغريب هو عدم وصول شيء منها إلينا إلا القليل، إذا ما قارناها بالتفاسير العامة، ولعل ذلك راجع لعدم مطاوعة الآيات القرآنية في المسائل الفقهية مطاوعةَ نصوص العلماء، أو أن التفسير الفقهي يحملهم على البعد عن التعمق في الفروع تعمقا يتناسب مع ما وصلت إليه الأبحاث الفقهية فأدى بهم إلى عدم العناية الكافية بها.[3]

ومن هذه التفاسير نذكر:

1. **أحكام القرآن** لأبي عبد الله محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب التّنوخي، القيرواني، المالكي، الإمام ابن الإمام، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، الفقيه، الحافظ، ولد بالقيروان سنة 202هـ، وقيل ولد على رأس المئتيْن، تتلمذ على يد أبيه سحنون، وموسى بن معاوية الصمادحي، وأبي مصعب الزهري، وغيرهم، كما أخذ عنه خلق كثير، منهم: ابن القطان، وأبو جعفر بن زياد، ولم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، ألف في جميع ذلك كتبا كثيرة تنتهي إلى نحو مئتي كتاب في جميع العلوم، وفي المغازي والتواريخ، كانت وفاته بالساحل وحمل إلى القيروان فدفن بها سنة 256هـ.[4]

---

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: ص534.

2 . التفسير الفقهي في القيروان: ص12.

3 . ينظر في: المرجع نفسه: ص13- 15. بتصرف.

4 . ينظر في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 204/4- 220. تاريخ الإسلام: 403/6. الديباج المذهب: 196/2- 173. شجرة النور الزكية: 105/1. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: ص1072- 1074.

2. **أحكام القرآن** لأبي الأسود القطان، موسى بن عبد الرحمن بن حبيب، القيرواني القاضي، الفقيه، الثقة الإمام الحافظ، ولد سنة 232هـ، من شيوخه: محمد بن سحنون وصحبه، ومحمد بن عامر الأندلسي، وعلي بن عبد العزيز، وغيرهم، وأخذ عنه محمد بن مسرور، وتميم بن أبي العرب، وغيرهما، توفي سنة 306هـ، وله إحدى وسبعون سنة.[1]

3. **أحكام القرآن** لأبي جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي القيرواني، الفقيه، الإمام الحبر، العالم، النظار، الثقة، الأمين، ولد سنة 234هـ، وتوفي بالقيروان على الأغلب سنة 319هـ، من شيوخه: ابن عبدوس ومحمد بن يحي بن سلام، وصحب القاضي ابن مسكين وكان يكتب له السجلات، ومن تلامذته: أبو العرب، وأحمد بن حزم، وهبة الله بن عقبة، وربيع القطان وغيرهم، وكان عالما بالوثائق وله فيه عشرة أجزاء، وله كتاب مواقيت الصلاة.[2]

4. **اختصار أحكام القرآن** للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، **وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره**[3]، ومن الغريب أن لا يصل إلينا هذا الكتاب وخاصة أنه يحمل اسم الإمام مالك، فكان الأولى أن يُعتنى به خاصة من قِبل أتباع الإمام مالك، ولا بد أن هذا الكتاب قد مهّد السبيل لمن جاء بعد الإمام مكي ممن كتبوا في تفسير القرآن وأحكامه على المذهب المالكي.[4]

ومما وصلنا من هذه التفاسير:

5. **أحكام القرآن** لأبي العباس الباغائي، الذي نحا فيه نحوا حسنا، فقد جاء كتابه في بيان الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية على المذهب المالكي وعلى وجه الاختصار إذ جاء في الصفحة الأولى من المخطوط ما نصه: (كتاب فيه أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقرئ الباغائي رحمه الله تعالى)، فهو من المختصرات في أحكام القرآن، وهي سمة

---

1 . ينظر في: الديباج المذهب: 335/2، 336. طبقات المفسرين للداوودي: 341/2، 342. شجرة النور الزكية: 122/1. الأعلام: 324/7. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: ص1283، 1284.

2 . ينظر في: الديباج المذهب: 169/1، 170. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: ص186، 187. ديوان الإسلام: 402/2، 403. شجرة النور الزكية: 122/1.

3 . ينظر في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 14/8. وفيات الأعيان: 276/5. طبقات المفسرين للداوودي: 332/2.

4 . ينظر في: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: ص217.

غالبة عليه وإن تخلّله الاستطراد في بعض الأحيان بالتوسع في ذكر المسائل الفقهية كما هو الحال في مسائل الفرائض، والجروح والديّات، ومسائل الحجّ، والزكاة وغيرها.[1]

وقد بدأ الإمام أبو العباس الباغائي كتابه بعد الاستفتاح بالحمد والصلاة على النبي ﷺ بالكلام عن البسملة، ذاكرا الخلاف بين العلماء في عدّها آية من القرآن أم لا، وما إنْ كانت تدخل في عدّ آيات سورة الفاتحة أو لا، مرجّحا المذهب المالكي بالأدلة والحجج باختصار، وذكر حكم قراءتها في الصلاة، ليشرع في الأحكام المتعلقة بقراءة سورة الفاتحة في الصلاة مفردا أو مع الإمام، كما تعرض لحكم التأمين وكيفيته، ثم بدأ في بيان أحكام القرآن من سوره، مرتّبة على ترتيب المصحف الشريف، إذ يقول ومن سورة البقرة، وهكذا في كل السور حتى يأتي على نهايته، فيورد الآيات المراد تفسيرها من كل سورة، كما أنه لا يقتصر على آيات الأوامر والنواهي، بل أيّ آية فيها إشارة إلى حكم من الأحكام، أو لفظة تتعلق بها أحكام يوردها ويُتبعها بذكر الأحكام التي يراها متعلقة بها[2]، وقد بلغت السور التي تعرّض للأحكام فيها ثمان وسبعين سورة[3]، كما أن طريقته في التفسير تختلف من آية لأخرى، فهو على الأغلب يورد المعنى الإجمالي للآية بكل اختصار، " دون التعرض لما فيها من معان لغوية، واشتقاق للألفاظ، وشرح المفردات، وإعراب للكلمات"[4]، ثمّ يشرع في ذكر الأحكام المتعلقة بها، وأحيانا يقتصر على ذكر ما تعلّق بالآية من

1 . ينظر في: أحكام القرآن للباغائي (مقدمة تحقيق): ص22، 23.

2 . مثاله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ [الحج: 5]، فقد تكلم عن السقط إذا كان علقة أو مضغة أو جنينا تبيّن خلقه أو بعض خلقه وما يتعلق به من أحكام. أحكام القرآن للباغائي: ص240.

3 . ينظر في: تفاسير آيات الأحكام ومناهجهم: 172/1.

4 . المرجع نفسه: 174/1.

نسخ وعدمه[1]، أو على ذكر سبب نزول الآية[2] وحسب دون الدخول في الأحكام المتعلقة بها، وإن اختلفت الأقوال التفسيرية في الآية يوردها بصفة مختصرة، ومبسطة.

وعلى العموم فإنه يأتي على الأحكام ويُبيّنها بشكل مبسط بعيدا عن كل التعقيدات، ومتاهات الأدلة وكثرة الأقوال، مما يجعل أي شخص تقريبا يفهم المقصود منه، فهو كتاب جليل في بابه.

وهكذا كانت عناية المغاربة بأحكام القرآن خصوصا، وهذا لا يعني عدم عناية المفسّرين المغاربة بالجانب الفقهي في تفسيرهم، فالإمام يحي بن سلام تعرّض في تفسيره لآيات الأحكام، فتجده يعرض الآراء الفقهية وينسبها لأصحابها، ويناقشها ويرجّح في ما بينها، ويختار، مما يدل على اجتهاده.

ونجد كذلك الإمام مكي بن أبي طالب القيسي له اهتمام في تفسيره بالأحكام القرآنية وبيان أقوال العلماء فيها، والترجيح في ما بينها، ومع أن الإمام مكي كان مالكيا في اتجاهه العام، فقد يكتفي أحيانا ببيان بعض الأحكام على المذهب المالكي فقط، إلا أن مالكيّته لم تقيّده، ولم يكن مقلّدا، بل كان مجتهدا، فهو يناقش المسائل ويأتي بالأدلة، ويستشهد بآراء العلماء من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الأخرى، ولم يكن يلتزم بآراء المالكية في الترجيح دائما، فأحيانا كثيرة يرجّح غير مذهبه، دون أيّ تعصب، وهذا يدل على سعة أفقه وبحثه عن الحق والالتزام به.[3]

وهكذا يتبيّن مدى اهتمام المغاربة بتفسير كتاب الله تعالى، وكيف ظهرت فيه مختلف اتجاهات التفسير المقبول في القرون الخمس الأولى من الهجرة، مع ملاحظة تمازج هذه الاتجاهات في التفسير الواحد، إذ إن القرآن الكريم بلسان عربي مبين، مبيّنا للناس تشريع رب العالمين ليسيروا

---

1 . مثاله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: 46]، قال: (هذه الآية منسوخة، لأنه جلّ وعزّ أمر بقتالهم فر موضع آخر حتى يسلموا أو يعكطوا الجزية.) أحكام القرآن للباغائي: ص271.

2 . مثاله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[الأحزاب: 53]، قال: (هذا لأن رجلا من أصحابه قال: إذا مات رسول الله تزوجت عائشة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذا.) أحكام القرآن للباغائي: ص281.

3 . ينظر في: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: ص76.

على الدرب القويم، ولا يمكننا ربط أيّ تفسيرٍ باتجاه معين إلا باعتبار غلبته وظهوره على غيره من الاتجاهات فيه.

الفصل الأول

التعريف بأصول التفسير

ويتضمن ثلاث مباحث

- المبحث الأول: تعريف أصول التفسير وأهميته
- المبحث الثاني: نشأة وتطور أصول التفسير
- المبحث الثالث: موضوعات أصول التفسير

المبحث الأول: تعريف أصول التفسير وأهميته

سنحاول في هذا المبحث التعرف على أصول التفسير وأهميتها والغاية منها.

المطلب الأول: تعريف أصول التفسير

أصول التفسير مركب إضافي، ولتعريفه لابد من تعريف كل طرف منه على حدى، حتى يتسنى لنا تعريفه مركبا، بعدُ إن شاء الله.

الفرع الأول: تعريف الأصول

الأصل في اللغة " واحدُ الأُصولِ، يقال: أصْلٌ مُؤَصَّلٌ."[1]

والأصل: أساس الشيء[2]، وقواعده[3]، وهو أسفل كل شيء[4]، " ثم كثُر حتى قيل: أصل كل شيء ما يَستنِد وجود ذلك الشيء إليه."[5]

وقد ورد لفظ (الأصل) في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[إبراهيم: 24]

وقال: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[الحجر: 5]

أما في الاصطلاح: فالأصل " هو ما يبنى عليه غيره."[6]

الفرع الثاني: تعريف التفسير

التفسير في اللغة مصدر من الفعل: فسّر، وهو مضاعف الفعل: فَسَر.

والفَسْرُ: البيانُ، والتَفْسير مثله. واسْتَفْسَرْتُهُ كذا، أي سألته أن يُفَسِّرَهُ لي.[7]

---

1. الصحاح تاج اللغة: ص1623.
2. ينظر في: معجم مقاييس اللغة: 109/1.
3. ينظر في: المفردات: ص19.
4. ينظر في: لسان العرب: ص89.
5. تاج العروس: 447/27.
6. التعريفات : ص28.
7. ينظر في: الصحاح تاج اللغة: ص781.

وجاء في معجم مقاييس اللغة أنّ الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه.[1]

و"كل شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفْسِرَتُه."[2]

فمعاني التفسير في اللغة تدور حول البيان والكشف والإظهار والإيضاح.

وورد لفظ التفسير بمعنى البيان والتفصيل[3] في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: 33]

أما في الاصطلاح فتعددت تعريفاته، ونذكر منها:

- " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك."[4]
- " علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه."[5]
- "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية."[6]
- "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع."[7]
- هو "بيان معاني القرآن الكريم."[8]

والملاحظ على هذه التعريفات أن بعضهم أدخل فيه ما ليس منه، أو كان وسيلة للتفسير كالقراءات، وأما التعريف الأخير لمساعد الطيار، فهو شامل لحد التعريف بالتفسير، إلا أنه اعتبر الاستنباط واستخراج الأحكام والفوائد التفسيرية ليست من صلب التفسير، حيث قال: « وخرج بقولنا: (بيان معاني) ما كان بيانا لغير المعاني، كبيان كيفية الأداء الذي هو من

1 . ينظر في: معجم مقاييس اللغة: 504/4.

2 . لسان العرب: ص3413،3412.

3 . ينظر في: تفسير يحي بن سلام: ص480.

4 . البحر المحيط: 26/1.

5 . البرهان في علوم القرآن: 104/1، 105.

6 . مناهل العرفان: 6/2.

7 . التحرير والتنوير:11/1.

8 . التحرير في أصول التفسير: ص15، وينظر في: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص8853.

علم القراءات، أو بيان عدد آي السورة الذي هو من علم عدّ الآي، أو بيان الفوائد المستنبطة، الذي يدخل في باب الاستنباط.»[1]

فتحديده لأصول التفسير بناء عليه، يحتاج إلى زيادة تحرير، حيث أننا نكون في هذه الحالة بحاجة إلى أصول الاستنباط حتى نضبط العملية التفسيرية من كل نواحيها، كما أن في كلام مساعد الطيار ما يمكن أن يكون ردًّا عليه، حيث قال: «ولو جُرّد التفسير من كثير من هذه المعلومات لتقاربت مناهج المفسرين، ولكان جل الخلاف بينهم في وجوه التفسير، وترجيح أقوال المتقدمين، ولا شك أن هذا لو كان، لما كان هناك معلومات كثيرة، ومفيدة مما يُرى الآن في التفاسير.»[2]

كما أن الاستنباط واستخراج الحكم والمواعظ والعبر والفوائد ملاحظة كذلك من البناء المضاعف للفعل، وهذا ما يؤكّده الإمام ابن عاشور، حيث قال: « فناسب أن يُخصّ هذا البيان بصيغة المضاعفة، بناء على أن الفعل المضاعف إذا لم يكن للتعدية كان المقصود منه الدلالة على التكثير من المصدر... وقد يكون التكثير في ذلك مجازيا واعتباريا بأن ينزل كدّ الفكر في تحصيل المعاني الدقيقة، ثم في اختيار أضبط الأقوال لإبانتها مَنزلِة العمل الكثير.»[3]

وهو ملاحظ كذلك من قول ابن عباس ﷺ في أنواع التفسير[4]، أو بيان درجات التفسير لنصوص القرآن، فلو كان التفسير متعلق ببيان المعاني فقط، لما ذكر ﷺ الأنواع الأخرى التي تحتاج إلى امتلاك الآلة، وإعمال الفكر، والذي يعلمه العلماء، وكأنّ المفسر ينطلق مما لا يعذر أحد بجهالته، ثم إذا غَمُض عليه المعنى لجأ إلى كلام العرب وأسلوبهم، ارتقى درجةً في التفسير، ثم إذا امتلك جملة من علوم الآلة، واستخدمها في الاستنباط واستخراج الفوائد كان على درجة أعلى من التفسير، فقد عدّ ابن عباس ﷺ هذا تفسيرا، وعليه لا يلزم حصر التفسير في بيان المعنى الظاهر فقط. هذا والله أعلم.

1. التحرير في أصول التفسير: ص15.
2. مفهوم التفسير والتأويل: ص71.
3. التحرير والتنوير:10/1.
4. ينظر في: تفسير الطبري: 70/1.

إذن، كل هذه التعريفات تتفق على أن علم التفسير علم يبحث فيه عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد، ولعل الأنسب من هذه التعريفات بعلم التفسير هو التعريف الثاني للزركشي والتعريف الرابع للزرقاني وذلك لأنهما أشبه بالتعريف من غيرهما، لوجازتهما واختصارهما وقلة ألفاظهما، وهو الأليق بالتعريفات.[1]

والذي نراه مناسبا هو الجمع بين التعريفات السابقة فنقول:

التفسير هو بيان معاني آيات القرآن الكريم وما يستفاد منها، واستخراج أحكامه وحكمه بقدر الطاقة البشرية.

الفرع الثالث: تعريف أصول التفسير:

بما أن علم أصول التفسير حديث البروز، ولم يكتمل البحث والغور فيه بعد، تجدنا لا نقف على تعريف اصطلاحي له عند المتقدمين، ومع هذا فيمكننا اعتبار ما أورده الإمام ابن تيمية[2] خلال بيانه لسبب تأليفه للمقدمة، وغرضه منها، تعريفا لأصول التفسير، أي أنّ أصول التفسير هي: " قواعد كلية، تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله، بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل."[3]

وأما حديثا ومع كثرة المؤلفات فيه، تعددت التعريفات لأصول التفسير، وكلها تتفاوت في الدلالة على المقصود، ونذكر منها:

- "هو أصول وقواعد تحكم خطة المفسر، وتحول بينه وبين الخطأ في الفهم والاستنباط، وتعينه على أداء مهمة التفسير على الوجه الأفضل."[4]

---

1. ينظر في: أصول التفسير وأسباب الاختلاف عند المفسرين: ص14، 15.

2. أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ثم الدمشقي، الحنبلي، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام، سمع من ابن عبد الدائم، والقاسم الإربلي، وابن علان، وابن الصيرفي، وآخرين، ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، توفي سنة 728هـ، وخلّف العديد من المؤلفات، من بينها: منهاج السنة، رفع الملام على الأئمة الأعلام. ينظر في: الوافي بالوفيات: 11/7- 21. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 168/1- 186. الأعلام: ص144.

3. مقدمة في أصول التفسير: ص33.

4. التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص10.

- "هو العلم الذي يُتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن، ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في التفسير."[1]

-"أصول التفسير هي جملة المسائل التي سيكون لها الأثر الواضح في الدلالة على المعنى ... وهي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسّر، ويحتكم إليها حال بيان معاني القرآن وتحرير الاختلاف فيها."[2]

- "الأصول هي المناهج التي تحُدّ وتبيّن الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة."[3]
- "علم أصول التفسير علم يقوم على ضبط التفسير، ووضع قواعد مهمة ضرورية لسلامة السير فيه، دون غلط في تفسير القرآن، أو تحريف لكلام الله أو تشويه لمعناه."[4]
- "كل ما يحكم الجهد المبذول لفهم كتاب الله، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه."[5]
- "علم أصول التفسير هو القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير، وتشمل ما يتعلق بالمفسّر من شروط وآداب، وما يتعلق بالتفسير من قواعد ومناهج."[6]
- "علم يحدد مصادر التفسير لكتاب الله تعالى ويضع قواعده ويحدد شروط المفسّر لبيان الطريقة المثلى في التفسير وفق مقاصد المفسّر."[7]
- أصول التفسير: "هي مجموعة الأسس والقواعد والمقدمات العلمية التي تعين على الفهم الصحيح للقرآن."[8]
- "مفهوم علم أصول التفسير: هو المجموع الناظم للمبادئ والقواعد والأسس التي تحكم عملية الفهم والاستنباط من النص الشرعي وتنظيمها."[9]

---

1 . بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص11.

2 . جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1580.

3 . أصول التفسير وقواعده: ص30.

4 . ينظر في: بحوث في أصول التفسير: ص11.

5 . ضوابط التفسير عند عبد الرحمن حبنكه الميداني: ص216

6 . أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص739.

7 . علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص84.

8 . جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1645.

9 . علم أصول التفسير: ص4259.

وعلى اختلاف هذه التعاريف وتباينها، إلا أنّ أغلبها تعرضت لتعريف أصول التفسير باعتبار غرضه والغاية منه، فاختلافها ظاهريّ، إذ إنها تتفق في المعنى والمضمون.[1]

والذي تطمئن له النفس من هذه التعاريف، وإن لم يُقصد به التعريف الاصطلاحي في أصله، هو تعريف الإمام ابن تيمية، فنقول:

أصول التفسير هي: قواعد كلية، تعين على فهم القرآن، وبيان معانيه، والتمييز بين الحق والباطل من الأقاويل، والتنبيه على الدليل الفاصل بينها.

المطلب الثاني: أهمية أصول التفسير والغاية منها

الهدف من أصول التفسير " ضبط التفسير بوضع القواعد الصحيحة، والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسّر."[2]

ولأصول التفسير أهمية عظيمة وذلك من جهة موضوعه، وهو تفسير كتاب الله تعالى، الذي هو أجل العلوم وأعظمها وأشرفها، ومن جهة عظم الحاجة إليه، فمعرفة أصول التفسير تفيد في تدبر كلام الله تعالى، وتفتح طريقا واسعا إلى فهم معاني الكتاب العزيز، وتفيد كذلك في معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يقبل منها وما يُردّ ومعرفة مَن يصلح تلقي التفسير عنه ومَن لا يصح تفسيره للقرآن، كما أن هذا العلم يفيد في التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة، والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه، كما أن معرفة أصول التفسير تفيد في الاطلاع على الجهود التي بذلها علماء السلف للمحافظة على القرآن الكريم لفظا ومعنى، ومن ثم الاقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.[3]

وتظهر أهميّة أصول التفسير كذلك في " معرفة الأصول الجامعة والقضايا الكلية التي تضبط مسائل علم التفسير، وتعين على حفظ ما تناثر من جزئيّاتٍ لاختصار الجهد والوقت."[4]

---

1 . أصول التفسير عند عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر: ص9.

2 . بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص12. وينظر في: أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص716.

3 . ينظر في: بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص12، 13. أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص719، 720.

4 . أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص718.

كما يتمثل " عمل علم أصول التفسير في العملية التفسيرية، مثل عمل أصول الفقه في ضبط عملية الفهم والاستنباط والتشريع بالنسبة للفقه، وعمل أصول الحديث في ضبط الرواية، بحيث يكون عمل أصول التفسير حاكما للعملية التفسيرية، ضابطا لعمل المفسّر، ممدا له بقواعد الفهم والاستنباط، وقواعد الترجيح ونقد الأقوال.

فتتحدّد وظائفه في ما يلي:

- **وظيفة بيانية:** تضبط عملية الفهم عن الله تعالى بضبط علاقة اللفظ بالمعنى في النص الشرعي...
- **وظيفة ترجيحية:** للترجيح بين أقوال المفسرين عند الاختلاف، وبيان راجها من مرجوحها، وصحيحها من فاسدها. ...
- **وظيفة نقدية تقويمية:** لتمييز صحيح الأقوال من فاسدها، والفرز بينها، وبيان مواطن الاعوجاج وأسبابه، والتنبيه على أخطاء المفسرين ما داموا غير معصومين."[1]

1 . علم أصول التفسير: ص4259- 4261.

المبحث الثاني: نشأة وتطور أصول التفسير

سارت نشأة أصول التفسير وفق مسارين متفاوتين من حيث الظهور والتطور، وهما المسار التطبيقي العملي، والمسار النظري العلمي.

المطلب الأول: المسار التطبيقي العملي

كان الجانب التطبيقي لأصول التفسير متماشيا جنب إلى جنب مع التفسير فظهوره كان منذ العهد النبوي الشريف، فالصحابة رضوان الله عليهم، فالتابعين، وهكذا في كل التفاسير المؤلَّفة على اختلاف اتجاهاتها، " وإن كان قد يظهر في بعضها واضحا، ويخفى في أخرى"[1]، ولا سبيل لنا لحصر كل هذه التطبيقات لأصول التفسير، ولكن حسبنا بعض الأمثلة:

الفرع الأول: أصول التفسير من التفسير النبوي

كان النبي ﷺ أول من اهتم بأصول التفسير من حيث التطبيق العملي لها، وهذا ما نلمحه في تفسيره لبعض آي القرآن الكريم، من ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله رضي الله عنه، "قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: 82]، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: « **ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13].»[2]

"ووجه الدلالة منه أن الصحابة فهموا من قوله (بظلم) عموم أنواع المعاصي، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وإنما بين لهم أن المراد أعظم أنواع الظلم وهو الشرك."[3]

ويمكننا أن نستخلص جملة من أصول التفسير، نذكر منها[4]:

- طرق تفسير القرآن وهي: تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك تفسيره بالسنة المطهرة، وباللغة، فالصحابة رضي الله عنهم فهموا الآية على لغتهم، ولم يُنكِر عليهم النبي ﷺ، ولكن نبههم إلى الأولى

1 . التحرير في أصول التفسير: ص26.

2 . صحيح البخاري: رقم: 6937، 18/9.

3 . فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 163/1.

4 . ينظر في: جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1584، 1585.

منه، وهو تفسير القرآن بالقرآن، وهم في رجوعهم لرسول الله ﷺ، تقررت مصدرية السنة في التفسير.

- جواز الاجتهاد في التفسير لمن توفرت فيه الشروط، فالنبي ﷺ لم يمنع الصحابة رضي الله عنهم، ولم يُنكر عليهم.
- الأصل في فهم أحكام القرآن وأخباره، أن تحمل على العموم، إلا ما ورد فيه التخصيص الصحيح الصريح.

الفرع الثاني: أصول التفسير من تفسير الصحابة والتابعين:

إن"كانت الأصول والقواعد والضوابط، توضع لتكون موازين ضبطٍ للفهم والإدراك، منعاً للانحراف، فإن ما توفر للصحابة من ملكة اللسان والوقوف على مشاهد نزول الوحي وأسبابه، وبيان المبلِّغ عن ربه تبارك وتعالى، كافٍ كل الكفاية لأداء الغرض الذي من أجله توضع القواعد والضوابط."[1]

ومع هذا فإنه يمكننا استخلاص بعض الأصول والقواعد من تفسيراتهم وأقوالهم، من ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن التفسير على أربعةِ أوجهٍ[2]، وهو بذلك أكدّ أن اللغة العربية من مصادر التفسير، وأن للتفسير أنواعا تختلف باختلاف معرفة الناس به، وتضلعهم في العلوم، وأن التفسير يشمل الاستنباط الصحيح وبيان المعاني، وهو الذي يعلمه العلماء، وقد كان هذا من ابن عباس رضي الله عنهما، ومثال ذلك تفسيره لسورة النصر[3] بأنها نعي رسول الله ﷺ.

ونلحظه كذلك من خلال اهتمامهم بكليّات القرآن الكريم[4]، وهي تعتبر من باب تفسير القرآن بالقرآن، من ذلك قول ابن عباس: «كل (سلطان) في القرآن فهو حجة.»[5]

وقول زيد: « وكل شيء في القرآن زكى وتزكى فهو الإسلام.»[6]

---

1 . قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره: ص112.

2 . ينظر في: تفسير الطبري: 70/1.

3 . ينظر في: صحيح البخاري: رقم: 4970، 179/6.

4 . ينظر في: جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1652.

5 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4340.

6 . المصدر نفسه: ص5049.

وقول عكرمة: «كل شيء في القرآن (السيئة) فهو الشرك.»[1]

كما أنّ ما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين من آثار[2] في تورعهم عن القول في التفسير بالرأي وبدون علم، إلا من باب الحيطة وخوف الخطأ، وكأنهم كانوا يرون أن التفسير لا يتم إلا بأصول وضوابط لابد من العلم بها حتى لا يحصل الزلل والخطأ في التفسير.[3]

الفرع الثالث: أصول التفسير من كتب التفسير:

لا بد لأيّ مفسِّر من أصول يعتمد عليها في بيان كلام الله تعالى، فـ" عندما يفسّر المفسّر آية أو يستنبط معنى فإنه يعتمد قواعد تفسيرية في ذلك سواء صرّح بها، أم لم يصرّح بها، لأن المفسّرين لم يفسّروا القرآن الكريم بمحض إتباع الهوى والتشهي، وإنما وفق قواعد علمية ثابتة."[4]

فمسائل أصول التفسير كانت حاضرة في ذهن علمائنا أثناء كتابتهم للتفسير، وإن لم يقصدوا إلى جمعها وتبويبها، كما هو الحال في دراساتنا المعاصرة، وإن هذه الأصول كاد يتفق عليها المفسرون وإن اختلفوا في بعضها، أو اختلفوا في تطبيقات بعضها، كما أن عنايتهم بأصول التفسير تظهر من خلال تطبيقاتهم، إذ إن أصول التفسير تُعدّ معيارا لصحة التفسير وسلامته، وهذا لا يمكن أن يخلو من ذهن عالم من علمائنا أثناء كتابته للتفسير.[5]

فعند" الاستقراء لبعض كتب المحقّقين من المفسّرين الذين يعتمدون أسلوب التوجيه والنقد والترجيح للأقوال التي يوردونها، نجد أنهم يعتنون بذكر القواعد والضوابط التي يأصّلون بها أقوالهم، أو يرجّحون بها بين الأقوال المختلفة، أو يردّون الأقوال الضعيفة أو الشاذة، وأيضا نراهم يعتنون بتوجيه أقوال السلف حينما يكون فيها غرابة أو لطافة أو قوة، ويبيّنون سبب قولهم بها، وكذلك ينبّهون على الأصول التي يدور عليها تفسير السلف، وهذه القواعد والتوجيهات تشكّل مصدرا مهمّا من مصادر أصول التفسير، لكنها في حاجة إلى تتبع واستقراء واستنباط."[6]

وهذا الذي نحن بصدده في هذه الدراسة بإذن الله.

---

1. المصدر نفسه: ص5478.
2. ينظر: تفسير الطبري: 1/79-81.
3. ينظر في: التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص17.
4. علم أصول التفسير: ص4267.
5. ينظر في: جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1594، 1595.
6. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1656.

المطلب الثاني: المسار النظري العلمي:

ونقصد بالمسار النظري العلمي: التدوين في علم أصول التفسير بصفة مستقلة ومتخصصة، وهذا الجانب لم يحظ باهتمامٍ كافٍ من قبل المتقدمين، فعلم التفسير بقي خاليا مما هو أجدر أن يُتحصّن به، وهو هذا الجانب النظري، وهذه الثغرة من بين الأسباب التي جعلت التفسير مجالا للطعن والتحريف قديما وحديثا، بقصد وبغير قصد.[1]

ويمكن اعتبار (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام ابن تيمية، أول تأليف في أصول التفسير[2]، فقد ذكر فيها الداعي إلى تأليفها فقال: " فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية، تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله، بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل؛ فإن الكتب المصنّفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح، والحق المبين."[3]

وهذا مما يدل على أسبقيته في التأليف في أصول التفسير، فلو أنه سُبق إلى ذلك، ما كانت هناك حاجة لسؤاله.

وقد قسّم ابن تيمية رسالته إلى خمسة فصول:

الأول: أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه.

الثاني: اختلاف السلف في التفسير، وأنه اختلاف تنوّع لا تضاد.

الثالث: الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل.

الرابع: الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال.

الخامس: في أحسن طرق التفسير.

1 . ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص13.

2 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص30. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1677.

3 . مقدمة في أصول التفسير: ص33.

والرسالة وعلى وجازتها استفاد منها كثير ممن جاء بعد شيخ الإسلام[1]، ويمكن القول أنّ المؤلفات بعدها عالة عليها، فهي تصلح لأن تكون أساسا ومنطلقا يُبنى عليه هذا العلم، فهي أشبه ما تكون بالرسالة التي كتبها الإمام الشافعي[2]، والتي تعدّ أصل ما كُتب في أصول الفقه.[3]

هذا وقد سُبق الإمام ابن تيمية إلى التأليف في هذا الباب، ولكنها لم ترق إلى درجة التقعيد والتأصيل، حيث نجد محاولة لأبي الحسن الحرّالي[4] في كتابه (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل)، حيث جعله لوضع قوانين تختص بالتطرّق إلى تفهّم القرآن، بحيث تتنزل في علم التفسير بمنزلة أصول الفقه.[5]

وكذلك كتاب (الإكسير في قواعد التفسير) لنجم الدين الطوفي[6]، والذي قصد به مؤلّفه وضع قانون ينظم عملية التفسير، فقد قال: « فإنه لم يزل يتلجلج في صدري إشكال علم التفسير، وما أطبق عليه أصحاب التفاسير، ولم أر أحدا منهم كشفه فيما ألّفه، ولا نحّاه فيما نحّاه، فتقاضتني النفس الطالبة للتحقيق، الناكبة عن جمر الطريق، لوضع قانون يعوّل عليه، ويصار في هذا الفن

1 . ينظر في: مقدمة في أصول التفسير(مقدمة التحقيق لعدنان زرزور): ص:22.

2 . أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، الهاشمي، القرشي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة بفلسطين، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة 199 فتوفي بها سنة 204هـ، وقبره معروف في القاهرة. له تصانيف كثيرة، أشهرها: كتاب الأم في الفقه، والرسالة في أصول الفقه. ينظر في سير أعلام النبلاء: 5/10- 99. الوافي بالوفيات: 121/2- 127. الأعلام: 26/6، 27.

3 . ينظر في: جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1677، 1678.

4 . أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي، التجيبي، من علماء المغرب، جال في البلاد ولقي العلماء، وبرحلته إلى المشرق تصوف، سكن حماة بسوريا، ووعظ بها وأقبلوا عليه، صنف في كثير من الفنون كالأصول والمنطق والطبيعيات والإلهيات، توفي سنة 637هـ. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 47/23. الوافي بالوفيات: 120/20. الأعلام: 256/4، 257.

5 . ينظر في: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير: ص27، 28. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1675.

6 . أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي، الحنبلي، فقيه، أصولي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بقرية طوفى من أعمال بغداد، وقدم الشام، ثم مصر، وتوفي في الخليل بفلسطين سنة 716هـ. من تصانيفه الكثيرة: الإكسير في قواعد التفسير، ومختصر الجامع الصحيح للترمذي. ينظر في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 295/2- 300. معجم المؤلفين: 266/4.

إليه، فوضعت لذلك صدر هذا الكتاب، مردفا له بقواعد نافعة في علم الكتاب وسميّته (الإكسير في قواعد التفسير).»[1]

ولكن هذا " الكتاب في البلاغة القرآنية، وإن كان فيه إشارة لبعض مسائل أصول التفسير، فمسائله لم تأخذ إلا حيزا قليلا.

فالقسم الأول: في بيان سبب احتياج بعض القرآن للتفسير والتأويل، ثم ختمه بقانون يدفع كثيرا من خبط المفسّرين وتباين أقوالهم.

القسم الثاني: في النظر في العلوم التي اشتمل عليها القرآن.

القسم الثالث: في علمي المعاني والبديع، وهذا القسم هو الأغلب في الكتاب، وظهر أنه هو المراد في التأليف، مما يجعل الناظر لهذا القسم يقع في الاستغراب في اسم هذا الكتاب ومضمونه."[2]

ولعل هذا ما دعا محقّقه للقول: « وكل ما أرجوه أن أكون قد أسهمت . بتقديم هذا الكتاب القيّم المجهول إلى أيدي القرّاء والدارسين . في إثراء المكتبة البلاغية، وإضافة عَلم جديد إلى أعلام البلاغة وهم قلّة.»[3]

وبهذا يتبين أن علم أصول التفسير لم يحظ بالعناية اللائقة به إلى حدود القرن الثامن الهجري.[4]

لتتوالى بعد الإمام ابن تيمية الدعوات إلى زيادة الاهتمام بهذا العلم، والتأصيل لمباحثه، وخاصة مع زيادة الحاجة إليه في هذا العصر" لكثرة ما انتشر فيه من أخطاء شنيعة، وتأويلات فاسدة لا يوجّهها إلا الهوى ولا يقودها إلا الجهل."[5]

فـ" حرص كل عالم، ومن ثَمّ كل فرقة أو مذهب على التأصيل لمفاهيمه من القرآن الكريم، والعمل على إقامة الحجة منه على اختياراته العلمية أدى . بلا شك وكما هو معلوم . إلى كثير

1 . الإكسير في علم التفسير: ص27.

2 . جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1616.

3 . الإكسير في علم التفسير (مقدمة التحقيق): ص26.

4 . ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص16.

5 . أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير: ص233.

من الانحراف في التفسير فضلا عن الكثرة والاتساع في الإنتاج، وهذا من أهم مبررات قيام علم أصول التفسير."[1]

وما يؤكد أن الحاجة إليه باتت ضرورية وملحة لضبط الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ، ولاستقامة الفكر والسلوك، لأن هذا الأخير يتأثر بالفهم سلبا وإيجابا، فإذا استقام الفهم استقام السلوك.[2]

و" يمكن القول ـ بحق ـ أن تبلور مسائل أصول التفسير كانت من نتاج المعاصرين، وإنهم قد كتبوا ـ ولا يزالون ـ في تحديد هذه المسائل، كل حسب رؤيته، وهناك ما اتفقوا عليه، وهناك ما يراه بعضهم من أصول التفسير، ويخرجه آخرون."[3]

ويمكن تقسيم الكتابة في أصول التفسير إلى قسمين:

- **القسم الأول**: كُتب في أصول التفسير بصفة عامة، وهذه الأخيرة افترقت في النظر إلى الموضوعات التي تدخل في هذا العلم، وسارت على ثلاث منهاج مختلفة[4]:

الأول: ما هو في موضوعات علوم القرآن، ومن الكتب التي سارت على هذا الأسلوب: (التيسير في قواعد علم التفسير) لمحمد بن سليمان الكافيجي[5]، وكتاب (الفوز الكبير في أصول التفسير) لولي الله الدهلوي[6]، وكتاب (أصول التفسير) للشيخ ابن العثيمين.

1 . علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص14.

2 . ينظر في: علم أصول التفسير: ص4273.

3 . جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1606.

4 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص11، 12. جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1606- 1612. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1688.

5 . أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد الرومي، الحنفي، محيي الدين الكافيجي، من كبار العلماء بالمعقولات. رومي الأصل. اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي 14 سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، توفي سنة 879هـ بمصر، وله مصنفات كثيرة، منها: شرح قواعد الاعراب لابن هشام، والتيسير في قواعد علم التفسير. ينظر في: الأعلام: 150/6. معجم المؤلّفين: 51/10.

6 . أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقب شاه وَلِيُّ الله، فقيه حنفي من المحدّثين. زار الحجاز سنة 1143 - 1145 هـ. وكانت وفاته: سنة 1176هـ، من كتبه: الفوز الكبير في أصول التفسير، ألفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأرديّة ونشر بهما. ينظر في: الأعلام: 149/1. معجم المؤلفين: 272/1.

والثاني: ما اعتمد مسائل أصول الفقه المتعلقة بالقرآن، ودرسها من باب التفسير، ككتاب: (التكميل في أصول التفسير) لعبد الحميد الفراهي، و(دراسات في أصول التفسير) لمحسن عبد الحميد. وكذلك كتاب (أصول التفسير وقواعده) لخالد العك.

والثالث: كُتب جردت مسائل أصول التفسير، ولم تدخل فيه ما هو من قبيل علوم القرآن ولا ما هو من قبيل أصول الفقه، إلا ما كان مشتركا بينهما، ومن هذه الكتب: (فصول في أصول التفسير) لمساعد الطيار، وكتاب (تفسير القرآن أصوله وضوابطه) لعلي بن سليمان العبيد، وكتاب (علم أصول التفسير محاولة في البناء) لمولاي عمر حمّاد.

- **والقسم الثاني**: كُتب اختصّت بباب من أبواب أصول التفسير[1]، وأكثر من سار على هذا الأسلوب واهتم به، هم المعاصرون، وقد تعددت كتاباتهم وتنوعت، ومن ذلك نذكر:

- اختلاف السلف في التفسير بين النظرية والتطبيق لمحمد صالح سليمان.
- الاختلاف في التفسير أسبابه وآثاره لسعود الفنيسان.
- تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية لمحسن حامد المطيري.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم لمساعد بن سليمان الطيار.
- التفسير النبوي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية مع الأحاديث المرفوعة لخالد عبد العزيز الباتلي.
- التيسير في مصادر التفسير لمحمد البراك.
- قواعد الترجيح بين المفسرين، لحسين بن علي الحربي.
- قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت.
- المفسر شروطه وآدابه ومصادره لأحمد قشيري سهل.

وهكذا كثُرت وتنوعت الكتابات في أصول التفسير، إلا أنها " لم تفِ بالغرض وتكفِنا همّ البحث في علم أصول التفسير، فهي قد نبّهت إلى هذا الأمر وشخصت الإشكال، وبيّنت وجه الحاجة إليه، وحددت مكونات هذا العلم ومصادره ووظيفته، لكنها لم تحسم في كثير من الأمور بعد، رغم الحاجة الملحة اليوم أكثر من أي وقت مضى لهذا العلم، وهذا يتطلب جهودا أكبر من

1 . ينظر في: جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1612- 1614.

العلماء والباحثين المسلمين المعاصرين لاستئناف الجهد العلمي، وإكمال بناء علم أصول التفسير، أداءً للأمانة، ونصحا للأمة، وإبراءً إلى الله من البدع والضلالات والانحرافات."[1]

المطلب الثالث: علاقة أصول التفسير بالعلوم الأخرى من حيث النشأة

تأخر التدوين في أصول التفسير كعلم مستقل كما لاحظنا، إلا أنه كانت هناك إشارات إليه موجودة، ومبثوثة هنا وهناك، ممتزجة مع جملة من العلوم التي لها دور في العملية التفسيرية، فأول ما نلاحظها في: التفاسير وبخاصة في المقدمات، كتب علوم القرآن، علوم الحديث، وعلوم اللغة، وأصول الفقه، وفي ما يلي زيادة توضيح.

الفرع الأول: علاقته بالتفسير أو مقدمات التفاسير

كان " المفسّرون يضمّنون مقدمات تفاسيرهم جملة من الأصول والقواعد التي تعين على فهم القرآن وبيان معانيه، وبذلك تعدّ هذه المقدّمات النفيسة من أهمّ المراجع والمصادر التي يمكن أن يرجع إليها طالب العلم الراغب في معرفة أصول التفسير."[2]

وبين أيدينا مقدمة الإمام يحي بن سلام ـ أو بالأحرى ما وصلنا منها عبر ملخصي تفسيره ـ والتي تعدّ من أهمّ المقدمات التي يُرى فيها مسائل مهمة في أصول التفسير، إضافة إلى جملة ما ذكر من علوم القرآن، فقد أشار إلى مسألة العلوم التي يحتاج إلى معرفتها المفسّر[3]، حيث قال: « ولا يَعرف تفسير القرآن إلا مَن عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار، والعربية.»[4]

كما أورد في مقدمة تفسيره حديث رسول الله ﷺ: « **من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.**»[5]

---

1 ـ علم أصول التفسير: ص4264.

2 ـ جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1653.

3 ـ ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص25. جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1591.

4 ـ تفسير ابن أبي زمنين : 114/1. وينظر في: تفسير هود بن محكم: 71/1.

5 ـ تفسير ابن أبي زمنين: 112/1. وقد رواه الإمام أحمد في مسنده: رقم: 2069، 496/3. والترمذي في سننه: رقم: 2950، 49/5، وقال هذا حديث حسن.

وآثارا في تورع بعض السلف في القول بالتفسير بالرأي[1]، وهذا إشارة منه إلى عِظم أمر التفسير، وأنه لابد للمتصدّر للتفسير أن يكون عالما متبحرا في شتى العلوم، وقد خصّص بعضا منها بالذكر ـ كما سبق وذكرنا ـ وهذا لأهميّتها في التفسير عنده.

كما أنّ في هذا إشارة منه إلى أنواع التفسير، وأنّ منه المقبول المبني على علم ودراية، وأن منه المردود المبني على الجهل وقلة الاطلاع وانعدام المعرفة.

وقد أورد الأثر المرويّ عن ابن عباس رضي الله عنه في أوجه تفسير القرآن.[2]

إضافة إلى بعض الآثار التي يمكن اعتبارها من ضمن مبحث نشأة التفسير أو طبقات المفسّرين.[3]

كما تقابلنا مقدمة الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، والتي طرح فيها جملة من المواضيع التي تتصل بأصول التفسير، منها:

- القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى تأويل القرآن.[4]
- ذكر بعض الأخبار التي رُويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي.[5]
- ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بالتفسير، ومَن كان يفسّره من الصحابة.[6]
- ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن.[7]
- ذكر الأخبار عن بعض السلف في من كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه به.[8]

1 . ينظر في: تفسير هود بن محكم: 70/1.
2 . ينظر في: المصدر السابق: 69/1.
3 . ينظر في: المصدر نفسه: 71/1.
4 . ينظر في: تفسير الطبري: 67/1.
5 . ينظر في: المصدر نفسه: 71/1.
6 . ينظر في: المصدر نفسه: 74/1.
7 . ينظر في: المصدر نفسه: 78/1.
8 . ينظر في: المصدر نفسه: 84/1.

وكذلك الأمر بالنسبة لمقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، والتي جعلها مقسمة على الأبواب، حيث أورد في بعضها عدة مسائل من أصول التفسير، فعند الباب الرابع ذكر تعريف التفسير، والفرق بين التفسير والتأويل.[1]

وجعل الباب الخامس لأسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم، فذكر اثنا عشر سببا لأسباب الاختلاف بين المفسرين، كما ذكر اثنا عشرة قاعدة من قواعد التفسير والترجيح بين الأقوال التفسيرية.[2]

وأما الباب السادس ففي ذكر المفسرين، وتكلم فيه عن اختلاف السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم إلى فريقين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه. وهم الأكثرون. ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك. كما تكلم عن طبقات المفسرين.[3]

ومن المقدمات التي حوت جملة من أصول التفسير، مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور، والتي جعلها في عشر مقدمات، منها ما له علاقة بأصول التفسير، وهي:

- المقدمة الأولى في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.[4]
- المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير.[5]
- المقدمة الثالثة في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.[6]
- المقدمة الرابعة فيما يحق أن يكون غرض المفسر.[7]
- المقدمة التاسعة في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.[8]

فهذه وقفات مع بعض مقدمات التفاسير عبر محطات زمنية مختلفة، يتبيّن من خلالها مدى حضور أصول التفسير فيها.

---

1. ينظر في: التسهيل لعلوم التنزيل: 15/1، 16.
2. ينظر في: المصدر نفسه: 18/1، 19.
3. ينظر في: المصدر نفسه: 19/1- 21.
4. ينظر في: التحرير والتنوير: 10/1.
5. ينظر في: المصدر نفسه: 18/1.
6. ينظر في: المصدر نفسه: 28/1.
7. ينظر في: المصدر نفسه: 38/1.
8. ينظر في: المصدر نفسه: 93/1.

فما من مفسِّر إلا ويذكر في مقدمة تفسيره جملة من مسائل أصول التفسير، وقد تختلف هذه المباحث في ما بينها طولا وقصرا، إلا أن مضامينها أشبه ما تكون بكتب علوم القرآن، وإنّ ما تناولته من قضايا ذات صلة بالتفسير، لا يرقى إلى درجة تصور شامل لعلم أصول التفسير، وإن كانت تشكل مادة أساسية له.[1]

الفرع الثاني: علاقته بعلوم القرآن

وُلدت من رحم تفسير القرآن ولأجله علوم جديدة اختصت بالقرآن الكريم، كالقراءات ومعاني القرآن، وأسباب النزول، وغيرها من العلوم التي ظهرت تباعا، وكان ثمة إلحاح يزداد تأكيده مع الزمن على ضرورة إلمام المفسر بهذه العلوم، واستخدامها في التفسير، ومع تفاقم التداخل بين العلوم من حيث أثرها في التفسير وحاجة المفسر إلى قواعدها في فهم القرآن، ظهر علم جديد وهو: علوم القرآن، وبهذا الاصطلاح، ليدلّ على العلم الذي يجمع أصول وقواعد العلوم التي تدور حول القرآن، وما يحتاجه المفسر منها.[2]

وقد تعدّدت المؤلفات في علوم القرآن، ومن أهم ما كتب فيه: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي[3]، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي[4]، وليس الغرض هنا عرض تاريخ علوم القرآن، وإنما التبيين والتنبيه على أن الغرض من علوم القرآن كان بالأساس وضع مفاتيح للمفسر، ومساعدته في التفسير.

---

1 . ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص23، 24.

2 . ينظر في: قواعد التفسير (النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى): ص98،97. جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص34.

3 . أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، الشافعي، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، فقيه، أصولي، محدث، أديب، أخذ عن جمال الدين الأسنوي، والشيخ سراج الدين البلقيني، وابن كثير، والأذرعي، توفي سنة 794هـ، من تصانيفه الكثيرة: البحر في أصول الفقه، شرح جمع الجوامع للسبكي. ينظر في: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: 133/5- 135. الأعلام: 60/6، 61. معجم المؤلفين: 121/9، 122.

4 . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، الشهير بابن عقيلة، والملقب بالظاهر، محدث، مؤرخ، مشارك في بعض العلوم، من تصانيفه: لسان الزمان في أخبار سيد العربان وأخبار أمته من الإنس والجان، هدية الخلاق إلى الصوفية في سائر الآفاق. ينظر في: الأعلام: 13/6. معجم المؤلفين: 264/8.

فبالنظر إلى " مَن صنّف في علوم القرآن من المتقدّمين والمتأخّرين، يجد أنهم ضمّنوا مصنّفاتهم موضوعات في أصول التفسير، فهناك تداخل بين أصول التفسير وعلوم القرآن، لكن علوم القرآن أشمل."[1]

ذلك أن علوم القرآن تشمل جميع العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى، وأصول التفسير من هذه العلوم، وعليه فكل معلومة من أصول التفسير هي من علوم القرآن، وليس كل معلومة من علوم القرآن هي من أصول التفسير، فهناك مباحث في علوم القرآن لا علاقة لها بالتفسير وأصوله كعدّ الآيّ، بينما هناك أخرى لها علاقة مباشرة بالتفسير كأسباب النزول.[2]

ومن هذا المنطلق تجد كثيرا ما يطلق اسم أصول التفسير على علوم القرآن[3]، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهارا لمكانته فيها، إذ هو أبرز العلوم وأهمّها[4]، أو لأن علوم القرآن تتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن.[5]

ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر بعض ما ورد من مباحث لأصول التفسير في أهم كتب علوم القرآن:

أولا: ما ورد في كتاب البرهان في علوم القرآن

لقد ذكر الإمام الزركشي (ت794هـ) جملة من مسائل أصول التفسير ضمن النوع الحادي والأربعين (معرفة تفسيره وتأويله)[6]، ومن بينها:

- ✓ تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما.
- ✓ فصل في حاجة المفسّر إلى الفهم والتبحر في العلوم.
- ✓ فصل في أمهات مآخذ التفسير.

1 . جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1847، 1648.

2 . أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير: ص188.

3 . ينظر في: مباحث في علوم القرآن: ص11. فصول في أصول التفسير: ص13.بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص12.

4 . ينظر في: بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص12. أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص712.

5 . ينظر في: مباحث في علوم القرآن: ص11.

6 . ينظر في: البرهان في علوم القرآن: 276/2- 348.

- ✓ تقسيم التفسير.
- ✓ أحسن طرق التفسير.

ثانيا: ما ورد في كتاب الإتقان في علوم القرآن

لقد ضمّن الإمام السيوطي كتابه الإتقان خمس أنواع كلها لها تعلق بأصول التفسير، وهي:

- ✓ النوع الثاني والأربعون في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.[1]
- ✓ النوع السابع والسبعون في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.[2]
- ✓ النوع الثامن والسبعون: معرفة شروط المفسر وآدابه.[3]
- ✓ النوع التاسع والسبعون في غرائب التفسير.[4]
- ✓ النوع الثمانون في طبقات المفسرين.[5]

ثالثا: ما ورد في كتاب الزيادة والإحسان في علوم القرآن

لقد تضمّن الكتاب عدة مباحث في أصول التفسير، أهمّها:

- ✓ النوع الثاني والأربعون بعد المائة: علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.[6]
- ✓ النوع الثالث والأربعون بعد المائة: علم معرفة شروط المفسر وآدابه.[7]
- ✓ النوع الخامس والأربعون بعد المائة: علم في قواعد مهمة يحتاج المفسّر إلى معرفتها.[8]
- ✓ النوع الثاني والخمسون بعد المائة: علم غرائب التفسير التي هي مردودة عند العلماء غير مقبولة.[9]

---

1. ينظر في: الإتقان في علوم القرآنص1266- 1334.
2. ينظر في: المرجع نفسه: ص2261- 2273.
3. ينظر في: المرجع نفسه: 2274- 2321.
4. ينظر في: المرجع نفسه: ص2322-2324.
5. ينظر في: المرجع نفسه: ص2325 فما بعدها.
6. ينظر في: الزيادة والإحسان في علوم القرآن: 390/7- 407.
7. ينظر في: المرجع نفسه: 410/7- 464.
8. ينظر في: المرجع نفسه: 180/8- 242.
9. ينظر في: المرجع نفسه: 361/9- 366.

✓ النوع الثالث والخمسون بعد المائة: في طبقات المفسّرين.[1]

وقد كان كتاب الزيادة والإحسان أوسع الكتب طرحا لمسائل أصول التفسير، فقد استفاد ممن سبقوه وزاد عليهم.[2]

"وهذه الكتب وما اشتملت عليه من العلوم، وإن صيغت في أصلها لتيسير تفسير القرآن الكريم، فقد غلب عليها أحد المنهجين: الوصفي، أو التاريخي، مما يجعلها قاصرة عن ضبط التفسير."[3]

الفرع الثالث: علاقته بعلوم الحديث

لقد اعتنى المحدثون بتفسير كلام الله تعالى عناية فائقة، ذلك أنه يتعلّق بكلام الله عزّ وجلّ، ولأنّ النبيّ ﷺ هو المفسر الأول للقرآن الكريم، ليأتي بعده الصحابة والتابعين، والتي تنقل مروياتهم في التفسير بالأسانيد كسائر المرويات، فاعتنوا بهذا المأثور المتعلق بكتاب الله تعالى ـ مرفوعا كان، أم موقوفا، أم مقطوعا ـ من جهة الرواية والتدوين، وظهرت هذه العناية في التصنيف الضمني للتفسير في الكتب الجوامع للحديث وغيرها، وكذلك من خلال نقد مرويات التفسير.[4]

هذا وقد وُلد علم التفسير في ظل علم الحديث، فكانت المرويّات المتعلقة بتفسير آيات القرآن وأسباب النزول جزءا أساسيا من مرويّات الحديث، ومثّل (كتاب التفسير) أو (باب التفسير) جزء هامًّا من أجزاء جوامع الحديث المدوّنة لاحقا، كما أن السنّة النبويّة بمجملها كانت مصدرا من مصادر تفسير القرآن، فغدت الصلة وثيقة ابتداء بين علم التفسير وعلوم الحديث روايةً ودرايةً، فالمأثورات عن النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين هي المعتمدة في التفسير، والمراجع للتفاسير المتقدمة يَجد الحجم الكبير من مادتها أسانيد ومرويات للتفسير[5]، وعليه فإن القواعد

1 . ينظر في: المرجع نفسه: 9/367- 412.

2 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص27.

3 . علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص22، 23.

4 . ينظر في: التفسير النبوي مقدمة تأصيلية: 1/89- 91.

5 . ينظر في: قواعد التفسير (النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى): ص85.

المتعلقة بعلوم الحديث تسري على ما رُوِي في التفسير، وهي بهذا تضبط جانبا من التفسير، وتبقى قاصرة بالنسبة للعملية التفسيرية ككل.[1]

الفرع الرابع: علاقته بعلوم اللغة

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ولا سبيل لفهمه إلا كلام العرب وأساليبهم في الخطاب، وإلى هذا أشار الإمام الشاطبي[2] فقال: « ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له، ضل عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه.»[3]

فاللغة العربية وعلومها تُعدّ مصدر من مصادر التفسير، فقد "كان العرب والمسلمون يتلقون القرآن، ويفهمون معانيه بما يمتلكونه من فصاحة وبلاغة، ويتولى رسول الله ﷺ ، بيان ما تضمنه من معان جديدة، ومع توسع البلاد ودخول الأعاجم ظهرت الحاجة للضبط اللغوي لفهم القرآن، فبدأ الاهتمام المبكر باللغة العربية وعلومها، كالنحو والمعاجم والبلاغة، ويعزز ذلك الحاجة إليها في فهم القرآن، فأفردت مصنفات لغوية خاصة بالقرآن، كغريب القرآن ومعانيه، والوجوه والنظائر، وإعجاز القرآن وإعرابه، ولم يعد ممكنا الفصل في تلك المرحلة بين دراسة اللغة العربية والقرآن، تطورت تلك العناية اللغوية بالقرآن لتصبح منهجا خاصا بتفسير القرآن، عرف حديثا بالتفسير اللغوي."[4]

وكل ما حوته علوم اللغة من مباحث ومسائل وقواعد يعتبر" مادة صالحة لبناء القواعد، وتأصيل الضوابط التي يمكن أن تكون قوانين لغوية لوجوه فهم القرآن، يُعتمد عليها عند التفسير، ويرجع إليها عند الخلاف لتكون حَكما في تمييز الفهوم صحيحها من سقيمها."[5]

---

1 . ينظر في: جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1670، 1671.

2 . أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي، محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر، من أئمة المالكية، مات في شعبان من سنة 790هـ، من مؤلفاته: عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول، الاتفاق في علم الاشتقاق. ينظر في: الأعلام:75/1. معجم المؤلفين: 118/1.

3 . الموافقات في أصول الشريعة: ص265.

4 . قواعد التفسير (النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى): ص86.

5 . علم أصول التفسير محاولة في البناء: 26/1.

" وعلى هذا تعدّ علوم اللسان العربي بجميع أنواعها من المصادر الأساسية لأصول التفسير، لصلتها الوثيقة بالنص القرآني، كما يمكن اعتبارها مادة صالحة لبناء القواعد وتأصيل الضوابط التي تعين على فهم القرآن."[1]

الفرع الخامس: علاقته بأصول الفقه

إن علاقة أصول الفقه بأصول التفسير تكمن في اشتراكهما في تناول الآيات القرآنية بالدراسة، وضبط سُبل الاستنباط منها، ولهذا تجد مَن يعُدّ كتابَ الرسالة للإمام الشافعي أول تأليف في أصول التفسير[2]، وخصوصا حين " تحدث فيها عن الكتاب والسنة، وعن مراتب البيان، كما تحدث فيها عن الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والمجمل والمفصل، والأمر والنهي، وهذه كلها مشتركة بين أصول الفقه وأصول التفسير."[3]

وقد اهتمّ المفسرون بالأحكام الشرعية في محاولة للتأصيل لها من منطلق الوحي الرباني والمصدر الأول للتشريع، فكانت عنايتهم بآيات الأحكام عناية خاصة، وقد ساروا في تفسيرها على طريقتين: فمنهم مَن أتى بها مع غيرها، وأفردها بالعناية والتوجيه عند استنباط الأحكام، مثل تفسير القرطبي، ومنهم مَن أفرد آيات الأحكام بالتفسير، كأحكام القرآن للجصاص، ولابن العربي.[4]

وبهذا يمكن القول أن " هناك قدرا مشتركا بين أصول التفسير وأصول الفقه، وبالذات في الكلام عن المصدر الأول: القرآن الكريم، المتفق عليه من مصادر التشريع في مباحث معيّنة، مع وجود قدر من التداخل غير قليل بين ما يذكر في أصول التفسير وأصول الفقه من عوارض الألفاظ كالخصوص والعموم، وغيرها. غير أن الأصولي لا يتطرق لكل ما يتصل باللفظ من

1 . جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1667.

2 . ينظر في: أصول التفسير وقواعده: ص35. التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص17. قواعد التفسير (النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى): ص87.

3 . أصول التفسير وقواعده: ص35.

4 . ينظر في: أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص734.

أحوال، كالإعراب والبناء والتصريف والتنكير والتعريف ... بينما المفسّر يهتم بها أيّما اهتمام، ... بالإضافة إلى وجود قدر مشترك بين أصول التفسير وأبواب التعارض والترجيح في أصول الفقه."[1]

وما يجعل أصول الفقه يرقى لدرجة أن يكون أساسا ومستندا لأصول التفسير أحد أمرين؛

أولها: " أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة. ...

الثانية: أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها."[2]

وغدا بذلك أصول الفقه علما لا يمكن للمفسر أن يخوض في التفسير دون التمكن منه، وغدا كل مصنف في قواعد التفسير يستعير تلك القواعد من علم أصول الفقه.[3]

فهذا خالد السبت قد اعتمد في استخرجه لقواعد التفسير على قرابة سبع وستين كتابا متعلقا بأصول الفقه، والقواعد الفقيه، زيادة على الكتب الأخرى التي اعتمد عليها.[4]

فنقطة الالتقاء بين أصول التفسير وأصول الفقه تكمن في ما يعيننا على فهم النص القرآني بمعرفة معانيه وتفسيره، فالمفسّر ليس بحاجة إلى معرفة علم أصول الفقه بأكمله وتطبيقه حال التفسير، وإنما يحتاج إلى مباحث ومسائل محدّدة.[5]

ولهذا تُعدّ كتب أصول الفقه من مصادر أصول التفسير، إلا أنها لم تغطِ كلّ الجوانب التفسيرية، إذ اهتمّت بالجانب الشرعي من القرآن، وبقيت جوانب أخرى جديرة بالاهتمام والتبيين.[6]

1 . المرجع نفسه: ص732.

2 . التحرير والتنوير: 26/1.

3 . ينظر في: قواعد التفسير (النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى): ص88.

4 . ينظر في: قواعد التفسير جمعا ودراسة: 3/1، 4.

5 . ينظر في: أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص733، 739.

6 . ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص26. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1662.

وهكذا نلاحظ أنه ما من علم من العلوم التي لها علاقة بالعملية التفسيرية، إلا وله دور في التأسيس لأصول التفسير، بل تكاد تجزم أنّ أغلبية القواعد التفسيرية مستمدة منها، إلا أن التطبيق لهذه القواعد في التفسير يختلف عن تطبيقها في مجالها الأصل.

فـ" القاعدة في الإطار التفسيري توظف جنبا إلى جنب مع قواعد بلاغية وعقدية وأخلاقية واجتماعية وتربوية انسجاما مع موضوعات الوحي وقضاياه."[1]

1 . قراءة في أصول التفسير وقواعده: ص559.

المبحث الثالث: موضوعات أصول التفسير

إنّ الناظر في المؤلفات التي كُتبت في أصول التفسير يُلاحظ كثرة وتنوع الموضوعات الواردة فيها، واختلاف هذه الموضوعات من كتاب لآخر، " إذْ ضَربتْ المؤلّفاتُ في اتجاهات متفاوتة، وسارت في مسارات مختلفة، وكان بينها تداخل شديد على مستوى التناول للموضوعات والمباحث، فما يُعَدُّ في بعضها موضوعا جزئيا يعدّ في الآخر موضوعا متكاملا، وما يوضع تحت تبويب معين في مؤلَّف يوضع تحت تبويب آخر في مؤلَّف غيره، وما يكون مندرجا تحت تصنيف رئيس في مؤلَّف يكون هو تصنيفا رئيسا في مؤلَّف آخر."[1]

الأمر الذي يجعل الوقوف على موضوعات محددة وواضحة لأصول التفسير عسيرا، ذلك أن " أصول التفسير كانت ميدانا متّسعا، ليس له أطر كلية تحكمه، إلا الرؤية الخاصة المستنبطة في ذهن كل مؤلِّف، بحيث صحّ لكل المؤلّفين نسبة هذه الموضوعات إلى أصول التفسير دون بيان أسباب تلك النسبة، وصحّ لكثير منهم أن يضيف ما يشاء من موضوعات ومباحث مع نسبته ذلك إلى أصول التفسير."[2]

وكما قال مساعد الطيار: «ليس هناك تحديد دقيق لموضوعات هذا العلم، وذلك لأن النظر إلى موضوع (أصول التفسير) يختلف من مؤلّف لآخر.»[3]

وبناء على ما ورد في التفاسير محل الدراسة من موضوعات أصول التفسير، ومن خلال مقدماتهم، وكذا تطبيقاتهم، وما ورد منها في مقدمة الإمام ابن تيمية، وبالاستعانة بالرسم البياني[4] لموضوعات أصول التفسير في المؤلفات، يمكننا أن نقول أنّ أصول التفسير تشمل كل ما له علاقة بالعملية التفسيرية، وما على المفسر معرفته وعلمه قبل الشروع في التفسير، سواء كانت مقدمات أولية تأثيرها غير مباشر على التفسير، ولكن من خلالها يمكن للمفسر أن يختار الطريقة والمنهجية

1. أصول التفسير في المؤلَّفات: ص137، 138.
2. المرجع نفسه: ص157.
3. فصول في أصول التفسير: ص14.
4. ينظر في: أصول التفسير في المؤلفات: ص142.

التي سيسير عليها أثناء تفسيره، أو كانت قواعد تفسيرية لها الأثر المباشر على التفسير، وعليه تكون موضوعات أصول التفسير كالتالي:

- ✓ مقدمات علمية تعريفية بهذا العلم.
- ✓ آداب المفسر.
- ✓ استمداد التفسير.
- ✓ أنواع التفسير وطرقه.
- ✓ الاختلاف في التفسير.
- ✓ قواعد التفسير.

أمّا بالنسبة للمقدمات العلمية التعريفية فإنّ الكتابة في أي علم من العلوم لا تخلو منها[1]، وكذلك الأمر بالنسبة لأصول التفسير، فهو يحتاج كباقي العلوم إلى التعريف بمصطلحات العلم، ومن ضمنها التعريف بالتفسير، وكذلك نشأته وتطوره، وطبقات المفسرين، ونحو هذا.

ومن المعلوم أن المتقدمين من العلماء لم يكن لهم اهتمام بالتعريفات الاصطلاحية لِما هم بصدد التأليف فيه، ومن بينهم مؤلفي التفاسير محل الدراسة، إذ تأخر التأليف في أصول التفسير إلى القرن الثامن الهجري .كما سبق الذكر . لذا تجدنا لا نقف على مقدمات علمية لأصول التفسير عندهم.

ومع هذا فيمكننا اعتبار ما ذكره الإمام ابن سلام في مقدمته من آثار[2]، أنها تدخل في مسألة نشأة التفسير أو طبقات المفسّرين، وهو من المباحث التي يمكن إدراجها ضمن التقديم العلمي لأصول التفسير.

وسنتطرق بشيء من التفصيل والبيان لأهم موضوعات أصول التفسير من خلال ما بين يدينا من تفاسير مغاربية محلّ الدراسة.

1 . التحرير في أصول التفسير: ص19.

2 . ينظر في: تفسير هود بن محكم: 71/1.

الفصل الثاني
استمداد التفسير وأنواعه عند المفسرين الغاربة

ويتضمن مبحثين

- المبحث الأول: استمداد التفسير عند المفسرين الغاربة
- المبحث الثاني: أنواع التفسير عند المفسرين الغاربة

المبحث الأول: استمداد التفسير عند المفسرين المغاربة

استمداد العلم يراد به: "توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدوّنيه، لتكون عونا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد، من تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المَدد، والمَدَد العون والغواث، فقرنوا الفعل بحرفيْ الطلب وهما السين والتاء."[1]

وقد يسمّى بشروط المفسّر[2]، " وتسميتها بالشروط فيه تجوّز، لأنّ الشرط كما هو معلوم يلزم من عدمه العدم، كما يلزم من وجوده الوجود، وهذا لا ينطبق على ما يُذكر، وتسميتها بالعلوم التي يحتاجها المفسّر أولى من تسميتها بالشروط."[3]

وإلى هذا الأمر أشار الإمام يحي بن سلام في مقدمته إلى العلوم التي يحتاج إلى معرفتها المفسّر، حيث قال: « ولا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار، والعربية.»[4]

كما أنّ مقدمة الإمام مكي بن أبي طالب جاءت زاخرة بشتى أنواع العلوم التي يُرتَكز عليها في التفسير، فقد قال: « جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ، أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره؛ من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها.»[5]

فما يمكن ملاحظته هو: تركيزه على التفاسير السابقة، وجملة من علوم القرآن، وعلوم اللغة.

---

1. التحرير والتنوير: 18/1.
2. ينظر في: الإتقان في علوم القرآن: ص2274- 2321. بحوث في أصول التفسير: ص247- 252. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص190- 208. التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص27- 32. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص143- 157.
3. ينظر في: جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1611.
4. تفسير ابن أبي زمنين: 114/1. وينظر في: تفسير هود بن محكم: 71/1.
5. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص72.

وقد قال أيضا: « جعلته هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إلي من علم كتاب الله تعالى ذكره، مما وقفتُ على فهمه، ووصل إلي علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفقهاء ومجالس القراء، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات، ومباحثات أهل النظر والدراية.»[1]

وما نستشفه من علوم من خلال قوله: علم القراءات، وعلوم الحديث، وأصول الفقه.

كما وذكر أهمّ المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره، فقال: « جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله . وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره، وغرائبه، ومكنون علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر، مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية.»[2]

وبناء على ما سبق يمكن إجمال مصادر التفسير، وما يحتاجه المفسّر من علوم في:

التفاسير السابقة، علوم القرآن وخاصة: أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، المكي والمدني، والقراءات، علوم الحديث والسيرة النبوية، علوم اللغة، وأصول الفقه.

"وليس كل ما يذكر في العلم معدودا من مَدده، بل مَدده ما يتوقف عليه تقوّمه، فأما ما يورد في العلم من مسائل علوم أخرى عند الإفاضة في البيان، ... فلا يُعدُّ مَددًا للعلم، ولا ينحصر ذلك ولا ينضبط، بل هو متفاوت على حسب مقادير توسع المفسّرين ومستطرداتهم."[3]

ولتتأكد أهمية الرجوع لهذه العلوم سنتتبع تطبيقات المفسّرين لها في تفسيرهم للقرآن الكريم.

1. المصدر نفسه: ص72.
2. المصدر نفسه: ص74، 75.
3. التحرير والتنوير: 18/1.

المطلب الأول: المصنّفات في التفسير

يعدّ اطلاع أيّ مفسّر على ما بين يديه من تفاسير أمراً بديهيا ولا يختلف فيه اثنان، واعتماد المفسّرين على ما سبقهم من تفاسير ملحوظ وظاهر، خاصة في عرض الأقوال المختلفة لتفسير الآيات القرآنية، أو مناقشتها، أو الترجيح في ما بينها، أو الاختيار.

وقد كان الإمام يحي بن سلام جُلّ اعتماده على التفاسير السابقة، وهي كل ما وصله من تفاسير للصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولكونهِ من المتقدمين، ومِن أوائل مَن كتب في التفسير، تجد أغلب تفسيره مروي بالسند لأصحابه، ولا تجد عنده أيّ ذكر لمصنّفات في التفسير، فهو مصدر لمن جاء بعده.

وكذلك استفاد الإمام أبو العباس الباغائي ممن سبقه من تفاسير، وإن لم نعثر على تصريح منه بأي مؤلَّف، إلا أنه كثيرا ما ينقل عنهم، بقوله: (قال بعضهم)، و(قال بعض العلماء)، فهو " لم يشر في كتابه إلى أنه رجع إلى كتب في الأحكام أو غيرها، فأتى كتابه خاليا من المراجع أو حتى التصريح بأسماء الأئمة الأعلام."[1]

وهذا بعض مما جاء في تفسيره:

1. قال عند قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾[النور: 29]:

« قال بعضهم: هي الفنادق، وحوانيت التجار المنتصبين للبيع والشراء، لأن الفنادق مُشتركة، وحوانيت التجار مفتوحة للداخلين فيها للبيع والشراء.

وقال بعضهم: يعني بالبيوت التي غير مسكونة: الخرب الخالية يدخلها الإنسان لبَولٍ أو غائط.»[2]

2. وعند قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[القصص: 77]، قال: « قال بعضهم: لا تنس عمل الحلال واطلبه.

وقال بعضهم: لا تنس العمل بما أنعمتُ عليك به بطاعتي.

1 . تفاسير آيات الأحكام ومناهجهم: ص180.

2 . أحكام القرآن: ص256.

وقال بعضهم: لا تنس نصيبك من الدنيا الذي ينفعك في الآخرة.»[1]

3. وكذلك عند قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[الأحزاب: 6]، قال: « معنى هذه الآية فيها أقوال:

قال بعض العلماء: إنّ النبي ﷺ قال: « **أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن مات وعليه ديْن . قال . أنا أقضي عنه، وإن ترك مالاً فلورثته.**»[2]

وقالوا: كان النبي ﷺ إذا مات أحد وعليه ديْن، لم يصلّ عليه، فلمّا فتح الله عليه قال هذا القول، فكان يقضي عن الميّت ديْنه ويصلّي عليه.

وقال بعضهم: أمر النبي ونهيه أوْلى بالاتّباع من أمر النفس ونهيها.»[3]

أما بالنسبة للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، فقد صرّح في مقدمة تفسيره أنه يعتمد على التفاسير السابقة له. وأهمّ هذه التفاسير التي رجع إليها في تفسيره لكتاب الله العزيز، هي: تفسير (الاستغناء في علوم القرآن) لشيخه أبي بكر الأدفوي[4]، وتفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام أبي جعفر الطبري، وتفسير يحي بن سلام.[5]

كما يلحظ ذلك من خلال كثرة أقوال العلماء في تفسيره، فهو ينسبها إلى أصحابها دون أن يذكر أو يعيّن المؤلَّف الذي أخذ منه في الغالب[6]، أو ينقل أقوالهم مباشرة دون أيّ إشارة لهم، أو لتفاسيرهم، فتجدنا لا نعثر على أيّ ذكر لشيخه أبي بكر الأدفوي، ولا لكتابه . في ما بين يدينا من تفسيره للدراسة .، رغم ذكره في المقدمة بأنه أكثر التفاسير التي استعان بها، كما لا نجد

1 . المصدر نفسه: ص270.

2 . أخرج نحوه مسلم في صحيحه: باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: 866، 592/2.

3 . أحكام الفرآن: ص278.

4 . أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي، المصري، النحوي، المفسّر، صحب أبا جعفر النحاس وأخذ عنه وأكثر، وروى كل تصانيفه، وأخذ عن غيره من أهل العلم، فكان سيد أهل عصره، قرأ عليه الأجلاء، واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء، وصنف في التفسير كتبا مفيدة، منها كتابه «الاستغناء» وهو أكبر كتاب صنف في التفسير، جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع بغيره، وكانت وفاته سنة 388هـ. ينظر في: معجم الأدباء: 2570/6، 2571. طبقات المفسرين للسيوطي: ص112. الأعلام: 274/6.

5 . ينظر في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ص74.

6 . ينظر في: منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص140.

ذكرا للإمام يحي بن سلام، ولا لتفسيره، ويُؤخذ له العذر بأنه ذكر في مقدمته أهمّ المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره، وذلك من باب الأمانة العلمية، أو لأنه كان ينقل معنى كلامهم، وفحواه، وقد أشار إلى هذا في مقدمة تفسيره، إذ قال: « وترجمت عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه، وربما ذكرت ألفاظهم بعينها ما لم يشكل.»[1]

وكذلك الأمر فيما يخصّ تفسير الإمام الطبري، فالإمام مكي لا ينقل عنه حرفيّا، مع استفادته منه كثيرا، فهو يذكر أقوال الإمام الطبري، وآراءه، واختياراته، وتجده تارة مؤيدا، وتارة أخرى ناقدا.

وفي ما يلي نماذج من تفسيره ذُكِر فيها الإمام الطبري:

1. ذكر الإمام مكي عند قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا﴾[النحل: 69]، الأقوال المختلفة في كلمة ﴿ذُلُلٗا﴾، هل هي حالاً من السبل، أم حالاً من النحل، أي من الضمير في ﴿فَٱسۡلُكِي﴾، ثم قال: « واختار الطبري أن يكون حالاً من السبل لقربه منها.»[2]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾[الإسراء:31] قال: « هذا نهي عما كانت العرب تفعله. كانت تقتل البنات خوف الفقر والإملاق والفاقة، فأخبرهم الله عزّ وجلّ أن أرزاقهم وأرزاق أولادهم على الله عزّ وجلّ. وتقتلوا في موضع نصب عطف على: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾[الإسراء: 23]، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ﴾. وقيل: هي في موضع جزم على النهي. وكذلك: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[الإسراء: 32].

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ﴾ وما بعده هو كله عند الطبري منصوب محمول على ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾، وينقض عليه هذا التقدير قوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾[الإسراء: 36]، وقوله: ﴿وَلَا تَمۡشِ﴾[الإسراء: 37]، فهذا مجزوم على النهي بلا اختلاف، فما قبله مما عطف عليه مثله مجزوم وعلى ذلك أكثر العلماء، وهو الصواب إن شاء الله عزّ وجلّ.»[3]

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص73.

2 . المصدر نفسه: ص4035.

3 . المصدر السابق: ص4188، 4189.

3. وعند قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأحزاب: 6]، قال: « أي: وأولوا الأرحام الذين ورثت يا محمد بعضهم من بعض أولى بالميراث من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون بالهجرة دون الرحم. هذا قول الطبري.»[1]

ومن بين التفاسير التي أخذ منها مكي بن أبي طالب، وإن لم يذكرها في مقدمة تفسيره، ولربّما لقلة الأخذ منها، تفسير الجعفي[2]، حيث قال عند قول الله تعالى ذكره: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[مريم: 59]: « وقد ذكر الجعفي في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: هم ناس يظهرون في آخر الزمان من قبل المغرب،

وهم شر من يملك، وذكر اسمهم.»[3]

كما نجد ذكرا لتفسير الدمياطي[4]، عند قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: 35]، إذ قال: « وفي هذه الآية، قول غريب منه ما يوافق ما تقدم، ومنه ما يخالف. ذكره الدمياطي في تفسيره.»[5]

فمن خلال ما سبق من عرض يتبّن مدى إحاطة واطلاع المفسرين المغاربة على الأقوال التفسيرية التي قيلت في تفسير الآيات القرآنية، ليتسنى لهم الإدلاء برأيهم ووجهة نظرهم في التفسير، كما تتأكد أهمية الرجوع للمصنفات التفسيرية السابقة، وكيف يُستفاد منها سواء في تفسير الآيات أو مناقشة الأقوال وغيره.

---

1. المصدر نفسه: ص5787.

2. عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الحافظ أبو جعفر الجعفي، البخاري، المسندي، لقب بذلك لأنه كان يعتني بالمسند ويزهد في المرسل، سمع من سفيان بن عيينة، وإسحاق الأزرق، ومروان بن معاوية، وأقدم أشياخه الفضيل بن عياض، وروى عنه البخاري، و أبو زرعة، وأبو حاتم، ومحمد بن يحي الذهلي، توفي سنة 229هـ. ينظر في: الوافي بالوفيات: 236/17.

3. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4561.

4. أبو محمد بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع الإمام، المحدث، الهاشمي مولاهم، الدمياطي، المفسر، المقرئ. سمع نعيم بن حماد، وعبد الله بن يوسف التنيسي، وطائفة. قرأ عليه: أبو الحسن بن شنبوذ، وزكريا بن يحي الأندلسي. وحدّث عنه: أبو جعفر الطحاوي، وأبو العباس الأصم، وعلي بن محمد الواعظ، وخلق كثير. توفي سنة 289هـ. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 425/13- 427. حسن المحاضرة: 367/1.

5. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5109.

المطلب الثاني: علوم القرآن

نعلم أنّ علوم القرآن كثيرة ومتنوعة، فمنها ما ليس له علاقة بالتفسير من ناحية البيان والتوضيح للآيات، إلا أنّ هنالك من المفسّرين من يوردها في تفسيره من باب الاستطراد والإثراء، وزيادةُ حفظٍ للعلوم، وذلك كأسماء السور وفضائلها ، وعدد آياتها، والوقف والابتداء، وغيرها.

ومنها ما له علاقة وطيدة ولصِيقة بالتفسير، بحيث يكون الجهل بها موقعا في الخطأ والزلل في التفسير، وأهمّها: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وغيرها.

وفي الآتي سيكون التركيز على الأهم منها بالنسبة للتفسير، وذلك بحسب كثرة ورودها في التفاسير محل الدراسة.

الفرع الأول: أسباب النزول

أسباب النزول هي: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه، أو مبيّنة لحُكمه أيام وقوعه.

والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتّصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال."[1]

وقُيّد التعريف بـ (أيام وقوعه)، لتتميّز الآيات النازلة لسبب ما، عن الآيات التي نزلت ابتداء دون سبب، والمتحدّثة عن بعض الوقائع والأحوال الماضية، أو المستقبلة، كبعض قصص الأنبياء السابقين وأممهم، وغيره من المواضيع.[2]

ولقد اهتم به المفسرون أيّما اهتمام، فكم من آية لا يتم بيانها بالوجه الصحيح إلا بمعرفة سبب نزولها. فقد ذكر الإمام الواحدي[3] أنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[4]

---

1 . مناهل العرفان في علوم القرآن: 89/1.

2 . المرجع السابق: 91/1.

3 . أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الإمام، العلامة، المفسّر، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي وأكثر عنه، كما أخذ عن خلق كثر. تصدر للتدريس مدة، وعظم شأنه، حدَّث عنه: أحمد بن عمر الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري، وطائفة أكبرهم الخواري. وله مصنفات عديدة منها: التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وكتاب أسباب النزول. مات سنة 468هـ. ينظر في: سير أعلام النبلاء: 339/18- 342. غاية النهاية في طبقات القراء: 463/1. الأعلام: 255/4.

4 . ينظر في: أسباب النزول: ص8.

وقال الإمام ابن تيمية: « ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.»[1]

ولهذا تجد الإمام ابن سلام يعتمد اعتمادا كبيرا على أسباب النزول في تفسيره، فمثلا:

1. عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل: 110]، قال الإمام يحي بن سلام: « تفسير الحسن: أنهم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة، فارتدوا عن الإسلام، وشكوا في نبي الله ﷺ، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا، فنزلت هذه الآية.

سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا، كتب بذلك المسلمون إلى أصحاب لهم بمكة، وخرجوا فأدركهم المشركون فردوهم، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[العنكبوت: 1-2] والآية الأخرى التي بعدها، فكتب بها أهل المدينة إلى أهل مكة، فلما جاءهم ذلك تبايعوا أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون أن يقاتلوهم حتى يلحقوا بالله أو ينجوا، فخرجوا، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾[النحل: 110] إلى آخر الآية."[2]

2. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء: 214]: « تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصفا، وقريش في المسجد، ثم نادى: يا صباحاه، ففزع الناس، فخرجوا، فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟ فقال: يا آل غالب، قالوا: هذه غالب عندك، ثم نادى: يا أهل لؤي، ثم نادى: يا آل كعب، ثم نادى: يا آل مرة، ثم نادى: يا آل كلاب، ثم نادى: يا آل قصي، فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين، انظروا ماذا يريد، فقال له أبو لهب: هؤلاء عشيرتك قد حضروا، فما تريد؟ فقال رسول الله ﷺ: " أرأيتم لو أنذرتكم أن جيشا يصبحونكم أصدقتموني؟ قالوا: نعم، قال فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله، فقال أبو لهب:

1 . مقدمة في أصول التفسير: ص47.

2 . تفسير يحي بن سلام: 93، 94.

تبا لك، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[المسد: 1]، فتفرقت عنه قريش، وقالوا: مجنون يهذي من أم رأسه.»[1]

3. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾[الصافات: 63] قال الإمام يحي بن سلام: « ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾ للمشركين.

سعيد، عن قتادة، قال: لما نزلت هذه الآية دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات: 64] إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات: 67-68]، قال يحي: أخبرني صاحب لي عن السدي قال: لما نزلت: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾[الصافات: 62]، قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبعرى: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية، فلما نزل: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[الصافات: 64-65] قالوا ما يشبه هذه التي يصف محمد ما قال ابن الزبعرى.»[2]

وكذلك الإمام أبي العباس الباغائي وعلى وجازة تفسيره، واختصاصه بآيات الأحكام، فإن أسباب النزول كانت حاضرة في تفسيره، نذكر منها:

1. قال الإمام أبو العباس الباغائي عند تفسير قول الله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: 6]: « قال عبد الله بن مسعود: هو والله الذي لا إله إلا هو الغناء. وكذلك قال جماعة غيره.

قال بعضهم: هذا نزل في رجل من قريش، كان يدرس أخبار فارس والروم ويقول: محمد يحدّثكم عن عاد وثمود، وأنا أخبركم عن فارس والروم.»[3]

2. وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[الأحزاب: 4]: « وقال بعضهم: كان رجل من بني فِهر يقول: إنّ في جوفي قلبيْن أعلم بكل قلب منهما أكثر من علم محمد ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾

1 . المصدر نفسه: 527، 528.

2 . المصدر السابق: ص833.

3 . أحكام القرآن: ص274.

وقال بعضهم: كان رجل في أيام النبي ﷺ لا يسمع شيئا إلا وعاه، فكان يسمّى ذا القلبيْن، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾.»[1]

3. وكذا عند تفسير قول المولى عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[الأحزاب: 53]: « هذا لأن رجلا من أصحابه قال: إذا مات رسول الله تزوّجتُ عائشة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذا.»[2]

أما الإمام مكي بن أبي طالب فقد أكثر من ذكر وحشد الروايات الواردة في سبب نزول الآي، وكان هذا من بين الأغراض التي من أجلها ألّف تفسيره[3]، وكانت سمة بارزة في تفسيره، وهذا بعض مما ذَكَرَ:

1. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[النحل: 106]، قال: « هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، ووالده ياسر، وأمه سمية، وخباب بن الأرت، وسلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة، والمقداد بن الأسود، وقوم أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعضهم... وقال ابن عباس وقتادة: نزلت في عمار بن ياسر، قال قتادة: أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون، وقالوا: أكفر بمحمد ﷺ فتابعهم على ذلك وقلبه كاره موقن بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾.»[4]

2. وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص:56]: « ويروى: أن هذه الآية: نزلت على النبي ﷺ لما امتنع عمه أبو طالب من إجابته إذ دعاه إلى الإيمان.

1 . المصدر السابق: ص277.

2 . المصدر نفسه: ص281.

3 . ينظر في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ص73.

4 . المصدر السابق: ص4091- 4093.

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال لعمه أبي طالب عند الموت: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني، قريش. يقولون ما حمله إلا جزع الموت أقرت عينك بها؟ فنزلت الآية﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

وروى سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه النبي ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله: يا عم: قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه، ويعيد تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: « أما والله لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك»، فأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[القصص:56] وأنزل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: 113] الآيات.»[1]

3. وعند تفسير قول المولى عزّ وجلّ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[الأحزاب: 23]، قال: « ويروى أن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدو بدراً، فعاهدوا الله إن لقوا قتالاً للمشركين مع رسول الله أن يبلوا من أنفسهم، فشهدوا ذلك مع رسول الله، فمنهم من وفى فقضى نحبه، ومنهم من بدّل وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾[الأحزاب: 15] الآية، ومنهم من وفى ولم يقض نحبه فهو منتظر للموت.

قال أنس: تغيَّب أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: تغيَّبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وهزم الناس لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجد ريح الجنة فتقدم فقَاتَل حتى قُتِلَ، فنزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقال أنس: فوجدناه بين القتلى به بعضاً وثمانين جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته.»[2]

1. المصدر السابق: ص5554، 5555.

2. المصدر نفسه: ص5816، 5817.

فهذا نزر من بحر أسباب النزول التي أوردها المفسرون في تفسيرهم، الأمر الذي يؤكد على ضرورة أن يكون المفسّر على دراية واطلاع بأسباب نزول الآي القرآني، وللاستفادة منها.

الفرع الثاني: الناسخ والمنسوخ

" النسخ هو زوال شرع بشرع متأخر عنه.

والناسخ: هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم.

والمنسوخ: هو الحكم الزائل بخطاب متأخر بعد ثبوته بخطاب متقدم."[1]

" قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسّر كلام الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ."[2]

ولذا كانت عناية المفسّرين به آكدة، وذكرهم له في تفسيرهم واضحا.

فالإمام يحيى بن سلام أكّد على الاهتمام به في مقدمة تفسيره ـ كما رأينا ـ كما كانت له عناية به في ثنايا تفسيره، وهذه أمثلة منه:

1. قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[الإسراء: 24]: «هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا مشركين فلا تقل: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾، هذا الحرف منسوخ نسخه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[التوبة: 113]»[3]

2. وورد عند تفسير قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[العنكبوت: 46] أنّه قال: « سمعت سعيدا يذكر عن قتادة، قال: أي: بكتاب الله، قال: نهى الله عن مجادلتهم في هذه الآية ولم يكن يومئذ أمر بقتالهم ثم نسخ ذلك فأمر بقتالهم فلا مجادلة أشد من السيف، فقال في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[التوبة: 29].

همام عن قتادة، قال: أمر بقتالهم حتى يسلموا أو يقروا بالجزية.»[4]

---

1 . معجم علوم القرآن: ص291

2 . البرهان في علوم القرآن: 158/2. وينظر في: الإتقان في علوم القرآن: ص1435.

3 . تفسير يحيى بن سلام: ص127.

4 . المصدر السابق: ص633.

3. وكذلك قال: « وأما قوله: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾[الأحزاب: 49] فهو منسوخ إذا كان قد سمّى لها صداقا إلا أن يكون لم يسم لها صداقا فيكون لها المتعة ولا صداق لها، فإن كان سمّى لها صداقا ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فإن لها نصف الصداق ولا متعة لها، نسختها الآية التي في البقرة: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[البقرة: 236، 237] ولا متاع لها إلى آخر الآية.

سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: جعلت لها المتعة في هذه الآية، فلما نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ جعل لها النصف ولا متاع لها وهو قول قتادة، وبه يأخذ يحيى.

وقال الحسن: ليست بمنسوخة لها المتاع.

وقد حدثني قرة بن خالد، عن الحسن أنه كان يقول: لها المتاع، وليست بمنسوخة.

والعامة على أنها منسوخة.»[1]

وكذلك اهتم الإمام أبو العباس الباغائي بالناسخ والمنسوخ في تفسيره، ومن النماذج التي نوردها على ذلك:

1. من سورة النحل، قال: « قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[النحل: 67]، هذه الآية منسوخة، وقد ذكرناها[2].»[3]

2. وقال عند تفسير قول العزيز الحكيم: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور: 2]: «والمحصن إذا زنى رُجِمَ ولا يحدّ، وقد جاء في الحديث أنه يحدّ قبل الرجم، ثمّ نسخ ذلك بحديث آخر.»[4]

---

1. المصدر السابق: ص727، 728.

2 . ذكرها عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، ينظر في أحكام القرآن: ص 83.

3 . المصدر نفسه: ص229.

4 . المصدر نقسه: ص249.

3. وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[الأحزاب: 6]، قال: « وقد ذكرنا[1] أن هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة، والحلف، والمؤاخاة.»[2]

وأما عن الإمام مكي، فقد كان من بين أغراضه من تأليفه للتفسير تبيين الناسخ والمنسوخ[3]، وهذه نماذج مما ذكر:

1. لما فسّر قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: 70]، قال: « وقيل: هذه الآية منسوخة بالتي في النساء، قاله زيد بن ثابت، وذكر أن آية النساء التي نزلت بعد آية الفرقان بستة أشهر.

وقال الضحاك: بين السورتين ثماني حجج.

وذكره تعالى للإيمان مع التوبة يدل على أنه محكم في الكفار، وآية النساء إنما هي في المؤمنين يقتلون المؤمنين فكلاهما محكم غير منسوخ في وجه النظر.»[4]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء: 227]، قال: « وأدخل الضحاك هذه الآيات في الناسخ والمنسوخ. فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، نسخت ما قبلها. والصحيح أنه استثناء والاستثناء عند سيبويه بمنزلة التوكيد لأنه يبين به، كما يبين بالتوكيد.»[5]

3. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[القصص:55]: « وقال بعض العلماء: الآية منسوخة، نهى النبي ﷺ عن الابتداء بالسلام على الكفار. وهذا لا يصح لأن الآية ليست من السلام الذي هو تحية، إنما هو من المتاركة والمباراة.

---

1 . ذكرها عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء: 33]. ينظر في: المصدر نفسه: ص141، 142.

2 . المصدر نفسه: ص278.

3 . ينظر في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ص73.

4 . المصدر السابق: 5259، 5260.

5 . المصدر نفسه: ص5364.

وقال جماعة: هي منسوخة بالأمر بالقتال.

وقيل: الآية محكمة، وإنما هذا قول حسن ومخاطبة جميلة.»[1]

ومما وقفنا عليه من نماذج تبيّن مدى اطلاع المفسّرين المغاربة واهتمامهم بالناسخ والمنسوخ، وكيف استفادوا منه في التفسير.

كما وتتأكد أهمية إلمام المفسّر بالناسخ والمنسوخ، إذ هو علم عظيم، يُرتكز عليه في الاهتداء إلى الأحكام الشرعية الصحيحة، خصوصا إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها.[2]

الفرع الثالث: المكي والمدني

للمكي والمدني ثلاث اصطلاحات بيّنها العلماء[3]:

الأول: اعتُبر فيه المكان، أي: المكي ما نزل بمكة، وضواحيها كالمنزل بمنى، وعرفات، والحديبية، ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وضواحيها كالمنزل ببدر، وأحد، وسلع.

وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني، كالذي نزل بيت المقدس، أو تبوك.

الثاني: اعتُبر فيه الخطاب أو المخاطبون، فيكون المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

ويرد على هذا أن هناك آيات الخطاب فيها لغير أهل مكة والمدينة، كأن يكون الخطاب فيها للنبي ﷺ.

الثالث: وهو الأشهر والأصح، وقد اعتُبر فيه الزمان، فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة ،عام الفتح، أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار.

1 . المصدر السابق: ص5553.

2 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 136/2.

3 . ينظر في: البرهان في علوم القرآن: 273/1، 274. الإتقان في علوم القرآن: ص45، 46. مناهل العرفان في علوم القرآن: 159/1-161.

فمثال ما نزل بمكة وحكمه مدني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾[الحجرات:13]، نزل بمكة يوم الفتح وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة. وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[المائدة:3].

وإنّ معرفة المكي والمدني تورث فوائد جمّة منها[1]:

- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام.
- تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.
- الثقة بوصول هذا القرآن إلينا سالما من التغيير والتحريف، ولأدلّ على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر، وما نزل بالنهار وما نزل بالليل، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، وما نزل بالأرض وما نزل بالسماء إلى غير ذلك، فلا يعقل أن يتطرق إليه التحريف وهم يحيطون به كل هذه الإحاطة.

وهو باب مهمّ، وبه ترتبط علوم أخرى وتنبني عليه، كالناسخ والمنسوخ، ولهذا يجب على المفسّر أن يكون ملمًّا به، وقد أشار إلى هذا الإمام ابن سلام في مقدمته ـ كما رأينا ـ وذكره ضمن العلوم التي على المفسر معرفتها.

ويمكن اعتبار أنّ الإمام ابن سلام له الفضل في وضع الاعتبار الزمني لتمييز المكي والمدني، حيث قال في مقدمة تفسيره: « وإن ما نزل بمكة وما أنزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي عليه السلام المدينة فهو من المكي، وما أنزل على النبي عليه السلام في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو مدني، وما كان من القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فهو مدني، وما كان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ففيه مكي ومدني، وأكثره مكي.»[2]

1 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 161/1.

2 . نقلا عن: تفسير هود بن محكم: 69/1. وتفسير ابن أبي زمنين: 113/1.

وقد نقل الإمام السيوطي قوله، وأعجب به، وعلّق عليه في الإتقان.[1]

كما استفاد الإمام ابن سلام من المكي والمدني في تفسيره، وهذه نماذج على ذلك:

- لقد كان الإمام ابن سلام عند كل سورة يبيّن مكية أم مدنية، فمثلا:

1. في سورة النحل قال: « تفسير سورة النحل، بسم الله الرحمن الرحيم، وهي من أولها إلى صدر هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾[النحل: 41] مكي، وسائرها مدني.»[2]
2. وقوله في سورة مريم: « تفسير سورة مريم وهي مكية كلها وهي تسعون وثمان آيات.»[3]
3. وكذلك قال في سورة الحج: « سورة الحج وهي مدنية إلا أربع آيات مكيات:

قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[الحج: 52] إلى قوله: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾[الحج: 55]، فإن هذه الأربع آيات مكيات، وما سوى ذلك من السورة فهو مدني.»[4]

- ومن ثنايا تفسيره نذكر:

1. قوله عند تفسير قول المولى عزّ وجلّ: ﴿ مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾[النحل: 118]: «سعيد، عن قتادة، قال: يعني ما قص الله عليه في سورة الأنعام. وهي مكية، وهذا الموضع من هذه السورة مدني، يعني: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ ﴾[الأنعام: 146]، والحوايا: المبعر، ﴿ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖ ﴾ [الأنعام: 146]، وقد فسرناه في سورة الأنعام.»[5]
2. وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾[الفرقان: 52]، قال: « شديدا. ... هذا الجهاد باللسان يومئذ بمكة قبل أن يؤمر بقتالهم.»[6]

1 . ينظر في: الإتقان في علوم القرآن: ص45.
2 . تفسير يحي بن سلام: ص49.
3 . المصدر نفسه: ص213.
4 . المصدر نفسه: ص353.
5 . المصدر السابق: ص96.
6 . المصدر نفسه: ص486.

3. وعند قوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[العنكبوت: 46]، قال: « قال بعضهم: من قاتلك ولم يعطك الجزية، يعني: إذ أُمر بجهادهم.

وإنما أُمر بجهادهم بالمدينة وهذه الآية مكية.»[1]

وقد كان كذلك للإمام مكي اهتماما كبيرا بالمكي والمدني، وهذه نماذج مما جاء في بيان المكي أو المدني من السور القرآنية:

1. قال عند تفسير سورة الإسراء: « سورة سبحان مكية. قال ابن مسعود: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، من العتاق الأول، وهن من تلادي. يريد أنهن نزلن في أول ما نزل من القرآن وهو صغير.»[2]

2. وقال: « سوره مريم مكية. وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة.»[3].

3. وقال: « سورة الفرقان مكية. وقال الضحاك: هي مدنية، وفيها آيتان مكيتان أو ثلاثة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الفرقان: 68] الآيتان، وقيل إلى قوله ﴿كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72].»[4]

ومما جاء في ثنايا تفسيره من المكي والمدني نذكر:

1. قال عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[النحل: 41]: « المعنى: والذين فارقوا دورهم وأوطانهم عداوة للمشركين في الله عزّ وجلّ من بعد ما ظلمهم المشركون وأوذوا في ذات الله سبحانه.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، أي: لنسكنهم في الدنيا مسكناً صالحاً يرضونه. وهم أصحاب النبي ﷺ، ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ثم بوأهم الله عزّ وجلّ المدينة بعد ذلك، فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين، قال ذلك قتادة وابن عباس.

---

1 . المصدر نفسه: ص633.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4121.

3 . المصدر نفسه: ص4487.

4 . المصدر نفسه: ص5171.

وقال الضحاك: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هو النصر والفتح، ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ الجنة.

فالآية: فيمن هاجر من المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة. ليست الهجرة في هذا الموضع: الهجرة إلى المدينة، لأن هذا أنزل بمكة إلى أرض الحبشة.»[1]

2. وقال عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص: 85]: «أي إلى الجنة، قاله ابن عباس، والخدري، وأبو مالك، وأبو صالح، لأن أباه منها خرج، فجاز أن يقال للنبي: إلى معاد فيها، وإن كان هو لم يخرج منها.

وقيل: إنما جاز ذلك لأنه دخلها ليلة الإسراء، فالله تعالى يرده إلى الموضع الذي دخله، ويعود به إليه.

وقال عكرمة، وعطاء، ومجاهد: إلى معاد: إلى يوم القيامة.

وكذلك قال الحسن: معاده الآخرة.

وعن ابن عباس: إلى معاد: إلى الموت، وقاله ابن جبير.

وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد: إلى معاد: إلى مكة، وهو الموضع الذي خرج منه، فكان ذلك بعد مدة، وهذا من دلالات نبوته ﷺ لأنه أخبر بمكة أنه إذا خرج منها سيعود إليها، فكان ذلك. والسورة مكية ورجع إلى مكة بعد هجرته إلى المدينة وبقائه بها تسعة أعوام أو نحوها، وذلك كله بوحي الله جل ذكره إليه بذلك في كتابه بقوله: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص: 85].»[2]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾[يس: 77]، أورد آثارا عن الصحابة والتابعين في تعيين المبهم من الآية، ثم قال: « وعن ابن عباس: أنه عبد الله بن أبي. والسورة مكية وعبد الله بن أبي لم يكن بمكة إنما كان بالمدينة، فأُبي بن خلف أشبه به لأنه بمكة، كان معانداً للنبي ﷺ.»[3]

أما بالنسبة للإمام أبي العباس الباغائي، فلم نعثر على ذِكرٍ للمكي والمدني فيما حدّدناه للدراسة من تفسيره، وهذا لا يعني بالضرورة إغفاله له، أو عدم اطلاعه عليه، بل بالعكس من

1. المصدر السابق: ص3995، 3996.
2. المصدر نفسه: ص5585- 5586.
3. المصدر السابق: ص6072.

ذلك، فاهتمامه بأسباب النزول، وكذا الناسخ والمنسوخ يؤكدان اطلاعه على المكي والمدني، واستفادته منه.

وبهذا تبيّن كيف استفاد المفسرون المغاربة من المكي والمدني في تفسيرهم، وأنّ معرفة المفسرين بالمكي والمدني من القرآن ضرورة ملحة، وذات أهمية بالغة سواء في التمييز بين الناسخ والمنسوخ، أو في الترجيح بين الأقوال التفسيرية للآيات القرآنية، وغيره.

الفرع الرابع: القراءات

عُرّفت القراءات بأنها: " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، بعزو الناقله."[1]

وهي تعتبر من بين العلوم المهمة في التفسير، وقد اهتم بها المفسّرون أيّما اهتمام، وذلك لما لها من زيادة بيان ودلالة على معان مختلفة للآية، فثبوت أحد اللفظين في قراءة، قد يبينُ المرادَ من نظيره في القراءة الأخرى ، أو يثير معنى غيره، فاختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يُكثر المعاني في الآية الواحدة، وكأنّ تعدّد القراءات يقوم مقام تعدّد كلمات القرآن، أما ما تعلق بكيفية أداء الألفاظ القرآنية من: مدّ، وإمالة، وروم، وإشمام، وغيره، فليس له علاقة بالتفسير وبيان المعاني، وإن ذُكر في التفاسير فمن باب الزيادة والاستطراد.[2]

واختلاف القراءات ينتج عنه اختلاف في المعنى، ولذلك كانت أكثر عناية المفسّرين بها من ناحية توجيهها، حتى يسهل عليهم استنباط الأحكام التفسيرية، واللغوية، والفقهية.[3]

ولقد كان الإمام ابن سلام إماما في القراءات، فله اختيار فيها عن طريق الآثار[4]، ومع ذلك لم يصلنا عنه كتاب في هذا العلم، ذلك أنّه ارتبط بعصر لم تتطور فيه التآليف بعد، غير أنّ اهتمامه بالقراءات يظهر من خلال تفسيره، الذي أخذت القراءات حيّزا هاما منه، ومكانةً لا يمكن تجاهلها، ولم يكن مع عنايته بها ينسبها إلى أصحابها المتعارف عليهم اليوم إلا نادرا . إذ لم

1 . منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ص9.

2 . ينظر في: التحرير والتنوير: 51/1- 56.

3 . ينظر في: منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص242.

4 . ينظر في : غاية النهاية في طبقات القراء: 373/2.

تتحدّد القراءات السبع بعد. بل إنّه يشير إلى مقرأ الصحابة، وبعض التابعين كمجاهد والضحاك والحسن البصري وقتادة، وإلى بعض شيوخه، وخاصة أبا عمرو بن العلاء البصري[1].[2]

وفي الآتي نماذج على عناية الإمام يحي بن سلام بالقراءات في تفسيره:

1. عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[النحل: 62]، قال: « مُعْجَلون إلى النار في تفسير الحسن.

أشعث، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير، قال: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ مَنْسِيّون فيها، مُضَيَّعون.

قال السدي: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ ، يعني: وأنهم مسلّمون.

وبعضهم يقرأ هذا الحرف: ﴿وَأَنَّهُمْ مُفَرِّطُونَ﴾[3]، يعني: أنّهم مُفْرِطُونَ كقولهم: ﴿يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[الأنعام: 31]. قال يحي: وكذلك قرأتها عند عمرو.»[4]

2. وعند قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾[الكهف: 16]، قال: « أي: وما يعبدون من دون الله، أي: وما يعبدون سوى الله.

سعيد، عن قتادة قال: هي في مصحف عبد الله: (وما يعبدون من دون الله)، وهذا تفسيرها.»[5]

---

1 . زبان بن العلاء بن عمار بن العريان، الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة.ولد بمكة، ومات بالكوفة سنة 154هـ، أخذ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخ كثيرة منهم أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وأخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي. فهو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر. ينظر في: معجم الأدباء: 1316/3- 1321. غاية النهاية في طبقات القراء: 262/1- 265.

2 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص90. القراءات بإفريقية: ص159.

3 . واختلف في ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ فنافع بكسر الراء مخففة اسم فاعل من أفرط إذا تجاوز, وقرأ أبو جعفر بكسرها مشددة من فرّط قصّر, والباقون بالفتح مع التخفيف اسم مفعول من أفرطته خلفي أي: تركته ونسيته. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ص352. وينظر في: النشر في القراءات العشر: 304/2.

4 . تفسير يحي بن سلام: ص71.

5 . المصدر نفسه: ص174.

3. وقال عند قوله عز وجل: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[الأحزاب: 33]: « وهي تقرأ[1] على وجهين: قِرْنَ، وقَرْنَ، فمن قرأها: ﴿ وَقَرْنَ ﴾ فمِن قبل القَرار، ومن قرأها: ﴿ وَقِرْنَ ﴾ فمِن قبل الوَقَار.»[2]

وبمثل اهتمام الإمام يحي بن سلام بالقراءات، نجد اهتمام وشغف الإمام مكي بها، كيف لا وقد عُرف بأنه مقرئ قبل أن يكون مفسّرا، فله مؤلفات كثيرة ومتنوعة في القرءات.[3]

وهذه نماذج على اهتمامه بالقراءات في التفسير:

1. قال عند قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾[النحل:110]: « ومن قرأ ﴿ فَتَنوا ﴾[4] بالفتح، وهي قراءة ابن عامر، فمعناه: عَذَّبوا غيرهم على الإيمان ثم آمنوا هم من بعدما فعلوا ذلك بالمؤمنين، إن ربك من بعد الفعلة التي فعلوها ساتر لذنوبهم، رحيم بهم.»[5]

2. وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾[الحج: 34]: « والمَنْسِك بالكسر موضع الذبح، كالمجلس موضع الجلوس لأن اسم المكان من فعل يفعل المفعل.

والمَنْسَك بالفتح: المصدر فيكون معنى قراءة من كسر، ولكل أمة جعلنا موضع ذبح.

ومن قرأ بالفتح، فتقديره: ولكل أمة جعلنا أن يتقربوا بذبح الذبائح.

وقيل: ﴿ مَنسَكًا ﴾[6] متعبدا، وهو ما يُعبد الله به.

" والمنسك ": العبادة والناسك: العابد.

وأصل المنسك أن يكون اسم المكان الذي يُعبد الله فيه.»[7]

---

1 . قرأ المدنيان، وعاصم بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها. النشر في القراءات العشر: 348/2.

2 . المصدر نفسه: ص716.

3 . ينظر في: منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص243.

4 . قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء. النشر في القراءات العشر: 305/2.

5 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4097، 4098.

6 . واختلفوا في: ﴿ مَنسَكًا ﴾ في الحرفين من هذه السورة فقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر السين فيهما، وقرأ الباقون بفتحها منهما. النشر في القراءات العشر: 326/2.

7 . المصدر السابق: ص4888.

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[يس: 29]: « وفي حرف ابن مسعود: (إِنْ كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةٌ واحدة) بالرفع. (وزقية) في موضع صيحة.

والمعروف في اللغة: زقا يزقو زقوة: إذا صاح، ولا يُقْرَأُ به لأنه مخالف لخط المصحف.»[1]

وأما بالنسبة للإمام المقرئ أبي العباس الباغائي، فلم يرد له ذكر للقراءات في ما حدّدنا من تفسيره للدراسة، رغم إمامته وبراعته فيها، ولعلّ ذلك راجع لتأليف تفسيره على الاختصار، " فهوُ يعدّ من الكتب المختصرة في الأحكام، وقد جاء في الصفحة الأولى من المخطوط ما نصه: كتاب فيه أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقرئ الباغائي رحمه الله تعالى."[2]

أو لربّما لتخصّص تفسيره بآيات الأحكام على المذهب المالكي، الذي يعتمد على قراءة نافع.

وعلى كلٍّ فإنّ المفسّرين المغاربة كان لهم تضلع وباع كبير في القراءات، سواء المتواترة أو الشاذة، وتوجيهها، وقد تجلى هذا في تفسيرهم، الأمر الذي يؤكد على ضرورة اطلاع المفسّر ومعرفته بالقراءات القرآنية وتوجيهها.

وبعد هذه الجولة مع المفسّرين المغاربة وأبرز علوم القرآن، ومناحي استفادتهم منها: سواء في التفسير، أو مناقشة الأقوال، أو الترجيح بينها، تتأكد ضرورة اطلاع المفسّرين على علوم القرآن وإحاطتهم بها، وخاصة ما كان له تعلق ببيان معاني القرآن الكريم، وتوضيحه.

المطلب الثالث: علوم الحديث والسيرة النبوية:

رأينا فيما سبق اعتماد المفسّرين على تفاسير من سبقهم، ومن جملة ما سُبقوا به التفسير النبويّ للقرآن الكريم، وكذا تفسير السلف الصالح، والذي هو عبارة عن مرويّات وأخبار وصلتنا بالرواية عنهم، والتي هي من صميم علوم الحديث، التي لا بد للمفسر الاطلاع عليها ومعرفتها، وخاصة للتمييز بين الصحيح والضعيف وغيرها، وسنتطرق لهذا بمزيد من البيان في مباحث قادمة.

ومما له تعلق بعلوم الحديث كذلك، ومن الضروري الاطلاع عليه السيرة النبوية العطرة، وكذا أخبار العرب وأحوالهم، فكثير من الآيات القرآنية جاءت متحدثة عن غزوات النبي ﷺ

1. المصدر نفسه: ص6025، 6026.
2. أحكام القرآن (مقدمة التحقيق): ص22، 23.

وأحواله مع المشركين، ولا يتم بيانها بالشكل الواضح إلا بالرجوع إلى أخبار العرب والسيرة النبوية، إذ إنّ السيرة النبوية عبارة عن " تطبيق حي لتعاليم الإسلام كما أرادها الله تعالى أن تُطبق في عالم الواقع"[1]، ولذا نجد المفسّرين مُلمّين بها، ويولونها اهتماما كبيرا، وذلك واضح في تفاسيرهم.

ومن بينهم الإمام يحيى بن سلام، فمثلا:

1. عند قول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[الإسراء: 59]، أورد شيئا من سيرة النبي ﷺ مع المشركين، فقال: « سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران، عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا، فإن أصبح لنا ذهبا اتبعناك.

قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم.

فدعا ربه، فجاء جبريل فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول: إن شئت أصبح لك الصفا ذهبا، فمن كفر بعد منهم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، فقال: بل باب الرحمة والتوبة."[2]

2. وقال عند قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾[الأحزاب: 4]: « عاصم بن حكيم، أن مجاهدا، قال: هذا في زيد بن حارثة، تبناه محمد ﷺ، وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلا، فيأتي الرجلَ ذا القوة والشرف، فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابنا أصبح أعزّ أهلها، وكان زيد بن حارثة منهم، كان رسول الله ﷺ تبناه يومئذ على ما كان يصنع في الجاهلية، وكان مولى رسول الله ﷺ، فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يلحقوهم بآبائهم فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾[الأحزاب: 36].»[3]

3. وعند قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾[الأحزاب: 36]، قال: « أراد رسول الله ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش زيد بن حارثة، فأبت وقالت: أزوج نفسي رجلا كان عبدا بالأمس، وكانت ذات شرف، فلما أنزلت

1 . مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ص24.

2 . تفسير يحيى بن سلام: ص144، 145.

3 . المصدر السابق: ص698.

هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول الله ﷺ، فزوجها إياه، ثم صارت سنة بعد في جميع الدين، ليس لأحد خيار على قضاء رسول الله ﷺ وحكمه.»[1]

ونجد للسيرة النبوية وأخبار العرب حضورا كذلك عند تفسير الإمام أبي العباس الباغائي، ومما جاء في تفسيره نذكر:

1. قال عند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾[الحج: 25]: «أي: مُستوٍ في المسجد الحرام العاكف فيه، والعاكف: المقيم من أهل مكة، والبادي: هو البدويّ من غير أهل مكة، يعني: أنه ليس مقيم أحقّ به من باد، ولا باد أحقّ من مقيم، ولكنهم سواء، وهذا لأن قريشا كانت تقول إنها أربابه، وإنهم أحقّ به من جميع الناس، وإنهم يمنعون منه مَن شاءوا ظلما، ويبيحونه لمن شاءوا، فردّ الله ذلك عليهم، وأَعْلَمَ أنه ليس كما قالوا.»[2]

2. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾[الأحزاب: 5]: « هذا نزل لأنهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة: يا زيد بن محمد، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم أن يقولوا: يا زيد بن حارثة، ومَن لم يعلم اسم أب الذي يدعوه، قال: يا أخي في الدِّين، ويا وَلِيّي، فهذا معنى قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾.»[3]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[الأحزاب: 59]، قال: « معنى هذه الآية أن مملوكات كُنّ بالمدينة يُعرفن بالسوء، فكان السفهاء يتعرّضون لهنّ، فربّما ظنّوا بالحُرة أنها أمة فيتعرّضون لها، فأنزل الله هذه الآية، وأمر أن تكون للحُرة علامة تُعرف بها من تغطية الوجه إلا فَرْد العَين، فإذا رِيئَتْ كذلك عُلم أنها حُرّة فلم يُعرض لها.»[4]

هذا وقد اهتمّ الإمام مكي بن أبي طالب بها كذلك، ومما ذكر في تفسيره نورد:

1. المصدر نفسه: ص720، 721.
2. أحكام القرآن: ص240.
3. المصدر نفسه: ص277.
4. المصدر نفسه: ص282.

1. قوله عند قول المولى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[النحل: 24]: « والمعنى: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون من المشركين ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: الذي أنزله هو ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل.

قال قتادة: أساطير الأولين أحاديث الأولين وأباطيلهم. قال: ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من يأتي نبي الله ﷺ فإذا مر أحد من المؤمنين يريد النبي ﷺ قالوا لهم أساطير الأولين، أي: أحاديثهم.

قال ابن عباس: نزلت في النضر بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ روي أنه خرج إلى الحيرة فاشترى أخبار العجم وأحاديث كليلة، وكان يقرؤها على قريش، ويقول: ما يقرأ محمد على أصحابه إلا أساطير الأولين.»[1]

2. وعند سورة الإسراء أورد عدد من الآثار، نذكر منها: قوله: « أي: أسري بمحمد ﷺ لكي يرى من آيات الله عزّ وجلّ وعجائبه سبحانه وذلك ما رآه في طريقه مما ذكرنا بعضه.

وروي: أن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: إن لنا في طريق الشام إبلاً، فأخبرنا خبرها ومتى تقدم. فأخبرهم أنها تقدم عليهم في يوم سماه لهم مع شروق الشمس، وأنه فقد منها جمل أورق فخرجوا في ذلك اليوم فقال أحدهم: هذه الشمس قد أشرقت وقال: هذه الإبل قد أقبلت.»[2]

وقال: « ويروى: أن النبي ﷺ لما أعلم قريشاً بالإسراء كذبوه، وقالوا له: نسألك عن عير لنا، هل رأيتها في الطريق؟ فقال: نعم، فقالوا: أين؟ قال: مررت على عير بني فلان بالرواح، قد أضلوا ناقة لهم، وهم في طلبها. فمررت على رحالهم وليس بها منهم أحد. فوجدت في إناء من آنيتهم ماء فشربته، فسلوهم إذا رجعوا هل وجدوا الماء في الإناء أم لا؟ فقالوا: هذه آية. قال: ومررت على عير بني فلان فنفرت مني الإبل فانكسر منها جمل أحمر عليه أبناء فلان. فقالوا: هذه آية أخرى. قال ومررت على عير بني فلان بالتنعيم حين انشق الفجر. قالوا: فإن كنت صادقاً، فإنها تقدم الآن. قال أجل. قالوا: فحدثنا بعدتها، وأحمالها، ومن فيها. قال: كنت مشغولاً عنها. فمثل ذلك لرسول الله ﷺ فقال هي منحدرة من الثنية يقدمها جمل أورق عدتها كذا وكذا،

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3972، 3973.

2 . المصدر نفسه: ص4132.

وأحمالها كذا وكذا، فيها فلان وفلان، يسمي الرهط الذين فيها، وخرج رهط من قريش يسعون إلى الثنية فإذا هم بها حين انحدرت على ما وصفها لهم النبي ﷺ.

وأخبار الإسراء كثيرة مختلفة الألفاظ، منها المطول، ومنها المختصر، والمعاني متقاربة، فاقتصرنا على ما ذكرنا اختصاراً.»[1]

3. وقد قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾[الحج: 73]: « روي أنهم كانوا يطلون آلهتهم بالزعفران، فكانت الذباب تختلس الزعفران، فلا تقدر الأصنام ـ وهي آلهة لهم ـ على استنقاذ ما تأخذ الذباب منها.»[2]

وقال: « قال الكلبي: كانوا يعمدون إلى المسك والزعفران، فيسحقونهما جميعاً، وهو عطر العرب ويطلون بهما الأصنام، فإذا يبس تشقق فربما وقع عليه الذباب فيأخذ منه، فكان يشتد عليهم.»[3]

هذا وقد كانت من بين مصادره في التفسير سيرة ابن إسحاق، فقد نقل منها في حديثه عن غزوة الأحزاب.[4]

وبهذا تتأكد أهمية الاطلاع على الحديث وعلومه، سواء أكانت تفسيرا عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة والتابعين، أو أحاديث وأخبار عما كان على عهد النبي ﷺ وما تعلق بسيرته العطرة.

1 . المصدر السابق: ص4133، 4134.

2 . المصدر السابق: ص4933.

3 . المصدر نفسه: ص4935.

4 . ينظر في: المصدر نفسه: ص5793- 5795.

المطلب الرابع: علوم اللغة

أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على أفصح العرب محمد ﷺ لأمة بلغت القمة في الفصاحة والبلاغة والتنافس في المنتوج اللغوي العربي، الأمر الذي يُلزم المفسّر امتلاك هذا المفتاح للغور في معاني القرآن الكريم، وسبرها، ولقد أكد كثير مِن المفسرين على أهمية التضلع باللغة العربية لمن يزاول التفسير.

وهذا الإمام يحيى بن سلام يؤكد على ذلك في مقدمته، إذ خصّصها من بين العلوم التي يحتاجها المفسّر، كما نلاحظ اهتمامه بمباحثها في ثنايا تفسيره.

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أبي العباس الباغائي، فبالرغم من تفسيره الذي جاء على الاختصار فإن لعلوم اللغة حضور فيه.

وأما الإمام مكي بن أبي طالب القيسي فقد اهتم بجوانب اللغة اهتماما بالغا في تفسيره، فهو عالم لغوي كبير، وقد أشار إلى ذاك في مقدمته، فقال: « جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور أو معنى مفسر، ... أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره؛ من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها.... قدمت في أوله نبذاً من علل النحو وغامضاً من الإعراب، ثم خففت ذكر ذلك فيما بعد لئلا يطول الكتاب، ولأنني قد أفردت كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة.»[1]

كما ذكر في مقدمة التفسير أهم الكتب التي استفاد منها في تفسيره[2]، ككتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وكتاب الفراء.

1. المصدر السابق: ص72، 73.
2. ينظر في: المصدر نفسه: ص74، 75.

هذا وإنك لا تجد في ثنايا تفسيره ذكرا لعناوين المؤلفات التي استفاد منها، فهو في الغالب ينسب القول أو الرأي لصاحبه[1]، وفي الآتي أمثلة لاستفادة الإمام مكي من غيره من علماء اللغة في تفسيره:

1. قال: « وقوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: 66]، يذهب سيبويه أن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد. وقال الكسائي: معناه نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا. فذكّر على ذلك. وقال الفراء: الأنعام والنعم واحد فرجع هنا إلى تذكير النعم. وحكى عن العرب: هذا نعم وارد.»[2]

2. وعند قوله تعالى ذكره: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾[مريم: 2]، قال: « ﴿ذِكْرُ﴾ مرفوع عند الفراء على خبر {كهيعص}. ورد هذا القول الزجاج، لأن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[مريم: 1] ليس مما أثنى الله به على زكريا، وليس ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في شيء من قصة زكريا. وقال الأخفش: التقدير: وفيما يتلى عليكم، ذكر رحمة ربك عبده زكرياء."[3]

3. وقال: « وقوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ هو جمع قاع، كالجيرة: جمع جار، هذا قول الفراء.

وقال: أبو عبيدة: قيعة وقاع واحد، والقاع والقيعة ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبت، وفيه يكون السراب.»[4]

وبهذا تتبيّن مدى استفادة الإمام مكي بن أبي طالب من أقوال اللغويين والنحويين، وكيف كانت كتب اللغة بمختلف فروعها من: نحو، وصرف، وبلاغة، مصدرا من مصادره في التفسير يعول عليها في ضبط المعاني وإثباتها.

كما تتأكد أهمية اللغة وعلومها بالنسبة للمفسّر، وأنه لا يمكنه التفسير من دونها.

1 . ينظر في: منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص282.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4028.

3 . المصدر نفسه: ص4491.

4 . المصدر نفسه: ص5121.

المطلب الخامس: الفقه وأصوله

يعدّ الفقه وأصوله من العلوم التي على المفسّر الاطلاع عليها والإلمام بها، إذ إنها تُمكّنه من سبل الاستنباط، وخاصة من آيات الأحكام، والتي هي المجال المشترك بينهما، وقد كانت عناية المفسرين بها عناية خاصة، لشدة الحاجة إليها في تنظيم شؤون الفرد والجماعة، فمنهم من يعرض الأحكام الشرعية في خضم تفسيره للقرآن الكريم عرضا بما يناسب تفسير الآية ودلالتها عليه، ومنهم من يستطرد في بيان الأحكام ويجعل أكثر تركيزه عليها كالقرطبي، ومنهم من خصّص تفسيره بآيات الأحكام فقط، وإبراز ما دلت عليه من أحكام، كالإمام أبي العباس الباغائي.[1]

وفي الآتي جملة مما ورد في تفاسير الدراسة من اهتمامهم بالأحكام الشرعية وعلماء الفقه وآرائهم الفقهية:

- اعتنى ابن سلام بتفسير آيات الأحكام، وقد كان يعتمد على آراء السلف وآراء مالك، ومن ذلك نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: 98]، قال: «والرجيم: الملعون، رجمه الله باللعنة.

قال الحسن: فنزلت في الصلاة ثم صارت سنة في غير الصلاة إذا أراد أن يقرأ، وليس بمفروض.»[2]

2. وقال الإمام يحيى بن سلام: « قوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾[الإسراء: 78] سعيد، عن قتادة قال: إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾[الإسراء: 78] قال: بدو الليل لصلاة المغرب.

قال يحيى: يقول لزوال الشمس عن كبد السماء، يعني صلاة الظهر والعصر بعدها.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ بدو الليل واجتماعه وظلمته، صلاة المغرب عند بدو الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل، وظلمته إذا غاب الشفق.

---

1 . ينظر في: أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه: ص734.

2 . تفسير يحيى بن سلام: ص88.

- مالك بن أنس، عن داود بن الحصين، أن ابن عباس قال: دلوك الشمس: إذا فاء الفيء، وغسق الليل: اجتماع الليل وظلمته.
- مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: دلوك الشمس ميلها."[1]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[الكهف: 24]: « إذا نسيت الاستثناء. ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[الكهف: 24]، ومتى ما ذكر الذي حلف فليقل: إن شاء الله؛ لأن الله أمره أن يقول: إن شاء الله.

ومن حلف على يمين فاستثنى قبل أن يتكلم بين اليمين وبين الاستثناء بشيء فله ثنياه، ولا كفارة عليه، وإن كان استثنى بعد ما تكلم بعد اليمين قبل الاستثناء، متى ما استثنى فالكفارة لازمة له، ويسقط عنه المأثم حيث استثنى؛ لأنه كان ركب ما نهي عنه مِن تركه ما أمر به من الاستثناء، أي: لا يقول: إني أفعل حتى يقول: إن شاء الله، ولا يقول: لا أفعل حتى يقول: إن شاء الله.

عمار، عن عمرو، عن الحسن، قال: أمر ألا يقول لشيء في الغيب: إني فاعل ذلك غدا دون أن يستثني، إلا أن ينسى الاستثناء، وأمر أن يستثني إذا ذكره.

فكان الحسن يقول: إذا حلف الرجل على شيء وهو ذاكر للاستثناء فلم يستثن فلا ثنيا له، وإن حلف على شيء وهو ناسٍ للاستثناء فله ثنياه، ما دام في مجلسه ذلك، تكلم أو لم يتكلم ما لم يقم.»[2] كما أردفه بعدة آثار زيادة في البيان وللاستدلال.

وأما الإمام أبو العباس الباغائي، فقد جاء تفسيره مخصّصا لآيات الأحكام فقط، وعلى الاختصار، فهو يذكر ما في الآية من أحكام على المذهب المالكي دون الخوض في أدلتها أو الآراء الفقهية الواردة فيها، وهو في الأغلب يورد أقوال الإمام مالك، ومما جاء في تفسيره نذكر:

1. قال عند قول الله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[طه: 12]: « وكره مالك رحمه الله الانتفاع بجلود الميتة في الماء في خاصة نفسه، ولم يفتِ به غيره، فجائز أن يتّخذ منها أسقية للماء.»[3]

1. المصدر السابق: ص153.
2. المصدر السابق: ص179، 180.
3. أحكام القرآن: ص237.

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾[الأنبياء: 78]، قال: « والعمل عند مالك رحمه الله على قول من القولَيْن، ولكن الحكم عنده أنّ ما أصابت الغنم أو غيرها من الواشي ليلا فهو ضامِن على أصحاب المواشي، وما أصابت نهارا فلا ضمان على أصحابها لأن على أصحابها حفظها بالليل، وعلى أصحاب الأموال حفظها بالنهار، وبهذا قضى رسول الله ﷺ في ناقةٍ للبراء بن عازب.»[1]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ ﴾[النور: 58]: « أمر الله عزّ وجلّ في هذه الأوقات الثلاثة بالاستئذان، استئذان المماليك، ومَن لم يبلغ الحُلُم مِن غيرهم من ولد، وأخ، وما أشبه هؤلاء، من ذوي المحارم المخصوصين بالكَوْن في مَنزل الرجُل كأهله، لأن هذه الأوقات أوقات الانكشاف من الثياب، وكَوْن الناس في سررهم، قال مالك رحمه الله: إنما كان هذا، إذ لم يكن للناس حُجب، فأما اليوم فلا يجب ذلك.»[2]

كما كان الإمام مكي بن أبي طالب ملمّا بالفقه وأصوله، فهو وإن لم يتوسّع في تفسير آيات الأحكام، إلا إنك تجده يذكر آراء الصحابة والتابعين ورأي الإمام مالك، وأحيانا يخالفه، وكذا آراء أئمة المذاهب الأخرى دون تعصب لمذهب مالك، وكان لا يوجّه آراءهم إلا قليلا، ويذكرها دون ترجيح، وأحيانا يعطي رأيه في ما يراه مناسبا.[3]

ومما ورد في تفسيره مما يؤكد إلمامه بالآراء الفقهية نذكر:

1. قال الإمام مكي عند قول الله تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾[الإسراء: 33]: « أي: جعلنا له نصراً وحجة على أخذ الثأر ممن قتل وليّه فإن شاء عفا، وإن شاء قتل، وإن شاء أخذ الدية، فإذا عفا بعض الورثة لم يُقتل القاتل.

والمرأة في ذلك والرجل سواء إذا كانا وارثين، هذا قول الشعبي وعطاء وطاووس والنخعي والثوري والشافعي وابن حنبل.

---

1 . المصدر السابق: ص239.

2 . المصدر نفسه: ص260.

3 . ينظر في: منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص352.

فإن كان في الورثة صغيراً استوفِيَ بالقتل حتى يبلغ، فإن عفا لم يقتل وإن لم يعف قتل، وهو قول عمر بن عبد العزيز، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، والثوري وأحمد وإسحاق.

وقال الحسن البصري وقتادة لا عفو للنساء وإن كن وارثات.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ في المرأة اختلاف، وروي عنه أنه قال: لا عفو للزوج، وعنه: لا عفو للمرأة في الدم.

وقال الليث وربيعة والأوزاعي ليس للنساء عفو في دم ولا قسامة.

وقال مالك إذا كان ورثة المقتول بنين وبنات فعفت إحدى البنات لم يجز عفوها، فإن عفا أحد البنين جاز العفو وأخذت الدية ويرثها الورثة على قدر مواريثهم من الميت، ويقضي عن الميت من الدية دين إن كان عليه.

وقوله: ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ يحتمل واحداً وجماعة، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى﴾[العصر: 2].

ومعنى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الاسراء: 33] أي: من قتل على غير المعاني المتقدم ذكرها. وقال الشافعي: إذا عفا الولي استحق أخذ الدية.»[1]

3. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾[الحج: 36]: « أي: انحروها واذكروا اسم الله عليها قائمة على ثلاثة تعقل اليد اليسرى.

وقال ابن عباس: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم منك ولك. ﴿صَوَآفَّ﴾ قياماً على ثلاثة.

... قال قتادة: معقولة اليد اليمنى. وقال مجاهد: اليسرى.

ونحر النبي ﷺ بدنة قياماً. ودل على ذلك قوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾، أي: إذا سقطت على جنوبها. وهو قول: مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي. واستحب عطاء أن تنحر باركة معقولة لئلا تؤذي بدمها أحداً. وقد روى جابر أن رسول الله ﷺ

وأصحابه، كانوا ينحرون البدنة معقولة اليد اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها.»[2]

1. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4192- 4194.

2. المصدر السابق: ص4890- 4892.

وبهذه النماذج تتبيّن إمامة مفسّرينا في الفقه، ومدى اهتمامهم واطلاعهم على الآراء الفقهية، وكيف استفادوا منها في التفسير، سواء بمناقشتها، أو ردّها، أو الترجيح والاختيار من بينها، وعليه تتأكد أهمية الفقه وأصوله بالنسبة لمفسر كتاب الله العظيم.

وبعد هذه الجولة مع النماذج التفسيريّة بدا مدى تضلع المفسّرين المغاربة بشتى العلوم، وسعة اطلاعهم على مدونات ومصنفات ومؤلفات السابقين لهم، سواء كانت تفاسير، أو في علوم القرآن، أو في الحديث وعلومه، أو في اللغة وعلومها، أو في الفقه وأصوله، وغيرها من العلوم، فيمكن اعتبارهم موسوعات علمية، كما تبيّن شدة اهتمامهم بكل الآراء والأقوال، وكيف وظّفوا هذا المخزون المعرفيّ في بيان آي القرآن الكريم وتمكنهم من وضع بصمتهم في التفسير، حتى أضحوا قبلة لكل مَن رام تفسير القرآن الكريم مِن بعدهم.

المبحث الثاني: أنواع التفسير عند المفسرين المغاربة

إذا ما أردت تتبع أنواع التفسير، فإنك تجدك واقفا أمام بحر زاخر ومتنوع، ولا يمكنك تمييزها إلا باعتبارات متعددة مختلفة، ويكون كل اعتبار " بالنظر إلى جهة من جهات التفسير."[1]

وإذا ما رجعنا إلى تفاسير الدراسة نجد الإمام يحي بن سلام يذكر الأثر المرويّ عن ابن عباس ﷺ في أوجه تفسير القرآن[2]، وهو كثيرا ما يُستشهد به حال التكلّم عن أقسام التفسير وأنواعه.[3]

وهذا إشارة منه إلى أن الناس ليسوا على درجة واحدة في فهم القرآن وتفسيره، و" أن يعلم المتعرضُ لتفسير القرآن أنه لا يستطيع تفسير جميع الألفاظ القرآنية، ... فإن أحسن واحدا من تلك الأنواع خاض فيه، وإلا فالكف والتورع يكون له أهدى سبيلا."[4]

كما يمكن الإشارة إلى أنه أورد معيار القبول والرد في تقسيم التفسير، حيث أشار إليه في مقدمة تفسيره بذكره لحديث رسول الله ﷺ : « **من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.**»[5]

ولبعض الآثار المتحدثة عن تورع بعض السلف في القول بالتفسير بالرأي[6]، أي أنّ مِن التفسير ما هو مقبول، وهو المبني على علم ودراية، وأنّ منه المردود، وهو المبني على الجهل وقلة الاطلاع وانعدام المعرفة.

ثم نجد في الفترة اللاحقة تقسيم آخر للتفسير، وهو المبني على معيار كيفية الوصول للتفسير، فيكون به التفسير على نوعين: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، ونستشف هذا من قول الإمام

---

1 . فصول في أصول التفسير: ص16.

2 . ينظر في: تفسير هود بن محكم: 69/1.

3 . ينظر في: البرهان في علوم القرآن: 306/2. مناهل العرفان: 11/2. التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص23. أصول التفسير وقواعده: ص46. فصول في أصول التفسير: ص17.

4 . التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص25.

5 . مسند الإمام أحمد: رقم: 2068، 496/3. سنن الترمذي: رقم: 2950، وقال هذا حديث حسن صحيح، 49/5. تفسير ابن أبي زمنين: 112/1.

6 . ينظر في: تفسير هود بن محكم: 70/1.

مكي بن أبي طالب في مقدمته، إذ قال: « جمعت فيه علوما كثيرة، وفوائد عظيمة، من تفسير مأثور أو معنى مفسَّر.»[1] وما قصد بالمعنى المفسَّر، إلا ما فُسِّر بالرأي المقبول.

وفي قوله: « هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إليّ من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومَن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.»[2]

يوضّح معنى المأثور عنده، وهو ما صحّ من التفسير النبويّ الشريف، وأقوال الصحابة، والتابعين، ومَن بعدهم، وخاصة ما اشتهر تفسيره عنهم دون الشاذ، والله أعلم.

وأما ما يُبيّن اجتهاده في التفسير وإعماله للرأي، فقوله: « جعلته: هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إلي من علم كتاب الله تعالى ذكره، **مما وقفتُ على فهمه**، ووصل إلي علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفقهاء ومجالس القراء، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات، ومباحثات أهل النظر والدراية.»[3]

وفي هذا السياق قال الإمام الزركشي: « واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمّن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد.»[4]

وفي ما يلي مزيد بيان لكل من هذين النوعين من التفسير: التفسير بالرأي، والتفسير بالمأثور.

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص72.

2 . المصدر السابق: ص72.

3 . المصدر نفسه: ص72.

4 . البرهان في علوم القرآن: 312/2.

المطلب الأول: التفسير بالرأي:

الفرع الأول: تعريف التفسير بالرأي وأنواعه

لمعرفة التفسير بالرأي علينا التعرف أوّلاً على معنى الرأي، حيث جاء في لسان العرب أنّ الرَّأْي: معروفٌ، وَجَمْعُهُ أَرْآءٌ، وآراءٌ أَيضا مقلوب، ورَئِيٌّ عَلَى فَعِيل مِثْلُ ضَأْنٍ وضَئِينٍ، ويطلق أَصحابَ الرَّأْي على أَصحابَ القياسِ الذين يأْخذون بآرائهم فيما لم يأتِ فيه حديثٌ ولا أَثَرٌ. والرَّأْيُ: الاعتِقادُ.

ويقال: فلان يَتَرَاءَى برَأْيِ فلان إِذا كان يرى رأيَه ويَمِيلُ إِليه ويَقْتَدي به.[1]

فالرأي يُطلق على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، والمراد بالرأي هنا: الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر واطلاعه على العلوم التي يحتاجها ويستمد منها تفسيره.[2]

وبعبارة أخرى هو " النتاج الفكري الذي ينتج عن الاجتهاد في تفسير كتاب الله عزّ وجلّ. فإن كان مضبوطا بأصول التفسير وقواعده فهو الرأي المحمود، وإلا فهو المذموم."[3]

وبهذا يكون التفسير بالرأي على نوعين:

أ- التفسير بالرأي المقبول والجائز والمحمود والذي" يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول ﷺ وأصحابه، مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بقانون الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه."[4]

وهو بدوره نوعان[5]:

---

1 . ينظر في: لسان العرب: ص1543.

2 . ينظر في: التفسير والمفسرون: ص183.

3 . التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص107.

4 . مناهل العرفان في علوم القرآن: 43/2.

5 . ينظر في: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص30، 31.

النوع الأول: الاختيار من الأقوال بالترجيح بينها إذا دعا إلى ذلك داع، بشرط أن يكون المرجِّحُ ذا علم، ولا يختار من الأقوال حسب هواه وميوله. ولا بد أن يكون المرجِّحُ على علم بأنواع ما يقع من الاختلاف.

النوع الثاني: الإتيان بمعنى جديد صحيح لا يُبْطِل تفسير السلف، ولا يُقْصَر معنى الآية عليه، ومضبوط بضوابط منها: أن يكون المعنى صحيحا واردا في اللغة، وأن يكون غير مناقض، أي: مبطل لقول السلف، وأن لا يعتقد المفسر بطلان قولهم وصحة قوله فقط. فإذا حصلت هذه الضوابط صح ـ والله أعلم ـ التفسير الجديد، وصار من التفسير بالرأي المحمود المعتمد على علم، والله أعلم.

ب– التفسير بالرأي المردود والمذموم وهو" ما خالف أصحابه أصولا متفقا عليها في التفسير، وما جاء في الدين بالضرورة، كأن يكون مخالفا للعربية، أو لا يتفق مع الأدلة الشرعية وقواعدها ومصادرها، أو يكون مخالفا للنص، أو أن يفسّر القرآن بمجرد خاطر يخطر له دون استناد ..."[1]

ومن أهم الأمور التي يجب الابتعاد عنها في التفسير، والتي تُخرج التفسير من المحمود إلى المذموم، ومن المقبول إلى المردود: التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، ومنها حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة، ومنها الخوض فيما استأثر الله بعلمه، ومنها القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل، ومنها السير مع الهوى والاستحسان، ويمكن تلخيص هذه الأمور الخمس في كلمات ثلاث وهي: الهوى والجهالة والضلالة.[2]

الفرع الثاني: الاختلاف في التفسير بالرأي بين الجواز والمنع

لقد تباينت أقوال العلماء في التفسير بالرأي منذ الرعيل الأول بين المجيز للتفسير بالرأي، وبين المانعين له، وقد استدلّ كل فريق بجملة من الأدلة على صحة قوله.[3]

1 . أصول التفسير وأسباب الاختلاف عند المفسرين: ص316.

2 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 43/2.

3 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 46/2– 50. التفسير والمفسرون: ص183– 188.

ولو رجعنا لأدلة كلا الفريقين ووقفنا معها وقفة فاحصة مدقّقة ومحلّلة لتبيّن أنّ الخلاف لفظي وصوري لا حقيقي، فالمجيزين للتفسير بالرأي إنما يُحمل كلامهم عن التفسير بالرأي المحمود القائم على موافقة الكتاب والسُنَّة، مع موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وأمّا كلام المانعين للتفسير بالرأي فإنما يُحمل كلامهم على التفسير بالرأي المذموم الذي لا يقوم على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو مورد النهى ومحط الذم، وإنّ الجمود على المنقول تقصير وتفريط، كما أنّ الخوض في التفسير لكل إنسان غلو وإفراط، وخير الأمور أوسطها لا إفراط ولا تفريط، فيؤخذ بالمأثور في التفسير ويبنى عليه حال الاجتهاد والتفسير بالرأي.[1]

هذا وإنّ المفسرين المغاربة مع الاجتهاد وإعمال الرأي في التفسير المبني على علم واطلاع واسع بشتى العلوم.

وقد ذكر الإمام يحي بن سلام في مقدمته آثارا في تورع بعض السلف عن التفسير، كما أورد الحديث الشريف الذي يحذر من القول في القرآن بغير علم. كما سبق وذكرنا آنفا. وهذا من باب التأكيد على عدم الجرأة على القول في التفسير بغير علم، وأن على المفسّر أن يكون على درجة عالية من المعرفة والاطلاع بمختلف العلوم.

وأما ما كان من مظاهر وأحوال الاجتهاد في التفاسير المغاربية فسنتطرق إليها بإذن الله تعالى في مبحث طرق التفسير من الفصل الثالث.

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور

الفرع الأول: تعريف التفسير بالمأثور

لتجلية الرؤية عن هذا المصطلح: المأثور، نرجع به إلى الأصل اللغوي، فهو من أَثَرَ، والأثر: الخبر، والجمع آثار، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ [يس: 12]. وسنن النبي ﷺ وآثاره. وأَثَرَ الحديثَ عن القوم: أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر، وقيل:

1 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 49/2، 50. التفسير والمفسرون: ص188، 189.

حدّث به عنهم في آثارهم. وحديث مأثور، أي: يُخبِر الناسُ به بعضهم بعضا، أي: ينقله خلف عن سلف، يقال منه أَثَرْتُ الحديثَ فهو مأثور.[1]

فالمأثور في اللغة هو ما نُقل إلينا من أقوال وأخبار السابقين.

أي أنه " يقوم على الرواية والنقل، ويطلق على ما ورثه الخلفُ عن السلف من علم وحديث وروايات وغير ذلك، وغالب إطلاقه على الحديث والروايات."[2]

ويطلق على التفسير بالمأثور التفسير النقلي، كما يطلق على التفسير بالرأي التفسير العقليّ، إذ يذكر التفسير بالمأثور في مقابل التفسير بالرأي، ويذكر التفسير النقليّ في مقابل التفسير العقليّ.[3]

أما في الاصطلاح، فالأكثر على أنه ما كان بيانه بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين.[4] وهو اصطلاح معاصر.[5]

وإنّ مَن جعل التفسير بالمأثور يشمل هذه الأنواع الأربعة، لم يُبيّن سبب تحديد المأثور بها، وهذا التحديد اجتهاد، وهو قابل للأخذ والرد، كما هو الحال في غيره من المصطلحات العلمية غير الشرعية، وأقدم من نص على كون هذه الأربعة هي التفسير بالمأثور الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ومِن بعده الشيخ محمد حسين الذهبي، ثم تتابع بعض المعاصرين على هذا المصطلح بتقسيماته الأربعة. كما إنّ كثرة وجوده في كتب علوم القرآن المعاصرة، أو غيرها من كتب مناهج المفسرين، أو مقدمات بعض المحققين لبعض التفاسير، لا تعني صحته على الإطلاق، بل هؤلاء نقلوه عن كتاب (التفسير والمفسرون) بلا تحرير ولا تأمل فيه، إلا القليل منهم.[6]

---

1 . ينظر في: لسان العرب: ص25.

2 . تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص199.

3 . ينظر في: المرجع نفسه: ص199.

4 . ينظر في: مناهل العرفان في علوم القرآن: 12/2، 13. التفسير والمفسرون: ص112. مباحث في علوم القرآن: ص337، 338. فصول في أصول التفسير: ص53.

5 . ينظر في: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص19.

6 . ينظر في: المرجع السابق: ص19- 21.

وقُسِّم التفسير إلى تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي، حتى أضحت هذه القضية من المسلمات، ولعل مما ساعدهم على ذلك تسمية الإمام السيوطي لتفسيره بـ(الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، حيث اشتمل كتابه على الروايات دون عرض اختلافات المفسرين، وهذا المصطلح لم يكن معلومًا معروفًا في القرون الأولى وما بعدها حتى عند الذين كتبوا في علوم القرآن من المتقدمين، وعلى هذا فهو مصطلح يخضع للبحث والتدقيق والنقد.[1]

ولعلّ سبب اصطلاحهم هذا، هو اعتمادهم على قول الإمام ابن تيمية عن أحسن طرق التفسير، فنزّلوا ما ذكره شيخ الإسلام في حديثه عن (طرق التفسير) على هذا المصطلح الذي اصطلحوا عليه.[2]

" والمعروف أن لفظة مأثور تعني: ما أثر عن السابقين، وتحديد زمن معين إنما هو اصطلاح."[3]

فيؤاخذ على هذا الاصطلاح، توقفهم على أقوال التابعين، وإهمال أقوال أتباع التابعين، وأقوال العلماء المفسرين بعدهم.

ولقد كانت علّة إدخال تفسير التابعين ـ مع الاختلاف فيه ـ في المأثور، هي اعتماد المفسرين على أقوالهم في التفسير، وإذا تأملت هذه العلة التي ذُكرت، وجدتها أنها تنطبق على مفسري أتباع التابعين؛ كابن جريج، وسفيان الثوري، وابن زيد، وغيرهم ممن ترى تفسيراتهم منثورة في كتب التفسير، وخاصة التي تعنى بنقل أقوال مفسري السلف، فلِمَ لم تُعَد تفسيراتهم من التفسير بالمأثور؟![4]

وكذلك الأمر بالنسبة للمفسرين الذين ألّفوا في التفسير، فكُلّ مَن جاء بعدهم إلا ويأخذ عنهم.

فتفسير هذه النخبة من المفسرين هو بلا شك مما أُثر لمن بعدهم، ولا أَدلّ على ذلك اعتماد المفسرين على أقوال من سبقهم من المفسرين، وسبق التحدث عن هذه الجزئية.

---

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث: 185/1.

2 . ينظر في: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص24- 26.

3 . المرجع نفسه: ص21.

4 . ينظر في: المرجع السابق: ص23، 24.

كما أنّ الإمام ابن تيمية لم يحصر الاعتماد في التفسير على تفاسير الصحابة والتابعين فقط، فقد قال عند حديثه عن الاعتماد على تفسير التابعين، وتعداده للتابعين المشهورين بالتفسير: « وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم.»[1]

وإن قلت إن تفسيرهم من باب الاجتهاد! قلنا: نعم، وهل يلزم من التفسير أن لا يقع فيه اجتهاد حتى يطلق عليه مأثورا؟!

فـ" إن التفسير بالرأي كان منذ عهد الصحابة الكرام، وكان لهم مستندهم في الرأي، من القرآن والسنة واللغة وأسباب النزول وشيء من مرويات بني إسرائيل، وأحوال من نزل فيهم القرآن ... إلخ.

وجاء التابعون، وكان جملة كبيرة من تفسيرهم بالرأي، وكان لهم اختيار في التفسير قد يخالف اختيار أفراد الصحابة، وكانت مستندات الرأي عندهم ما كان عند الصحابة، وزاد في مصادرهم تفسير الصحابة؛ لأنهم جاءوا بعدهم، ثم جاء أتباع التابعين، وكان الحال كما كان في عهد التابعين."[2]

وهكذا كان تفسير كل طبقة بالنسبة لمن جاء بعدهم مأثورا، وما توقف عليهم النقل في التفسير كما هو ظاهر من كتب التفسير التي نقلت أقوال السلف،[3] إلا لأن العلوم تطورت ودوّنت، وانتقلت من الرواية والإسناد إلى الكتابة، وصار الاعتماد على المؤلفات.

وصار سبيل النقل إمّا بالإسناد الشفاهي، وهو: ما يعتمد على الحفظ، أو كتابة المنقول ثم حفظه، ثم نقله محفوظا إلى من بعدهم. أو نقل الكتاب، وقد يكون بالسماع أو العرض من نسخة الشيخ، أو بالمناولة أو الوجادة.[4]

ومن هذه الحيّثية صارت المؤلفات في التفسير من المأثورات لمن بعدهم، وعليه يصبح مصطلح التفسير بالمأثور يطلق على ما أُثِر من تفسير، وما ورثه الخلف عن السلف في تفسير القرآن الكريم.

1 . مقدمة في أصول التفسير: ص104.

2 . مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص28، 29.

3 . ينظر في: المرجع نفسه: ص29.

4 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص198.

وإذا تقرر هذا فإن التفسير بالقرآن لا يعدُّ من المأثور، إذ لا نقل فيه، بل سبيله الاجتهاد والرأي، فهو داخل ضمن تفسير مَن فسّر به، فإن كان المفسّر هو الرسول ﷺ فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسّر هو الصحابي، فهو من تفسير الصحابيّ، وإن كان المفسّر هو التابعيّ، فهو من تفسير التابعيّ، وهكذا كل تفسير بالقرآن ينسب لقائله، ويأخذ حكمه.[1]

وإذا ما عُدَّ تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور " فذلك إنما هو بالنظر إلى المفسِّر به، وطريقة وصوله إلينا، لا إلى عملية التفسير المعتمدة على الفهم والاجتهاد بين الآيتيْن وجعل إحداهما مُبيّنة للأخرى، والذي هو من قبيل التفسير بالرأي."[2]

والتفسير بالقرآن يعدّ من أقوى أنواع التفسير، إلا أنه لا يقطع بصحته إلا إن كان من قِبل رسول الله ﷺ، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة ولم يُعلم له مخالف. وأما ما عدا هذه الصور فإنه لا يُجزم بصحته لأنه اجتهاد من قائله يُخطئ فيه ويصيب، مع أن الطريقة التي سلكها من حيث المبدأ صحيحة، لكنه قد يُخطئ في التطبيق.[3]

وكذلك " جعل التفسير بالمأثور مقابلا للتفسير بالرأي لا يصح."[4] لأنّ تفسير القرآن الكريم ومنذ بداياته الأولى كان اجتهاديا، ولكن باعتبار أفضلية القرون الأولى تميز تفسير تلك الحقبة عن تفسير غيرهم، كما أن جُلّ المفسرين يمشون في تفاسيرهم بين اعتمادهم على المأثور من التفسير واجتهاد رأيهم، ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال.

الفرع الثاني: أنواع التفسير بالمأثور

لما تقرر أن التفسير بالمأثور هو كل ما أُثِر من تفسير للقرآن الكريم، صار واضحا فيه نوعيْن يلزم بيانهما، وهما:

1 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص53. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث: 184/1.

2 . تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: ص21.

3 . ينظر في: قواعد التفسير جمعا ودراسة: ص109.

4 . مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: ص32.

الأول: التفسير بالمأثور الذي لا مجال للاجتهاد فيه: وهو الذي لا يجوز للمفسّر تجاوزه، والتصرف فيه، بل حظه فيه الرواية فقط.[1]

ويدخل ضمنه التفسير النبويّ لألفاظ القرآن الكريم، وتفسير الصحابة مما له حكم الرفع، ولا مجال للاجتهاد فيه، كأسباب النزول والغيبيّات،[2] ويدخل ضمنه كذلك ما أُجمع عليه في التفسير، سواء كان الإجماع من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من المفسرين.[3]

الثاني: التفسير بالمأثور الذي يجوز معه الاجتهاد، ويمكن أن نطلق عليه المنقول النسبيّ، لأنه يدخله الاجتهاد من وجه، والنقل من وجه آخر، فهو تفسير بالرأي بالنسبة لأول من قال به، وتفسير بالنقل أو بالأثر لمن أخذ به مِن بعده.[4]

ويدخل ضمنه كل الأقوال التفسيرية الاجتهادية من الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين أومَن بعدهم من المفسرين، إلا أنه يبقى لتفسير القرون الأولى مكانته وقيمته وخصوصيته، وخاصة تفسير الصحابة رضوان الله عليهم، إذ إنّ اجتهادهم مميّز عن اجتهاد غيرهم، فالصحابيّ إنما فسّر الآية بحسب المعنى الذي فهمه وتعلّمه من رسول الله ﷺ، فهو تفسير محتفٍ بالتوقيف.[5]

الفرع الثالث: قيمة التفسير بالمأثور وأهميته

يمثّل التفسير بالمأثور قيمة علمية هامة تعتبر الأساس في فهم الوحي المبارك، فهو بمثابة ركيزة أساسية ورصيد ذاخر لكل من يريد التعرض لتفسير كتاب الله عز وجل، فبرغم مرور الأيام تجد أشياء في فهم القرآن ليس للتفسير المأثور فيها قول واضح إلا أنه دائما يستأنس بالأقوال المأثورة فيما يُتوصل إليه حسب ضوابط الاجتهاد في فهم القرآن. ويكفي في بيان قيمة التفسير بالمأثور إطباق أهل العلم ذوي البصر الثاقب، على أنه يبدأ به في التفسير.[6]

1 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص197.
2 . ينظر في: الإيقان في علوم القرآن: ص2286. التفسير والمفسرون: ص72، 96.
3 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص54.
4 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص198.
5 . ينظر في: التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده: ص19.
6 . ينظر في: التيسير في أصول واتجاهات التفسير: ص96، 97.

وكيف لا؟! فعظمة شأنه من حيث موضوعه وهو القرآن الكريم، ومن سُبلِه التفسير النبويّ ثاني الوحيَيْن، وكفاه بهما عظمة.

وقد كان جلّ تركيز المفسرين المغاربة منصبا على المأثور من التفسير، فهو معتمدهم ومنطلقهم في التفسير، فلا تفوت آية من آيات القرآن الكريم إلا وتجدهم حشدوا ما وصلهم من أقوال تفسيرية فيها منسوبة لأصحابها، سواء بالسند للنبي ﷺ أو للصحابة والتابعين، أو بنسبة القول لصاحبه، ولا يتجاوزونها بحال من الأحوال، بل يناقشون ويرجحون، أو يضيفون عليها من اجتهادهم بما يتحمله آي القرآن الكريم.

وسوف يأتي مزيد من البيان لاستفادة المفسرين المغاربة من التفسير بالسنة النبوية المطهرة، وكذا بأقوال السلف من الصحابة والتابعين في التفسير خلال مبحث طرق التفسير من الفصل الثالث.

الفصل الثالث
طرق التفسير وقواعده عند المفسرين المغاربة

ويتضمن مبحثين

- المبحث الأول: طرق التفسير عند المفسرين المغاربة
- المبحث الثاني: قواعد التفسير عند المفسرين المغاربة

المبحث الأول: طرق التفسير عند المفسرين المغاربة

ونقصد بها السُبل التي من خلالها فُسِّر القرآن الكريم، وهي تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية المطهرة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وباللغة، والاجتهاد.

ذلك أنّ الأولين انطلقوا في التعامل مع القرآن الكريم من ثلاثة نقاط هامة، كانت في ما بعد الركيزة التي بُني عليها العمل التفسيري برمّته:

أولها: أن القرآن رسالة، وأن الأصل في الرسالة أنها للإفهام، حتى ينبني عليها التكليف، فلا بد أن تكون مهيّأة لتُفهم، ولذلك كانت رسالة لغوية.

أما **ثانيها**: فهي أن القرآن كلام الله المتعالي على كلام البشر، وأن الله قد خصّ نبيّه ﷺ ببيانه، كما ارتبط في تنزله بعلاج بعض القضايا، والإجابة عن بعض الأسئلة، مما يجعل الوصول إلى المعنى المودع في بعض أجزائه محتاجا إلى النقل.

والثالثة: فهي أن القرآن معدّ لعلاج واقع الأمم على مرّ الزمان، واختلاف المكان، فلا بد من أن تكون كل أمة مؤهلة للاجتهاد فيه، وما عليها لتتمتع بحقّها في الاجتهاد إلا اعتبار لغويته واحتياجه إلى النقل، ثم الانضباط بضوابط الاجتهاد داخل النص الإلهي. فكانت هذه النقاط الثلاث: هي المواضع التي تمفصل فيها المنهج الأول في تفسير القرآن وتأويله، ولئن اختلف الأولون في درجة حجيّتها وترتيبها في سلم الأولويّات، فقد تمثلها جميعهم، كلّ بطريقته.[1]

المطلب الأول: التفسير بالقرآن.

قال الإمام ابن تيمية أثناء حديثه عن أحسن طرق التفسير: « إن أصحّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر.»[2]

هذا وقد أجمع العلماء على أنّ تفسير القرآن بالقرآن أشرف أنواع التفسير وأجلّها، إذ لا أحد أعلم من الله جلّ وعلا بمعنى كلامه العظيم.[3]

---

1 . ينظر في: القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل: ص21.

2 . مقدمة في أصول التفسير: ص93.

3 . ينظر في: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 8/1.

الفرع الأول: المراد من التفسير بالقرآن وأهميته.

تتابع أهل العلم على استعمال هذا الطريق من طرق التفسير، والإشارة إليه سواء في كتب التفسير، أو كتب علوم القرآن، بل وفي بعض كتب أصول الفقه، لكنهم اكتفوا باستعماله وبيان صحته، وذكر بعض أنواعه، والتمثيل له، دون وضع تعريفٍ أو حدٍّ له، ولعلّ السبب في ذلك ـ والله أعلم ـ يعود إلى الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، أو لارتباطه بمصطلح التفسير، إذ هو نوع وجزء منه، فاكتفوا بتعريف الكل عن تعريف الجزء، فمتى تبين مصطلح التفسير واتضح يتبّن معنى التفسير بالقرآن.[1]

وقد سبق أن تطرقت إلى مفهوم التفسير، ويمكن بيان المراد من تفسير القرآن بالقرآن بأنه: " بيان معاني القرآن بالقرآن."[2]

وبعبارة أوضح هو: " بيان معنى آية بدلالة آية أخرى."[3]

ويعتبر القرآن المرجع الأساس والمصدر الأول في معرفة معاني القرآن الكريم، ولذلك كان الاعتماد على التفسير بالقرآن بصفة أساسية للتفسير عند كل المفسرين.[4]

" ولهذا كان لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرّر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، وبما جاء مُبيّنا على فهم ما جاء مُجملا، وليحمل المطلق على المقيّد، والعام على الخاص... وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يُعرض عنها، ويتخطّاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره."[5]

1 . ينظر في: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: ص18.

2 . تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم: محسن: ص33. وينظر في: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: ص19.

3 . التحرير في أصول التفسير: ص42.

4 . ينظر في: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص37.

5 . التفسير والمفسرون: ص31. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص153. تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم: ص52. وينظر في: بحوث في أصول التفسير ومناهجه : ص74.

هذا وإنّ " تفسير القرآن بالقرآن باب من أبواب التدبر المأمور به."[1] كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: 29].

وإن أوّل من أصّل لهذا الطريق هو النبيّ ﷺ كما مرّ في الحديث عن نشأة أصول التفسير. إذ فسّر الظلم بالشرك، كما " وصحّت عنه في ذلك أحاديث كثيرة."[2]

استعمال النبيّ ﷺ للتفسير بالقرآن، واكتسابه الجانب التأصيلي جعله منهجا تفسيريا سار عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولهذا اعتمده المفسرون وتتابعوا عليه، فتجده سمة بارزة في تفاسيرهم سواء بنقل الروايات المأثورة عن السلف، أو بقيامهم بهذه المهمة من قبل أنفسهم.[3]

الفرع الثاني: أوجه تفسير القرآن بالقرآن

لقد كان لتفسير القرآن بالقرآن مكانة جليلة عند المفسرين منذ القرون الأولى، واهتموا به أيّما اهتمام، ومع ذلك لم يخوضوا في بيان أوجه التفسير بالقرآن، وما يدخل ويلحق ويعدُّ من تفسير القرآن بالقرآن. وأمّا المعاصرون فاختلفوا في ذلك على قولين[4]:

الأول: أن كل بيان لآية بأخرى من أيّ وجه من وجوه الربط بينهما يُعدّ من تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: أنه يدخل في تفسير القرآن بالقرآن ما يتحقّق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى، بحيث يتوقف عليه فهم اللفظ أو المعنى القرآني، أما ما كان خارجا عن حدّ البيان كجمع الآيات المتشابهة في الموضوع، أو إتمام قصة بجمع آياتها، فهو مجرد ربط بين الآيات، ولا يعدّ من تفسير القرآن بالقرآن، وإنما هو من باب التوسع الذي يكون في تطبيقات مصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

1. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: ص17.
2. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص68.
3. ينظر في: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: ص16، 17.
4. ينظر في: تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم: ص34، 35.

ولا بد أولا من تحرير محل النزاع بين القولين، إذ بينهما توافق في ما يحصل به البيان والتفسير للآية القرآنية، فيما يتعلق بالخصوص والعموم، والمطلق والمقيّد والناسخ والمنسوخ، وغيرها من المباحث الداخلة في البيان الظاهر والواضح، أما ما كان من اجتهاد في ربط آية بأخرى بأي صورة من صور الربط الأخرى كالاستدلال، والوجوه والنظائر وغيرها، فمختلف فيه، إذ يُعدّ من التوسع عند أصحاب القول الثاني.[1]

ولعل السبب راجع إلى تعريف التفسير، فأصحاب القول الثاني حدّدوا التفسير بالبيان الظاهر دون الاستنباط .كما رأينا في تعريف التفسير .، وعليه كان التفسير بالقرآن عندهم محدود في ما كان به البيان فقط دون توسع.

وبالنظر إلى الجانب التطبيقي والعملي لتفسير القرآن بالقرآن في التفاسير، نجد أن التفسير بالقرآن يدخل ضمنه كل نوع من أنواع البيان الظاهر المتفق عليه، والمستنبط المختلف فيه.

" وذلك أن القرآن كله واحد لا يتجزأ، يوضّح بعضه بعضا، ويفسّر بعضه بعضا، ... وهو ما يرجح القول الأول من القولين. ولا يمكن إطلاق شيء من المصطلحات على الربط بين آيتين من كتاب الله إلا بهذا النوع، ... ثم يبقى النظر في صحة ذلك التفسير وخطئه، وقربه وبُعده بحسب نظر المفسِّر والباحث واجتهاده."[2]

الفرع الثالث: التفسير بالقرآن عند المفسرين المغاربة.

اهتم المفسرون المغاربة بالتفسير بالقرآن اهتماما بالغا، وركزوا عليه كثيرا، فما من تفسير آية من آيات القرآن الكريم تقريبا إلا وتجد له فيها نصيب، وهذه نماذج مما جاء من تفسيرهم بالقرآن:

فالإمام يحي بن سلام قد أولى اهتماما كبيرا بتفسير القرآن بالقرآن، وقد تنوع أسلوبه في ذلك فتجد عنده " آيات فُسّرت بأخرى دون زيادة، وذلك بإقامة المماثلة بين الآية المفسَّرة والأخرى التي فسّرتها، وبعضها يمثل لفظا قرآنيا يشرح بلفظ قرآني، وأحيانا يؤيده بما ورد في مواضع

1 . ينظر في: المرجع نفسه: ص35، 36.

2 . المرجع نفسه: ص37.

أخرى من القرآن، أو تفسير إشكال في آية بما جاء من أجوبة في مكان آخر من القرآن. ... وقد يعمد إلى تجميع الآيات المتفقة في المعنى، ويتناولها بالشرح."[1]

فمثلا:

1. عند تفسيره للآيتيْن: 54، 55 من سورة العنكبوت قال: « قوله عز وجل: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[العنكبوت: 54]، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[الكهف: 29]: سورها.

قال: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: 55]، وهذا عذاب جهنم، كقوله: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[الأعراف: 41] ، أي: يغشاهم.

كقوله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾[الزمر: 16].»[2]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم: 49]، قال: « ﴿ مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ : لیائسین من المطر، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: 28].»[3]

3. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ [الصافات: 10]: « استمع الاستماعة، كقوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر: 18].»[4]

وهكذا يتبيّن مما تقدم اعتماد الإمام يحي بن سلام على تفسير القرآن بالقرآن، مهتمّا بوحدة القرآن بين آياته المتفقة في المعنى والمختلفة في مواضعها من القرآن، منطلقا من تشابهها اللفظي، وترادفها وتلاقيها في المعنى، وتوضيحا للموضوع الواحد، وهو بذلك قد سار على أسلم منهج في تفسير القرآن.[5]

والملاحظ " أن تفسيره القرآن بالقرآن ... قد أغناه عن الوقوع في الجدل المذهبي العقدي الذي تثيره الآية بين مختلف المذاهب، ونضرب لذلك مثلا هو تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

1 . نشأة التفسير بتونس: ص82.

2 . تفسير يحي بن سلام: ص 637.

3 . المصدر نفسه: ص665.

4 . المصدر نفسه: ص824.

5 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص84.

عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الرعد:02]، بأنه مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:05]، مكتفيا بذلك، واقفا عند هذا الحدّ، متجاهلا الجدل الذي ثار حول الاستواء على العرش بين أصحاب مختلف المذاهب الكلامية الذي جرّهم جرا إلى التأويل والتخريج وحمل الكلام على غير محمله الظاهر."[1]

ونجد الاهتمام بالتفسير بالقرآن كذلك عند الإمام أبي العباس الباغائي على اختصاره، فمثلا:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: 29]، قال: « هذا مثل قوله حين مدح قوما فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ [الفرقان: 67]، فالإسراف هنا خارج عن المعروف، فذلك يوجب اللوم والحسر، والإقتار هو ما لم يبلغ المعروف.»[2]

2. وقال عند تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[النور: 63]: « يحتمل أن يكون المعنى: لا تدعوه كما يدعوا بعضكم بعضا، ولكن بجّلوه ووقّروه، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: 4]، وكانوا يصيحون له: يا محمد، يا محمد.

ويحتمل أن يكون المعنى: لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم بعضا.»[3]

3. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر: 28]، قال: « فالعلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله. وعالم بأمر الله وليس عالما بالله. وعالم بالله وليس عالما بأمر الله. وأخشى الخَلق لله أكثرهم به عِلما، ومَن لم يعمل بعِلمه عاد بعد العم جاهلا، وشُبّه لحمار يحمل كُتبا لا يدري ما فيها، كما قال في اليهود لعنهم الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[الجمعة: 5]. وزلة العالم كانكسار السفينة، تغرق ويغرق بغرقها خلق كثير.»[4]

---

1 . المرجع السابق: ص83.

2 . أحكام القرآن: ص231.

3 . المصدر السابق: ص262.

4 . المصدر نفسه: ص284، 285.

هذا مما ورد في تفسير الإمام أبي العباس الباغائي من تفسير القرآن بالقرآن، وأما الإمام مكي بن أبي طالب القيسي فكان اهتمامه بالتفسير بالقرآن بالغا، وهذا بعض ما جاء في تفسيره:

1. فعند أول الإسراء قال: « والتسبيح: يكون بمعنى الصلاة، ومنه قوله تعالى في يونس: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات: 143] أي: من المصلين.

وفي لغة لبعض أهل اليمن، يستعملونه في معنى الاستثناء، ومنه قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: 28] أي: تستثنون إذا أقسمتم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم: 17]، ولم يستثنوا، فإنما ذكرهم بتركهم الاستثناء.

ويستعمل في معنى النور، ومنه حديث النبي ﷺ: «**لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه...**»[1]، أي نور وجهه.[2]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 9]، قال: « وكل شيء في القرآن: أجر كريم، وأجر كبير، ورزق كريم، فهو: الجنة.»[3]

3. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: 13]،قال: « أي: رشدها وتوفيقها إلى الإيمان، وهذا مثل قوله:﴿ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[الرعد: 31]، و ﴿ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[هود: 118].»[4]

ومن هذه النماذج يتبيّن قوة حضور التفسير بالقرآن في التفاسير المغاربية، وكذا تعدد وجوه الاستفادة من القرآن الكريم، فزيادةً على بيان المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، تجد المفسرين المغاربة قد جمعوا كل آية بنظيراتها في القرآن الكريم التي لها نفس الدلالة، وكذا الاهتمام بالوجوه والنظائر، وكليات القرآن، وليس هذا وحسب بل استفادوا من التفسير بالقرآن من ناحية الترجيح بين الأقوال التفسيرية، وكذا التأكيد على معنى من معاني ألفاظ القرآن الكريم بما ورد في

1 . صحيح مسلم: رقم: 293، 161/1.
2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4122، 4123.
3 . المصدر نفسه: ص4151.
4 . المصدر نفسه: ص5755، 5756.

مواضع أخرى من القرآن الكريم، فاحتفال المفسرين المغاربية بالقرآن الكريم كان قويا ودقيقا وشاملا فتقريبا لا تمرّ آية من آيات القرآن الكريم إلا وتجد التفسير بالقرآن حاضرا.

المطلب الثاني: التفسير بالسنة النّبوية

الفرع الأول: التفسير النبويّ وأهميته

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيّه بالكتاب العزيز، وأمره ببيانه للناس، فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44].

فما ورد عنه ﷺ إن هو إلا وحي يوحى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: 3، 4]، وأُمرنا باتّباعه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر: 7]، فالرسول ﷺ هو المبيّن الأول للقرآن الكريم، والمعصوم من الخطأ والزلل، وقد أُثر عليه ﷺ " من ذلك الكثير حتى إن المحدثين قد أفردوا للتفسير بابا في كتبهم جمعوا فيه التفسير النبوي."[1] والكل متفق على مدى أهمية الرجوع له في التفسير، إذ إنّ السنة المطهرة ثاني مصادر التشريع، وثاني ركائز الدين الإسلامي، ولا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال.

وقد قال الإمام ابن تيمية : « فإن أعياك ذلك ـ أي تفسير القرآن بالقرآن ـ فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة.»[2]

فالسنة النبويّة بعمومها ـ القولية والفعلية والتقريرية ـ تعتبر بيانا للقرآن الكريم، ولا غِنى للمفسر عن النظر فيها وفي سيرته ﷺ، وما فيها من التطبيق العملي للقرآن الكريم.[3]

ويمكن أن نميّز نوعين من البيان النبوي للقرآن الكريم، وهما على تفاوت فيما بينهما من حيث درجة البيان وكذا الالتزام والأخذ بهما.

1 . مفاتيح التفسير: ص365.

2 . مقدمة في أصول التفسير: ص93، 94.

3 . ينظر في: التفسير النبوي مقدمة تأصيلية: 55/1.

أولا: التفسير النبويّ المباشر

وهو أن يكون المفسِّر فيه رسول الله ﷺ، فهو كل ما ورد عنه ﷺ من أقوال صريحة في تفسير آيات القرآن الكريم.[1]

ويمكن القول هو: ما صحّ من الأحاديث النقلية المرفوعة للرسول ﷺ في تفسير بعض آيات القرآن.[2]

وهذا النوع من التفسير ضروري في تفسير القرآن، ولا يجوز تجاوزه، وليس للمفسّر فيه إلا النقل و الرواية، سواء أكان المفسّر من الصحابة، أم كان ممن جاء بعدهم.[3]

ومن تجاوزه لن يفهم القرآن حقّ الفهم، ولن يحسن تفسيره، كما أنه لا يُؤخذ من هذا التفسير إلا ما صحّ منه، ولا يُؤخذ بالروايات الضعيفة والموضوعة فيه.[4]

ثانيا: التفسير النبوي غير مباشر

وهو كل ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقرير من غير التفسير المباشر، أو ما يعني" تطبيق الرسول ﷺ لأحكام القرآن، وتنفيذه لأوامره، وتخلقه بأخلاقه، وحركته به، ودعوته إليه، وجهاده لأعدائه."[5]

أي أنّ المفسِّر يكون غير النبيّ ﷺ فيفسّر الآية بما ورد عن النبيّ ﷺ مما لم يرد منه في سياق التفسير المباشر، بحيث يستفيد من السُّنة النبويّة، وهذه الاستفادة لا حصر لها.[6]

والأصل في هذا النوع أنه باجتهاد المفسِّر ورأيه، فهو يربط بين الآية المفسَّرة والحديث الذي يفسِّرها لعلاقة تلمح له، وأيّا كانت هذه العلاقة، فإنها راجعة إلى رأي المفسِّر.[7]

1 . ينظر في: المرجع نفسه: 59/1.

2 . ينظر في: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص194، 195.

3 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص65.

4 . ينظر في: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص195.

5 . تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص195.

6 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص64، 68.

7 ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص68.

هذا وكثيرا ما يصادفنا الاختلاف في المقدار الذي بيّنه النبيّ ﷺ من القرآن الكريم[1]، والأصل أن لا خلاف في المسألة، والسبب سوء فَهْمٍ لعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد فُهِم منها أن النبي ﷺ فسَّر القرآن كله، من أوله إلى آخره، وما ذُكِر من أدلة أُخذت من كلام شيخ الإسلام وحُملت على هذا المعنى، وليست فيها دلالة على ذلك.[2]

إذ إنّ الإمام ابن تيمية قال: « يجب أن يُعلم أن النبيّ ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه.»[3]

وما قصد من مقولته إلا أنّ الرسول ﷺ بيّن كل ما وجب عليه تبليغه وبيانه للناس مما يقوم عليه أمر دينهم، أي معاني القرآن الكريم في عمومه، كما بيّن لهم ألفاظه بتبليغه ﷺ القرآن وتلاوته لهم كما نزل عليه، لا كما فُهِم مِن أنّه فسَّر القرآن كله للصحابة من أوله إلى آخره؛ بآياته وجمله وألفاظه، وكيف يتصور ذلك والقرآن نزل بلسان عربي مبين على أرباب العربية والفصاحة! فكان الصحابة يفهمون القرآن بمجرد سماعه غضا طريا منه ﷺ، إلا فيما ندر.[4]

ولو قصد الإمام ابن تيمية أن النبيّ ﷺ فسّر القرآن كله، ما كان هناك حاجة لبيانه فيما بعد لأحسن طرق التفسير.

كما أن ما ورد من أدلّة لا تدل على ما نسبوه إليه، وإنما تدل على كيفية تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن، ما لا يلزم منه أنهم أخذوا تفسير القرآن من النبيّ ﷺ، فقد كانوا يتدارسون القرآن في ما بينهم وإذا أشكل عليهم شيء رجعوا إليه ﷺ، كما أنهم كانوا حريصين على تدبر القرآن وفهم معانيه، والعمل بما فيه، دون اهتمام بالكَم الذي يُحفظ من القرآن.[5]

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون: ص39- 42. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: ص15- 18. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص191، 192. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص55- 59. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص95- 99.

2 . ينظر في: التفسير النبوي مقدمة تأصيلية: 39/1، 40.

3 . مقدمة في أصول التفسير: ص35.

4 . ينظر في: التفسير النبوي مقدمة تأصيلية: 43/1. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص96.

5 . ينظر في: التفسير والمفسرون: ص41. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص96.

وعليه نقول أن النبيّ ﷺ فسّر آيًا من القرآن الكريم تفسيرا مباشرا، وهو المحفوظ في المصنفات الحديثية، وغيرها، كما بيّن ﷺ للناس كل ما وجب عليه تبليغه وبيانه لهم مما يقوم عليه أمر دينهم، أي معاني القرآن الكريم في عمومه، وهذا يشمل التفسير النبوي غير المباشر.

الفرع الثاني: المفسرون المغاربة والتفسير بالسنة النبوية المطهرة

كان للتفسير والبيان النبويّ للقرآن الكريم اهتماما كبيرا من قبل المفسرين المغاربة على اختلاف مناهجهم.

فهذا الإمام يحي بن سلام يفسِّر بالحديث " الآيات القرآنية، كما يستشهد على بعض الروايات في التفسير، أو المعاني التي يقرّرها القرآن."[1] ويورد الروايات بأسانيدها.

ومما جاء في تفسيره من استفادةٍ من السُّنّة النبويّة نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: 25]، قال: « أبو الأشهب، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: « **أيما داع دعا إلى هدى فاتُّبِعَ فله مثل أجر من اتَّبَعَه ولا يُنقِصُ ذلك من أجورهم شيئا، وأيما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع فعليه مثل وزر من اتَّبَعَه لا يُنقِصُ ذلك من أوزارهم شيئا.**»[2].»[3]

2. وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[الحج: 34]، قال: « إذا ذبحوا. فالسنة إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم الله، والله أكبر.

– حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين، أقرنين، يذبحهما بيده، ويطأ على صفحتيهما، ويسمي ويكبر.[4] »[5]

3. وعند قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 17]، قال: « على قدر أعمالهم. ... وحدثنا عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن

1 . نشأة التفسير بتونس: ص84.

2 . سنن ابن ماجه: رقم: 205، 141/1.

3 . تفسير يحي ين سلام: ص59.

4 . صحيح البخاري: رقم:5558، 101/7.

5 . تفسير يحي بن سلام: 379، 380.

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله تبارك وتعالى قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم، قال الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.[1].**»[2]

وهكذا يتبيّن اهتمام الإمام يحي بن سلام بالسُّنّة النبويّة، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أبي العباس الباغائي، فمثلا:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78]، قال:«الفجر، يعني: صلاة الفجر. ﴿كَانَ مَشْهُودًا ﴾، يعني: أنّ صلاة الصبح تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار. »[3]

وهذا استفاده من حديث الرسول ﷺ الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه والذي يقول فيه: « **فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح.**» يقول أبو هريرة: « اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78].»[4]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: 14]، قال: « قال النبيّ ﷺ: « **من نسي صلاةً فليصلّها إذا ذكرها.**»[5]

فإذا نَسي الرجل صلاةً، صلاها متى ما ذَكَرَها، وإن ذَكَرَها في وقت لا تجوز الصلاة فيه فليصلّها.»[6]

3. وعند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: 48]، قال: « المياه أربعة: ماء الأمطار، وماء البحار، وماء الأنهار، وماء الآبار.

1 . صحيح البخاري: رقم: 3244، 118/4.
2 . تفسير يحي بن سلام: ص691.
3 . أحكام القرآن: ص233.
4 . صحيح البخاري: رقم: 4717، 86/6.
5 . المصدر نفسه: رقم: 597، 122/1.
6 . أحكام القرآن: ص238.

قال النبيّ ﷺ وقد سأله رجل: يا رسول الله، إنّا نركب أرسانا لنا في البحر، فيصيبنا العطش، وليس معنا ماء إلا لسقائنا، أفنتوضّأ بماء البحر؟ فقال ﷺ: « **هو الطهور ماؤه، الحِلّ ميتته.**»[21]

وقد اهتم الإمام مكي بن أبي طالب القيسي بالتفسير بالسُّنة كذلك، وقد وضح ذلك في مقدمة تفسيره، إذ قال: « وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.»[3]

ومما ورد من استفادته من الحديث النبويّ نذكر:

1. قوله عند قول الله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ** ﴾[المؤمنون: 10]: « أي: أولئك الذين تقدمت صفتهم هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار في الجنة.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: « **ما منكم أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله.** قال: فذلك قوله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ** ﴾.»[4] .»[5]

2. وأورد عند قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ** ﴾[المؤمنون: 14]، حديثا عن ابن مسعود، قال: « وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: « **إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح** »[6] .»[7]

---

1 . موطأ الإمام مالك: رقم: 12، ص22. مسند أحمد: رقم: 8735، 349/14. سنن ابن ماجه: رقم: 386، 250/1. سنن الترمذي: رقم: 69، 125/1، وقال: « هذا حديث حسن صحيح .». صحيح ابن حبان: رقم: 1243، 49/4.

2 . أحكام القرآن: ص263.

3 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص72.

4 . سنن ابن ماجه: رقم: 4341، 389/5.

5 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4946.

6 . صحيح مسلم: رقم: 2643، 2036/4.

7 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4951.

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[الأحزاب: 6]، قال: « وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: « **ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾، فأيّما مؤمن ترك مالا فلورثته ولعصبته مَن كانوا، ومَن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه.**»[1] .»[2]

والإمام مكي بن أبي طالب كان واسع المعرفة كثير التأليف في العلوم المختلفة ومتميزا في التفسير والقراءات في المقام الأول، إلا أنّه لم يكن محدّثا، ومع اعتماده على عدم ذكر الإسناد، الأمر الذي جعله يقع في الضعيف والموضوع منها إلى جانب الصحيح.[3]

وبعد هذه الإطلالة على تفسير المغاربة للقرآن الكريم بالاعتماد على السنة النبوية المطهّرة، تتأكد أهمية هذه الأخيرة بالنسبة للتفسير، وأن الاستفادة منها غير محصورة في التفسير النبويّ المباشر والصريح، بل تتعداه إلى الاستفادة من كل ما ورد عن النبيّ ﷺ من قول وعمل، أو تقرير.

ورغم ما لحق هذه الأخيرة من اختصار للأسانيد الأمر الذي أدى لاختلاط الصحيح بالضعيف، فإنّ المفسرين المغاربة كانوا حريصين كل الحرص على الصحيح من السنة.

المطلب الثالث: التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.

لا بد لكل مَن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى أن يكون مطلعا على ما أُثر من تفاسير سابقة، والأولى بالاطلاع ما ورد عن الصحابة والتابعين، وخاصة إن كان من المأثور الذي لا مجال للاجتهاد معه.

الفرع الأول: أهميّة تفسير الصحابة والتابعين.

يأتي تفسير الصحابة رضي الله عنهم في المرتبة الثالثة بعد التفسير بالقرآن والتفسير بالسُّنة النبويّة[4]، وذلك لظن سماعهم له من رسول الله ﷺ، ولما تميّز به تفسيرهم، فهم أدرى الناس بكتاب الله، إذ هم أهل اللسان، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة، ولِمَا شاهدوه من القرائن والأحوال التي

1 . صحيح البخاري: رقم: 4781، 116/6.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5786.

3 . ينظر في: منهج مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص205.

4 . ينظر في: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص65.

اختُصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كابن عباس وعبد الله بن مسعود، وغيرهم.[1]

وكذلك الأمر بالنسبة لتفسير التابعين، فقد ذهب أكثر المفسرين إلى الأخذ بأقوالهم في التفسير، لأنهم تلقوا تفسيراتهم عن الصحابة، وهم أقرب إلى عهد النبوة منّا، ولسانهم أفصح.[2]

وكذلك لما اختصوا به من الفضل[3]، ففيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: 110]، وقال فيهم رسول الله ﷺ: « **خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ...**»[4]

وقد أكدّ الإمام ابن تيمية على ضرورة العودة إلى تفاسيرهم فقال: « إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ وعبد الله بن مسعود ... ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن.»[5]

والأمر نفسه بالنسبة للتابعين، إذ قال: « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير. ... وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومَن بعدهم.»[6].

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون: ص72.
2 . ينظر في: المرجع نفسه: 96/1.
3 . ينظر في: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص65.
4 . صحيح البخاري: رقم: 3650، 2/5.
5 . مقدمة في أصول التفسير: ص95، 96.
6 . المرجع نفسه: ص102- 104.

الفرع الثاني: المفسرون المغاربة وأقوال الصحابة والتابعين.

اهتم المفسرون المغاربة بأقوال الصحابة والتابعين اهتماما بالغا، وجعلوا منها ركيزة لتفسيرهم مع القرآن والسُّنة، فما من آية من الكتاب العزيز إلا وتجد لأقوالهم حضورا عند تفسيرها.

فالمتتبع لتفسير الإمام يحي بن سلام يلاحظ مدى عنايته بإيراد الروايات المختلفة في تفسير الآية القرآنية، وأن أغلب مرويّاته ترجع إلى: ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب، ومجاهد، وقتادة، والحسن البصري وغيرهم، وقد بذل جهدا كبيرا في جمع المأثور عن هؤلاء، وذكرها بالإسناد لأصحابها، كما وأبدى رأيه موضحا أو مرجحا في الغالب.[1]

وكثرة الروايات لتفسير الصحابة والتابعين سمة بارزة في تفسير الإمام يحي بن سلام، إذ إنه من أوائل التفاسير، حيث كان الاعتماد على النقل وحسب في التفسير، ولا بأس من إيراد نماذج مما جاء في تفسيره:

1. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء: 57] قال: « قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ القربة، ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ النار، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ يحذره المؤمنون.

سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنِّيُّون، ولم يعلم بذلك النفر من العرب.

قال الله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾[الإسراء: 57] يعني: الجنّيّين الذين يعبدهم هؤلاء، ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن: أنهم الملائكة، وعيسى، يقول: أولئك الذين يعبد المشركون والصابئون والنصارى؛ لأن المشركين قد كانوا يعبدون الملائكة، والصابئين يعبدونهم، والنصارى تعبد عيسى.

قال: فالملائكة وعيسى الذين يعبد هؤلاء يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.»[2]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[النور: 31]

---

1 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص85.

2 . تفسير يحي ين سلام: ص143.

قال: « هذه في الحرائر.

- وحدثني شريك وسفيان ويونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: الثياب.

وحدثني الحسن بن دينار، عن الحسن مثل ذلك.

- المعلى بن هلال، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: الكحل والخاتم.

الحسن بن دينار عن قتادة مثل ذلك.

وقال السدي:﴿إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: إلا ما بدا في الوجه والكفين.

- قال: وحدثني حماد بن سلمة، عن أم شبيب، عن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: القلب والفَتْخة. قال حماد: يعني الخاتم.وقالت بثوبها على ثوبها فشدته.»[1]

3. وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: 39]: «أي: في طاعة الله، وهو تفسير السدي.

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ليس، يعني: أنه إذا أنفق شيئا أخلف له مثله ولكن يقول الخلف كله من الله أكثر مما أنفق أو أقل، ليس يخلف النفقة ويرزق العباد إلا الله.

وقال السدي: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: 39] يعني: في الآخرة، أي: أن يخلفوا خيرا في الآخرة ويعوضكم من الجنة.

سفيان الثوري، عن الحسن، قال يحيى: أراه ابن سعد عن مجاهد، قال: إذا كان في يدي أحدكم ما يقيمه، فليقتصد ولا يتأول هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.قال يحيى: وبلغني عن مجاهد، قال: لا ينفق أحدكم كل ما في يديه، يتأول هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

سفيان، عن عمرو بن قيس الملائي، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير قال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ في غير سرف ولا تقتير.»[2]

1 . المصدر السابق: ص440.

2 . المصدر السابق: ص766.

وهذا ممّا وقفت عنده واخترته من تفسير الإمام يحي بن سلام مما جاء بصفة غير متوسعة أو ما جاءت فيه الروايات بصفة أقل من غيرها من الآيات، إذ هو يحشد كل ما وصله من روايات في تفسير الآي.

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أبي العباس الباغائي، فقد اعتمد على تفسير الصحابة والتابعين، دون ذكره للإسناد، فهو ينسب القول لصاحبه مباشرة، كما أنه يَتَخيَّر من أقوالهم، إذ في الغالب لا يورد إلا قولا أو اثنين في تفسير الآية، ومن ذلك نذكر:

1. قال: « قال الله عزّ وجلّ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: 28]، قال أبو جعفر محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ: المعنى ليشهدوا المغفرة.»[1]

2. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـَٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت: 56]:

« قال سعيد بن جبير: أمر الله عزّ وجلّ بمجانبة أهل المعاصي والزوال عنهم، وكذلك مجانبة من يأمر بالمعاصي.

وقال مجاهد: يعني به: مَن كان بمكة مِن المؤمنين، أَمَرَهم.»[2]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم:17، 18]: « قال ابن عباس: هذه الخمس صلوات قد نصّها الله تبارك وتعالى في القرآن، فمعنى قوله: ﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ يعني: المغرب والعشاء، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ يعني: الصبح، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ يعني: العصر، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ يعني: الظهر.»[3]

وهكذا كان اهتمام الإمام أبي العباس الباغائي بتفسير الصحابة والتابعين في تفسيره، وقد كان مناسبا لتفسيره الذي جاء على وجه الاختصار.

وأما بالنسبة للإمام مكي بن أبي طالب، فقد كان شغوفا بأقوال الصحابة والتابعين خاصة ومَن سبقه في التفسير، إذ قال في مقدمة تفسيره: « وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور

1. أحكام القرآن : ص241.
2. المصدر السابق: ص272.
3. المصدر نفسه: ص273.

تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له. ... وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.»[1]

وكان تفسير ابن عباس ﷺ من أهمّ المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره.[2]

وقد أكثر من آراء الصحابة ﷺ زيادة على عبد الله بن عباس، كعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، والسيدة عائشة، وأبو هريرة، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم على اختلاف بينهم في القلة والكثرة، كما وأكثر الإمام مكي بن أبي طالب القيسي من أقوال التابعين في تفسيره، وبالأخص الكبار منهم أمثال: مجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وعطاء الخراساني، ومسروق الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية، وغيرهم كثير، فهي لا تحصى، إذ يحرص في تفسير كل آية على ذكر أكبر عدد من أقوال الصحابة والتابعين المروية عنهم إذا كان ذلك ممكنا، فيورد عند كل آية مجموعة من أقوالهم، سواء كانت متوافقة أو مختلفة، ولا يذكر قوتها ولا ضعفها إلا قليلا.[3]

ومما ورد في تفسيره نذكر:

1. قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[النحل: 1]: « وقد قال الضحاك: ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فرائضه وحدوده وأحكامه.

وقيل: هو وعيد من الله لأهل الشرك على ما تقدم ... وروي عن الضحاك ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن: أي أتى بفرائضه وحدوده وأحكامه، وهو القول الأول عنه.

وقيل: أمر الله نصر النبي عليه السلام. وقيل هو يوم القيامة.

وقال الزجاج: ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم بمنزلة قوله:

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص72.

2 . ينظر في: المصدر نفسه: ص74.

3 . منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص225- 228، 232. بتصرف

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود:40]، وقوله:﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ [يونس: 24]. ومعناه: أنهم استبطأوا العذاب فأخبرهم الله بقربه... وقيل معنى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: أتت أشراط الساعة، وما يدل على قرب القيامة. وقيل: هو قيام الساعة. وقيل: هو جواب لقولهم بمكة: ﴿ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: 32] الآية."[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾[الكهف: 18]

قال: « والوصيد: فناء الكهف، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك وقتادة: وعن قتادة: " الوصيد ": الصعيد والتراب. وعن ابن عباس أيضاً: الوصيد الباب، وقيل: الوصيد العتبة، وقيل الوصيد فناء الباب.»[2]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 10]، قال: « ثم قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾ يخاطب قريشاً. أي: فيه شرفكم إن آمنتم به، لأنه عليكم نزل، وبلغتكم وهو قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾[الزخرف: 44] قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: ﴿ فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾ أي: حديثكم.

وقال سفيان: نزل القرآن بمكارم الأخلاق، فهو شرف لمن اتبعه وآمن به.

والذكر: يستعمل بمعنى الشرف: يقال فلان مذكور في هذا البلد، إذا كان فيه رفيعاً مذكوراً بالشرف والفضل.

وقيل: معناه: ﴿ فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾ أي: ذَكَّرْنَاكُم به أَمْرَ دينكم وأمر آخرتكم ومعادكم، فجعله ذكرهم، إذ كان به يذكرهم ما وصفنا. وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: 46]. أي اخترناهم ليذكروا أمر معادهم وآخرتهم. وفيه قول آخر، تراه في موضعه.»[3]

وهذه الأمثلة تُظْهِر بوضوح مدى استفادة الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، وكذلك المفسرين المغاربة من أقوال الصحابة والتابعين، ولو لا خشية الإطالة لذكرنا مزيدا منها، ولكن

1. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3945- 3947.
2. المصدر نفسه: ص4344، 4345.
3. المصدر السابق: 4733/7، 4734.

الغرض إبراز اعتماد المفسرين المغاربة على أقوال السلف الصالح، والتأكيد على مدى أهمية الرجوع إليها في التفسير، إذ هم أعرف الناس بالتفسير.

وعلى العموم فإن استعانة المفسرين المغاربة بأقوال الصحابة والتابعين في التفسير واستفادتهم منها كانت واضحة، وتقديمهم لهم على غيرهم بارز، كما ويظهر لنا كيف انتقل التفسير من الاعتماد على الرواية وذِكر الإسناد، إلى التأليف وإهمال الإسناد، الأمر الذي جعل التفسير يدخله " الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يَسْنَحُ له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم يَنْقُلُ ذلك عنه مَن يجيء بعده ظانًّا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير."[1]

الفرع الثالث: الإسرائيليات في تفسير المغاربة.

أولا: معنى الإسرائيليات

لفظ الإسرائيليات جمع، مفرده إسرائيلية، وهي قصة، أو حادثة تُروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو نبيّ الله يعقوب ﷺ، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل.[2]

ولفظ الإسرائيليات يدل بظاهره على ما كان أصله يهوديا، ولكن من حيث الاستعمال في التفسير يطلق على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على ما تطرّق إلى التفسير من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما، وإنما أُطلِق لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره، لأن الغالب على الإسرائيليات ما كان مصدره يهوديا، إذ كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم.[3]

1. الإتقان في علوم القرآن: ص2343.
2. ينظر في: الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص13.
3. ينظر في: المرجع نفسه: ص13-15.

ثانيا: مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير ومذاهب العلماء فيها

إن مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير[1] كان في عهد الصحابة ﷺ، وذلك لاتفاق القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل والأخبار المشتركة وخاصة ما تعلق بقصص الأنبياء، مع فارق الإيجاز في القرآن والإطناب في التوراة والإنجيل، فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء ـ مثلاً ـ تراه يقتصر على موضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، فلا يذكر تاريخ الوقائع، ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها، كما أنه لا يذكر في الغالب أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث، ولا يدخل في تفاصيل الجزئيات، بل يتخيَّر من ذلك ما يمس جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة.

وقد أسلم كثير من الصحابة ﷺ وكانوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وغيره، فكان الصحابي إذا مَرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه مَيْلا إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد مَن يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.

غير أن الصحابة ﷺ لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، فلم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها، كما أنهم كانوا لا يعدلون عما ثبت عن الرسول ﷺ من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب، لأنه إذا ثبت الشيء عن الرسول ﷺ فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، وكذلك كانوا لا يقبلون كل ما يقال لهم، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا، ويردُّون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لقول الرسول ﷺ: « **لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** [المائدة: 59] .. **الآية.**»[2]

1 . ينظر في: التفسير والمفسرون: 123/1- 130. الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص22-25. منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص236.

2 . صحيح البخاري: رقم: 4485، 20/6.

كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يُشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضُرِب به القتيل من البقرة، ومقدار سفينة نوح، ونوع خشبها، واسم الغلام الذي قتله الخضر.

ومهما يكن من شيء فإن الصحابة ﷺ لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدَّها لهم رسول الله ﷺ وعما فهموه من الإباحة في قوله ﷺ: « **بلِّغوا عنى ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج، ومَن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.**»[1]

ثم كثُر النقل في عصر التابعين عن أهل الكتاب، وممن رُوى عنه في ذلك ووهب بن منبه، وما كثُر النقل إلا لكثرة مَن دخل من أهل الكتاب إلى الإسلام، ثم عظم الشغف بالإسرائيليات بعد عصر التابعين، واستمر هذا الشغف بعد، وظهر جماعة من المفسّرين أكثروا الحشو والنقل من الروايات الإسرائيلية دون دقّة وتمحيص، فوقع في تفسيرهم المنكرات، والغريب، والأوهام، مما لا يتصوره النقل والعقل، وهذا ما كان له أثر سيء في التفسير.[2]

هذا وقد كثرت الروايات الإسرائيلية في التفسير، وهي ليست على درجة واحدة من حيث القبول والردّ، فقد قسّم بعض العلماء ومن بينهم الإمام ابن تيمية الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، وهي[3]:

1. ما يُعلم صحته مما بأيدينا مِن أقوال الرسول ﷺ، أو مما يشهد له بالصدق مِن شرعنا، فذاك صحيح مقبول.
2. ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

1. المصدر نفسه: رقم: 3461، 170/4.
2. التفسير والمفسرون: 97/1، 123- 129. بتصرف. وينظر في: الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص22-25. ومنهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره: ص236.
3. ينظر في: مقدمة في أصول التفسير: ص100. التفسير والمفسرون: 130/1، 131. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص119. التحرير قي أصول التفسير: ص157.

3. ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذّبه وتجوز حكايته، وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف العلماء في مثل هذا اختلافاً كثيراً.

وقد تفاوتت آراء العلماء في الأخذ بالإسرائيليات[1] والاستفادة منها: بين متشدّد لا يجيزها، وهذا لما ورد من نصوص محذرة من الإسرائيليات، وبين متساهل ومجيز للأخذ بها، مستدلا بعدة أدلّة من القرآن، والسنة المطهّرة.

والذي يترجح في المسألة جواز الاستفادة من مسلمي أهل الكتاب والرواية عنهم، وما كان من أدلة المانعين فيحمل على النهيّ عن اتباع ما جاء به موسى عليه السلام والاهتداء بما عند بني إسرائيل، وقد حرفوا وبدلوا، وترك ما جاء به محمد ﷺ، وأما الرجوع إلى أخبارهم وحكايتها والاستفادة منها فهي بمعزل عن ذلك النهي.[2]

هذا وإنّ جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم قد رجعوا إليهم واستفادوا منهم، ولم يروا في ذلك غضاضة، كما سار كثير من علماء التفسير على نقل هذه الإسرائيليات وتداولها من غير نكير لكثير منها، ولم يقع النكير المطلق إلا عند بعض المفسّرين، ثم استقر الأمر عند كثير من المعاصرين على هذا المنهج.[3]

والأولى على المفسّرين حيال نقلهم للإسرائيليات، وخاصة للأقوال المختلفة منها، أن ينبهوا على الصحيح منها، ويبطلوا الباطل، وليس لهم أن يحكوا الخلاف ويُطلقوه دون التنبيه والتمييز بين المقبول والمردود، لأن مثل هذا العمل يُعَد ناقصا، لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل، ووضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب.[4]

1. ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص119- 123. التحرير في أصول التفسير: ص153- 156.
2. ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص120. التحرير في أصول التفسير: ص158.
3. ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص158،159.
4. ينظر في: التفسير والمفسرون: 132/1، 133.

ثالثا: المفسّرون المغاربة والإسرائيليات

كانت الإسرائيليات حاضرة في التفاسير المغربية، ورواها المفسّرون باعتبارها من روايات الصحابة والتابعين، إذ كان أكبر همّهم جمع أكبر قدر من رواياتهم في التفسير، وسيرا على منهج الصحابة والتابعين في ذكرها في التفسير، وخاصة " أن هذه الأخبار التي تلقّاها الرواة الأوائل وضمتها كتب التفسير... لم يكن لها تأثير في أصول الدين وعقائده، وإنما هي أخبار احتملت الصدق والكذب، ورويت مفصِّلةً لما أجمل من قصص القرآن، أو بعض ما أبهم فيه."[1]

وهكذا نجد كَمًّا من الإسرائيليات في تفسير الإمام يحيى بن سلام باعتباره من المفسرين الأوائل الذين كان همّهم الإحاطة بكل ما قيل حول معنى اللفظة القرآنية أو الآية، وجمع الروايات واستقراءها.[2]

ونكتفي بنموذجين مما جاء من الإسرائيليات في تفسيره:

1. عند تفسيره لقول الله تبار وتعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، قال: « أي: وليفسدوا ما غلبوا عليه فسادا، فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر البابلي المجوسي فسبى وقتل وخرّب بيت المقدس، وقذف فيه الجيف والعذرة.

- يقال إن فسادهم الثاني قتل يحيى بن زكرياء، فبعث الله بختنصر عقوبة عليهم بقتلهم يحيى، فقتل منهم سبعين ألفا.
- أبو سهل، عن أبي هلال الراسبي، عن قتادة: أن مريم لما حملت قالوا: ضيع الله بنت سيدنا، يعنون زكرياء، حتى زنت، فلما طلبوا زكرياء ليقتلوه انطلق هاربا، فعرضت له شجرة، فقال: افرجي لي حتى أختبئ فيك، ففرجت له فدخل فيها وانضمت عليه، وبقي بعض هدب ثيابه خارجا.

فطلبوه فلم يقدروا عليه، فجاء إبليس، فقال: هو في هذه الشجرة وهذا هدب ثوبه، فجيء بالمنشار فوضع عليه حتى قتل.

1 . نشأة التفسير بتونس: ص96.

2 . ينظر في: نشأة التفسير بتونس: ص96.

وإن يحيى بن زكريا كان في زمان لم يكن للرجل منهم أن يتزوج امرأة أخيه بعده، وإذا كذب متعمدا لم يول الملك.

فمات الملك وولي أخوه، فأراد الملك أن يتزوج امرأة أخيه الملك الذي مات، فسألهم فرخصوا له، فسأل يحيى بن زكرياء، فأبى أن يرخص له، فحقدت عليه امرأة أخيه، وجاءت بابنة أخي الملك الأول إليه فقال لها: سليني اليوم حكمك. فقالت: حتى أنطلق إلى أمي. فلقيت أمها فقالت: قولي له إن أردت أن تفي لنا بشيء فأعطني رأس يحيى بن زكرياء، فقال: قولي لها غير هذا خير لك منه. قال: فأبت، وتكَرَّه أن يخلفها فلا يُولّى الملك، فدفع إليها يحيى بن زكرياء. فلما وضعت الشفرة على حلقه قال: قولي: بسم الله. هذا ما بايع عليه يحيى بن زكرياء عيسى ابن مريم على ألا يزني، ولا يسرق، ولا يلبس إيمانه بسوء.

فلما أمرت الشفرة على أوداجه فذبحته ناداها مناد من فوقها، فقال: يا ربة البيت الخاطئة الغاوية، قالت: إنها كذلك، فما تريد منها؟ قال: لتبشر فإنها أول ما تدخل النار.

قال: وخسف بابنتها فجاءوا بالمعاول فجعلوا يحفرون عنها وتدخل في الأرض حتى ذهبت.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: 69]، قال: « - حدثني حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: كان موسى أراد أن يغتسل، فدخل الماء يوما ووضع ثوبه على صخرة، وكانت بنو إسرائيل تقول: إن موسى آدر، فلما أراد أن يخرج يتناول ثوبه تدهدهت الصخرة، فتبعها وهو يقول: ثوبي، ثوبي، فمر بملإ من بني إسرائيل، فرأوه ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾.»[2]

ويلاحظ أن الإمام يحيى بن سلام يذكر الإسرائيليات تبعا لذكره لأقوال الصحابة والتابعين دون إهماله للإسناد الذي من خلاله يحكم بالصحة وعدمها.

1. تفسير يحيى بن سلام: ص117، 118.
2. المصدر نفسه: ص741.

أما الإمام أبي العباس الباغائي فكان اهتمامه بذكر الإسرائيليات قليلا أو نادر، حيث يذكرها وكأنها تفسير إجمالي للآية دون أن ينسبها لأحد، وإن كان لها تعلق ما بالأحكام الواردة في الآية، فإنه يعقبها بتلك الأحكام، ومما ورد في تفسيره نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ [الأنبياء: 78]، قال: « وهذه غنم لقوم رعت كرم قوم ليلا، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فقضى للذي نفش كرمه بالغنم الذي نفشته، فمرّوا لسليمان، فقال لهم: كيف حكم بينكم نبيّ الله؟ فأخبروه، قال سليمان: لو كنت أنا لحكمت لصاحب الكرم يأخذ الغنم، فيغتلّ أصوافها، وألبانها، وسمنها، حتى يرجع الكرم إلى حاله، فإذا رجع ردّ على صاحب الغنم غنمه وأخذ كرمه.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَ ﴾ [القصص: 28]، قال: « زوج شعيب عليه السلام ابنته من موسى ﷺ على أن يرعى له الغنم ثمانية أعوام، ثمّ قال له: إن زدتني عامين فمن عندك، أي: متفضّلا، وهذا التزويج خاص.»[2]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ [الصافات: 141]، قال: « أي: فضرب معهم بالقرعة، وذلك أنه لما ركب السفينة معهم، ركدت بهم، فقالوا: إنّ فينا رجلا مذنبا عوقبنا به، فاقترعوا، فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات، فألقوه فالتقمه الحوت.»[3]

وكذلك جاءت الإسرائيليات في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، والتي استقاها من المصادر التي اعتمد عليها، وهو ينسبها لراويها الأول دون ذكر أسانيدها، وإن كان حريصا على ذكر الصحيح من التفسير بالحديث دون غيره، فإنه لم يوفّق في جانب القصص الإسرائيلية والروايات التاريخية الأخرى إلى تحقيقها ونقدها، أو الإشارة إليها من قريب أو بعيد.[4]

فهو " لم يتحرّ في نقل الإسرائيليات كما تحرّى في نقل روايات الحديث وأسباب النزول."[5]

1 . أحكام القرآن: ص239.

2 . المصدر نفسه: ص268.

3 . المصدر نفسه: ص287.

4 . ينظر في: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: ص274.

5 . التفسير واتجاهاته بإفريقية: ص174.

ومما جاء في تفسيره نذكر ما أورده عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 19]، حيث قال: « قال وهب بن منبه: غبروا بعدما بني عليهم باب الكهف زماناً بعد زمان. ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلت غنمي من المطر. فلم يزل يعالجه حتى فتح ما دخل منه. ورد الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاماً، فلما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره. حتى دخل على رجل، فقال: بعني بهذه الدراهم طعاماً. فقال: من أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس وأتى الليل ثم أصبحوا فأرسلوني. فقال: هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان، فأنى لك بها؟ فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحاً فقال: من أين لك هذا الورق؟ فقال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا.

ثم أمروني أن أشتري لهم طعاماً. فقال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف. قال: فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال: دعوني أدخل إليهم قبلكم. فلما رأوه ودنا منهم ضرب على ءاذانهم فجعلوا كلما دخل رجل منهم أرعب. فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم فبنوا عندهم كنيسة واتخذوها مسجداً يصلون فيه.

وقال عكرمة: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، ورزقهم الله الإسلام فاعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف. فلبثوا دهراً طويلاً حتى أهلكت أمتهم. وجاءت أمة مسلمة وملكهم مسلم. فاختلفوا في الروح والجسد فقال قائل: يبعث الروح أما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئاً. فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح، وجلس على الرماد، ثم دعا الله عزّ وجلّ فقال: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله عزّ وجلّ أصحاب الكهف. فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً. فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه، ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً. فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها فقال له الفتى: أليس ملككم فلاناً؟ قالوا: لا ملكنا فلان، فلم

يزل ذلك بينهما حتى دفعوه إلى الملك فسأله، فأخبره الفتى خبر أصحابه. فبعث في الناس فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله عزّ وجلّ قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان، يعني: ملكهم الذي مضى. فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي. فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف. فقال الفتى: دعوني أدخل إلى أصحابي. فلما أبصرهم ضرب على أذنه وآذانهم، فلما استبطؤوه دخل الملك ودخل الناس معه فإذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير أنه لا أرواح فيها. فقال الملك: هذه آية: بعثها الله عزّ وجلّ لكم.

ورُوي في هذا أخبار طويلة ترجع إلى هذا المعنى.»[1]

وهكذا اعتمد المفسرون المغاربة على أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرهم، وكانت الروايات عنهم سمة بارزة واضحة في تفاسيرهم.

كما يلاحظ كيف تطور التفسير من الاعتماد على الإسناد وذكر سلسلة الرجال، إلى الاستغناء عنها بغية سهولة الحفظ لمن طلبه، ولكن الأمر أدى إلى اختلاط الغث بالسمين، وتطرَّق الضعفُ للتفسير.

المطلب الرابع: التفسير باللغة.

الفرع الأول: المراد من التفسير باللغة وأهميته.

التفسير باللغة هو التفسير الذي يكون الاعتماد فيه على اللغة العربية في البيان والتوضيح لآي القرآن الكريم، وقد عُرّف بأنه: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب."[2]

أو " بيان معاني القرآن الكريم بمدلول مفرداته وتراكيبه في لغة العرب."[3]

ولقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2]، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء: 192- 195]، لأمة عربية كانت على أعلى درجات الفصاحة آن ذاك، فأبهرها وأعجزها أن تأتي بمثله.

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4349- 4351.

2 . التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ص38.

3 . التحرير في أصول التفسير: ص177.

ولقد تحدثنا عن ضرورة الاطلاع على علوم اللغة لمن رام تفسير القرآن الكريم.

وقد كان الصحابة ﷺ يفهمون القرآن بمقتضى لغتهم، ولا يحتاجون للبيان إلا في ما ندر، فيلجؤون إلى لغتهم بعد رسول الله ﷺ، وإنّ أول ما استوقفهم استشكال معاني بعض الألفاظ[1]، فليس كل الصحابة على درجة واحدة في المعرفة، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يستفسر عن الأبّ[2]، من قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: 31].

وكذلك ترجمان القرآن عبد الله بن عباس قال: «كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: (أنا فَطَرتها)، يقول: (أنا ابتدأتها).»[3]

ويعتبر ابن عباس ﷺ رائد التفسير اللغوي، فقد وجّه الأنظار إلى لغة العرب، وذلك من خلال تقسيمه المشهور وذكره لأنواع التفسير، ومن خلال إجاباته على أسئلة نافع بن الأزرق، وقد ورد عنه أنه قال: « إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.»[4]

وقال : « الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه.»[5]

وقد أكدّ التابعون على ضرورة الاهتمام باللغة لتفسير القرآن الكريم، فهذا مجاهد

يقول: « لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب.»[6]

1 . ينظر في: القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل: ص49.

2 . ينظر في: تفسير الطبري: 120/24. الإتقان في علوم القرآن: ص731.

3 . تفسير الطبري: 175/9. الإتقان في علوم القرآن: ص731، 732.

4 . البرهان في علوم القرآن: 396/1. الإتقان في علوم القرآن: 847، 848.

5 . الإتقان في علوم القرآن: ص847.

6 . البرهان في علوم القرآن: 396/1.

وتوالى التأكيد بعد على الاهتمام باللغة، فقد روي عن مالك بن أنس أنه قال: « لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا.»[1]

وما مِن مفسّر إلا ويؤكد على أهمية الرجوع للغة والاستفادة منها في تفسير الكتاب العزيز، وهذا الملمح ظاهر في مقدمة تفسير كُلا من الإماميْن يحي بن سلام، ومكي بن أبي طالب القيسي، وقد وقع بين العلماء ما يمكن اعتباره إجماعا على اعتبارها مرجعا أصيلا في التفسير، ولا غنى عنها في الكشف عن معاني القرآن والوقف على سر جماله ومناط إعجازه.[2]

فالدليل اللغوي يعتبر الطريق الأول إلى فهم القرآن الكريم، فإنه لا يمكن أن يقوم أي تفسير أيّا كان نوعه وطبيعته إلا باعتماده على اللغة أولا، فلا يمكن الوصول إلى معنى جزئي في النص، فقهيا كان، أو شرعيا، أو أصوليا، إلا بالانطلاق من اللغة.

ومع هذا فإنّ المدرسة التفسيرية التي ينتمي إليها المفسّر تجعل نظرته إلى الدليل اللغوي تختلف، فالاعتماد على اللغة كان متفقا عليه لكن درجة حجّيّتها كانت محل خلاف، والرأي الوسط الذي يمثّل أغلب المفسّرين، وهم أصحاب النظرة المعتدلة إلى اللغة، فلا تُحكّم في النص تحكيما أعمى، كما لا تتجاهل أهميّتها، بل هي المفتاح الذي يعين على الولوج إلى عالم النص، ويضمن الوصول الأمثل إلى معناه.[3]

ويعدّ التفسير باللغة " هو تمهيد ضروري، وبداية أساسية ومنطلق منهجي لكل عملية تفسيرية، وتأتي بعده مناطق أخرى من الفهم، ومستويات من الشرح والتفسير، تعتبر امتدادا واستمرارا لازما له."[4]

وتتأكد أهمية اللغة العربية بالنسبة لتفسير القرآن الكريم باعتبارها سد منيع ضد المتأوّلة وغلاة الباطنية، والمتطرفين من المتصوّفة أصحاب الرمز الذين أغربوا وانحرفوا عن السياق القرآني

1 . المرجع نفسه: 396/1.

2 . ينظر في: علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص125، 126.

3 . ينظر في: القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل: ص71- 73.

4 . المرجع نفسه: ص70.

الواضح، وبها يتبّن خطأ الذين يحاولون تحميل نصوص القرآن ما لا يحتمله من دلالات على المكتشفات العلمية الحديثة التي لا استقرار لها.[1]

على الرغم من أهمية اللغة بالنسبة للتفسير، فإنه لا يمكن الاعتماد عليها وحدها في التفسير، فذلك يوقع في الخطأ في التفسير.[2]

الفرع الثاني: عناية المفسرين المغاربة بالمباحث اللغوية

لا تخلو "كتب التفسير من التفسير اللغوي، وإنما التمايز بينها في طريقة عرضه، وقلّته وكثرته، ومدى استفادة المفسّر من لغة العرب في بيان معاني كلام الله سبحانه."[3]

أولا: المباحث اللغوية عند الأمام يحي بن سلام

تجد عند تفسير الإمام يحي بن سلام العديد من المباحث اللغوية فهو عند " تفسيره لبعض الألفاظ القرآنية تفسيرا لغويا يورد المترادف والنظير، أو يشرح اللفظة بتفصيل وبيان، وقد يحتج لها بالقرآن أو الحديث أو الأثر أو الشعر واستعمالات العرب."[4]

كما" تعرض ابن سلام إلى بعض الألفاظ الواردة في القرآن والتي هي من أصل أعجمي، فأرجعها إلى أصولها."[5]

وهذه نماذج من تفسيره تظهر تعدد المباحث اللغوية عنده:

1. علم اللغة:

- عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون:11]، قال: «والفردوس اسم من أسماء الجنة في تفسير الحسن.

  قال يحي: وبلغني أنها بالرومية.»[6]

---

1. ينظر في: التفسير واتجاهاته بإفريقية: ص21.
2. ينظر في: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ص50، 51. علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص128، 129.
3. التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ص184.
4. نشأة التفسير بتونس: ص87.
5. المرجع نفسه: ص87.
6. تفسير يحي بن سلام: ص394.

- وقال عند قول الله تعالى: ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: 23]: « وهو الذي يتناثر من الغبار الذي يكون من أثر حوافر الدواب إذا سارت.

والآية الأخرى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[الواقعة: 6]، وهو الذي يدخل البيت من الكوة من شعاع الشمس.»[1]

- وقال عند قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[الفرقان: 63]: «حدثني المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: الهون في كلام العرب: اللين والسكينة.»[2]

- وعند قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾[الصافات: 11]، قال: « واللازب الذي يلصق باليد في تفسير قتادة.

قال يحيى: يلصق ويلزق واحد، هي لغة، وهي تقال بالسين يلسق أيضا.

وقال مجاهد: {لازب}: لازم، وهو واحد، وهو الطين الحر في تفسير الحسن.»[3]

2. علم الصرف:

- قال عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[الحج: 57]: « من الهوان.»[4]

- وعند قول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: 1]، قال: « قوله:﴿تَبَارَكَ﴾، وهو من باب البركة كقوله: تعالى، ارتفع.»[5]

- وقال عند قول الله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[الأحزاب: 66]: « وإنما صارت: الرسولا، والسبيلا لأنها مخاطبة، وهذا جائز في كلام العرب إذا كانت مخاطبة.»[6]

1 . المصدر نفسه: ص476.
2 . المصدر نفسه: ص488.
3 . المصدر السابق: ص825.
4 . المصدر نفسه: ص385.
5 . المصدر نفسه: ص468.
6 . المصدر نفسه: ص740.

3. علم النحو:

- قال عند قول المولى عزّ وجلّ: ﴿ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[النحل: 24]: « وإنما ارتفعت لأنهم قالوا لهم أساطير الأولين. وهذه حكاية.»[1]
- وقال عند قول الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[الإسراء: 3]: « في السفينة، أي: يا ذرية من حملنا مع نوح، لذلك انتصبت.»[2]
- وعند قول الله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[يس: 30]، قال: « إنّما أخبر الله أن تكذيبهم الرسل حسرة عليهم، وهذا من الصراخ بالنكرة الموصوفة.»[3]

4. علم البيان:

- عند قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖ ﴾[النور: 35]، قال: « أما قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾، حدثني أشعث، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾، لا مثل لنور الله، مثل نور المؤمن كمشكاة.

  قال يحيى: يقول مثل نوره الذي أعطى المؤمن في قلبه كمشكاة. ...

  قال: ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في قلب المؤمن.

  قال: ﴿ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖ ﴾ صافية. والزجاجة القنديل. وهو مثل قلب المؤمن. قلب صاف.»[4]
- وعند قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[النور: 39]، قال: « والعطشان مثل الكافر، والسراب مثل عمله، يحسب أنه يغني عنه شيئا حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا إلا كما ينفع السراب العطشان.

---

1 . المصدر نفسه: ص58.

2 . المصدر السابق: ص114.

3 . المصدر نفسه: ص807.

4 . المصدر السابق: ص449.

سعيد عن قتادة قال: هذا مثل عمل الكافر، يرى أن له خيرا وأنه قادم على خير حتى إذا كان يوم القيامة لم يجد خيرا قدمه.»[1]

- وعند قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[فاطر: 19-22]، قال: « هذا كله مثل للمؤمن والكافر، كما لا يستوي البحران العذب والمالح، وكما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر.»[2]

5. علم المعاني:

- عند قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾[النحل: 52]، قال: « يعني: تعبدون.

قال يحيى: يعني: المشركين، على الاستفهام، أي قد فعلتم فعبدتم الأوثان من دونه.»[3]

- وعند قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾[النحل: 43، 44]، قال: « وفيها تقديم: وما أرسلنا من قبلك بالبيّنات، والزبر، والكتب، إلا رجالا يوحى إليهم.»[4]

- قال عند قول الله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[النمل: 60]: « على الاستفهام، أي: ليس معه إله، وهذا استفهام على إنكار.»[5]

ثانيا: المباحث اللغوية عند أبي العباس الباغائي

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أبي العباس الباغائي، فقد اهتم باللغة في التفسير، إلا أنّ استفادته من اللغة قليلة مقارنة بنظيريه الإمام يحي، والإمام مكي، وذلك تماشيا مع منهجه في تفسيره الذي التزم فيه الاختصار.

وفي الآتي بعض مما ورد في تفسيره من الاستفادة من اللغة:

1. المصدر نفسه: ص453.
2. المصدر نفسه: ص784.
3. المصدر السابق: ص68.
4. المصدر نفسه: ص66.
5. المصدر نفسه: ص555.

1. علم اللغة:

- قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[الإسراء:79]: « التهجد: السهر، والهجود: النوم.»[1]
- وحين فسّر قول المولى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ [الأنبياء: 78]، قال: « ومعنى نفشت: رعته ليلا.»[2]
- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ ﴾[الحج: 25]، قال: « والإلحاد: الميل والجور، والعدول عن الحق.»[3]
- وعند قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: 31]، قال: «البعولة: الأزواج.»[4].

2. علم الصرف:

- عند قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ ﴾[النور: 32]، قال: « الأيامى: جمع أيّم، والأيّم من الرجال: الذي لا زوجة له، ومن النساء: هي التي لا زوج لها، بكرا كانت أوثيّبا.

والعباد: جمع عبد، والإماء: جمع أَمَة، ويقال في جمع أَمَة: إموان، ويقال في جمع أَمَة أيضا: آمٍ.»[5]

3. علم المعاني:

- عند قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[لقمان: 18]، قال: «المصاعَرة: التكبر، وأن يلوي ... عنقه على الناس، ويرى لنفسه عليهم فضلا.»[6]

---

1 . أحكام القرآن: ص233.
2 . المصدر السابق: ص239.
3 . المصدر نفسه: ص 241.
4 . المصدر نفسه: ص257.
5 . المصدر نفسه: ص258.
6 . المصدر السابق: ص274.

ثالثا: المباحث اللغوية عند الإمام مكي بن أبي طالب

لقد كانت عناية الإمام مكي بن أبي طالب بالناحية اللغوية طاغية في تفسيره، فقد كان اهتمامه منصبا على العديد من المباحث اللغوية، إضافة إلى تآليفه المفردة في غريب القرآن، ومشكل إعرابه، وكتب شرح الحروف، والتي يحيل إليها من حين لآخر في تفسيره، كما أنه أشار في مقدمة تفسيره إلى أنه سوف لا يطيل القول في الناحية الإعرابية خاصة، لأنه أفردها بالتأليف[1]، كما أنّ الإمام مكي بن أبي طالب كان يحترم مصادره اللغوية، ولكنه لا يتخلّى عن نقدها، وردّ أقوال أصحابها إن خالفت القواعد اللغوية والسياق القرآني.[2]

وهذه جملة من النماذج التي تبرز استفادة الإمام مكي من علوم اللغة في تفسيره:

1- علم اللغة

- قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾[النحل: 14]: « والمخر في اللغة: الشق. يقال: مخرت السفينة الماء، أي شقته ولها صوت أي عند هبوب الريح. ومخر الأرض أيضا هو شق الماء إياها. وقيل: مواخر مُلَجِّجَة في داخل البحر.»[3]
- وعند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[الفرقان: 72]، قال: « واللغو في كلام العرب: كلُّ ما يجب أن يلغى ويطرح من كلام، أو فعل باطل.»[4]
- وحال تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[الأحزاب: 19]، قال:« يقال للرجل الخطيب: مِسْلَقٌ وَمِسْلاقَ وَسَلاقٌ بالسين والصاد فيهن، أي: بليغ.»[5]

2- علم الصرف:

- قال عند قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[النحل: 10]: « وفي ذلك الشجر تسيمون أي: ترعون أنعامكم. ومنه قيل

1 . ينظر في: الهداية إلى بلوغ النهاية: ص73.
2 . ينظر في: التفسير واتجاهاته بإفريقية: ص199، 200.
3 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3963، 3964.
4 . المصدر نفسه: ص5266.
5 . المصدر السابق: ص5812.

للمواشي المطلقة: السائمة، أي: الراعية. وهو من السومة. وهي العلامة. لأنها إذا رعت أثرت في الأرض.

وقيل السوم في البيع مأخوذ من السائمة لأن كل واحد من المتابعين يقول ما شاء عند السوم، كما أن الأنعام ترعى حيث شاءت.»[1]

- وعند قول الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[النحل: 15]، قال: «والراسي: الثابت. والرواسي: جمع راسية. يقال: رست، ترسو، إذا ثبتت. والمرسى اسم المكان.»[2]
- وعند قول الله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾[النور: 63]، قال: « ولواذا مصدر لاوذ، ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي: متلاوذين، أي: مخالفين، يلوذ بعضهم ببعض، فيستتر به لئلا يُرى عند انصرافه.

قال مجاهد: لواذا خلافا. ولم يعتل لواذا، كما اعتل قياما، لأن الواو صحت في الفعل، فقيل: لاوذ يُلاوذ فصحت في المصدر، واعتلت في الفعل من قيام، فقيل: قام يقوم فوجب أن يعتل في المصدر، فقيل: من أجل ذلك قياما فما عرفه.»[3]

3- علم النحو

- وعند قول الله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[النحل: 8]، قال: « وقوله: ﴿ وَزِينَةً ﴾، أي: وللزينة، فهو مفعول لأجله. وقيل: المعنى وجعلها زينة، فهو مفعول به.»[4]
- وقال عند قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[النحل: 24]: « " ما " رفع بالابتداء، و" ذا " بمعنى: الذي، خبر ل " ما"، و﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ رفع على إضمار

1. المصدر نفسه: ص3960، 3961.
2. المصدر نفسه: ص3964.
3. المصدر السابق: ص5167، 5168.
4. المصدر نفسه: ص3955.

مبتدأ، أي: هو أساطير الأولين. والمعنى: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون من المشركين ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: الذي أنزله هو ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل.»[1]

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [طه: 61]، قال: « ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ نصب على المصدر. وقيل: على إضمار فعل. أي: ألزمكم الله ويلا. وقيل: نصبه على النداء المضاف.»[2]
- وعند قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ [النور: 54]، قال: « ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾، يصلح أن يكون ماضيا، ومستقبلا، ولكن هو هنا مستقبلا بدليل قوله: ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾، ولو كان ماضيا لقال: عليهم ما حملوا. ومعنى: ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾[النور: 54]، أي: عليكم ما أمركم به الرسول. وعليه ما حمل، أي: ما كلف من التبليغ.»[3]

4- علم البيان

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[النحل: 48]، قال: « فتحقيق المعنى في هذه الآية: أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب. يقال سجدت النخلة إذا مالت. وسجد البعير، وأسجد، إذا طُؤطِئ ليُركب. ومن هذا قيل لمن وضع جبهته في الأرض ساجد، لأنه تطامن. وقد يستعار السجود في موضع الاستسلام والطاعة والذل، كما يستعار التطامن والتطأطأ فيوضعان موضع الخضوع والانقياد، فيقال: تطامن للحق وتطأطأ، أي: انقاد وخضع.»[4]
- وقال عند قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾[النحل: 77]:

1. المصدر نفسه: ص3972.
2. المصدر نفسه: ص4655، 4656.
3. المصدر السابق: ص5140.
4. المصدر نفسه: ص4007، 4008.

« **أي:** وما قيام الساعة، التي ينشر فيها الخلائق للبعث، إلا كنظرة من البصر، أو أقرب من نظرة. لأن ذلك إنما هو، أن يقال له: كن، فيكون. وهذا إنما هو صفة لسرعة القدرة على بعث الخلق وإحيائهم، كما يقال في تمثيل السرعة ما بين الشيء والشيء: ما بين الحر والقر إلا نومة، وما بين السنة والسنة إلا لحظة. فهذا يراد به السرعة. والمعنى: أن الساعة في مجيئها للوقت الذي لا مدفع له بمنزلة لمح البصر.»[1]

- وعند قول الله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: 45]، قال: «أي: وكثير من القرى أهلكنا أهلها وهم ظالمون.

فعبر عن إهلاك القرية وهو يريد أهلها، مثل ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[يوسف: 82].

فالمعنى: فما أهلكنا كثيرا من أهل القرى بظلمهم، كذلك نهلك أهل قريتك يا محمد بظلمهم إذا جاء الأجل. كل هذا تخويف وزجر لقريش.»[2]

خامسا: علم المعاني:

- قال عند قول الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[النحل: 35]: « أي: البلاغ الظاهر المعنى المفهوم عند المرسل إليه. وهذا القول الذي قالوه إنما قالوه على طريق الهزء والاستخفاف. كما قال قوم شعيب عليه السلام له: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[هود: 87] على طريق الهزء. ولو قالوه على طريق الجد لكانوا مؤمنين.»[3]
- وقال عند قول المولى عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ﴾[طه: 40]: « أي: ولتصنع على عيني حين تمشي أختك.

وفي الكلام حذف. والتقدير: إذ تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ثم يأتي من يطلب المراضع لك فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟»[4]

1 . المصدر السابق: ص4054.
2 . المصدر نفسه: ص4905.
3 . المصدر نفسه: ص3987.
4 . المصدر السابق: ص4636.

- وعند قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[العنكبوت: 68]، قال: « أي: منزلا ومسكنا لمن كفر بالله وجحد نعمه عليه. وهو تقرير وتوبيخ ووعيد.»[1]
- وقال عند قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: 62]: « أي: تفهمون أنه لا ينبغي أن يطاع من هو عدو، والكلام كله بمعنى التوبيخ والتقرير، أي قد عهدت إليكم ذلك.»[2]

وبعد هذه النماذج المختارة يتبيّن مدى أهمية اللغة العربية بالنسبة للتفسير، فهي تعتبر المفتاح الأول للولوج في بيان معاني القرآن الكريم، كما بدا اهتمام المفسّرين المغاربة البليغ بمختلف علوم اللغة، سواء من الناحية اللغوية المعجميّة، أو من الناحية الصرفية، والإعرابية، وكذا من الناحية البلاغية، وكيف انعكس ذلك على تفاسيرهم، فكانت اللغة حصنا منيعا لهم عن الزيغ والانحراف في التفسير، كما كانت استفادتهم منها متناسقة مع مناهجهم التي التزموا بها في تفاسيرهم.

المطلب الخامس: التفسير بالاجتهاد

الاجتهاد في التفسير معناه:" استفراغ المفسّر الوسع لتحصيل العلم بمعاني آيات كتاب الله تعالى بقدر الطاقة البشرية."[3]

و" الاجتهاد، والرأي، والاستنباط، والعقل كلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن."[4]

والقول بالرأي اجتهاد من القائل، ونتيجته استنباط حكم أو فائدة[5]، وكذلك ما كان من تعقيباتهم ومناقشتهم للأقوال التفسيرية، وكذلك تعاملهم مع الاختلاف في التفسير بترجيحهم بين الأقوال واختياراتهم، فكلها اجتهادات من المفسرين في تفسير آي القرآن الكريم.

وقد سبق وتكلمت عن التفسير بالرأي، وسنتطرق هنا لاجتهادات المفسرين المغاربة من خلال تفاسيرهم.

---

1. المصدر نفسه: ص5650.
2. المصدر نفسه: ص6061.
3. مفاتيح التفسير: 41/1.
4. فصول في أصول التفسير: ص47.
5. ينظر في: جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص178.

الفرع الأول: اجتهادات يحي بن سلام

لقد أعاد الإمام يحي بن سلام التفسير بالرأي للواجهة بعد العُزوف عنه، والاعتماد على نقل وجمع الآثار الواردة في تفسير الآيات القرآنية دون أي إضافة، ويمكن القول أنه أوّل من وضع المنهج الجامع بين الأثر والرأي في التفسير، وهذا باعتباره أقدم التفاسير التي وصلتنا، وأما اجتهاداته وآراؤه فيمكن ملاحظتها من خلال:

أولا: حسن الترتيب والعرض للآثار الواردة في موضوع الآية، أو ما يمكن أن نطلق عليه بما يعرف اليوم بالحديث الموضوعي، وهو جمع الأحاديث والآثار الواردة في موضوع واحد، من ذلك نذكر ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]، فقد تكلم عن كيفية الصلاة على النبيّ ﷺ، ثم عن فضل الصلاة على النبيّ ﷺ، وأيّ الأيام التي يجب فيها الإكثار من الصلاة على النبيّ ﷺ، حيث قال: « يعني: استغفروا له، ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

- حدثني سعيد، والخليل بن مرة، عن أبي هاشم صاحب الرمان، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: جاءني كعب بن عجرة، فقال لي: ألا أهدي لك هدية؟ بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال رجل: يا رسول الله عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: « **قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.**»[1]
- الخليل بن مرة، والنضر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة قال: دفعت ذات يوم إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ما أدري متى رأيتك أطيب نفسا، ولا أشرق وجها، ولا أحسن بشرا منك الآن. قال رسول الله ﷺ: « **وما يمنعني يا أبا طلحة، وإنما صدر جبريل من عندي الآن، فبشرني بما أعطيت أمتي، فقال:**

1 . صحيح البخاري: رقم: 3370، 146/4.

يا محمد، من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا أو رد عليه مثل الذي صلى به علي.»[1]

- وحدثني حماد الكلبي، عن حماد، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود أن ملكا موكلا بالنبي ﷺ إذا قال العبد: صلى الله على محمد، قال الملك: وأنت فصلى الله عليك.
- وحدثني المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: « **أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة.**»[2]
- وحدثني إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن عبيدة، عن سعيد بن أبي هلال، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: « **أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لا يصلي علي إلا بلغتني صلاته حيث كان.» قلنا: يا رسول الله، كيف تبلغك صلاتنا إذا تضمنتك الأرض؟ قال: « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.**»[3]
- أشعث، عن عمرو بن دينار، عن محمد بن علي أن رسول الله ﷺ قال: « **من نسي الصلاة علي فقد خطئ طريق الجنة.**»[4] .»[5]

ومثاله كذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل: 67]، فقد تكلم عن الخمر، وأورد آثارا دالة على المواد التي تكون منها الخمر، وغير ذلك.[6]

ثانيا: قوة ودقة الاستنباط، ومما ورد في تفسيره نورد:

1 . ينظر في: السنن الصغرى: رقم: 1295، 50/3.
2 . ينظر في: سنن ابن ماجه: رقم: 1636، 556/2.
3 . المصدر نفسه: رقم: 1637، 556/2.
4 . المصدر نفسه: رقم: 908، 74/2.
5 . تفسير يحي بن سلام: ص736، 737.
6 . ينظر في: المصدر نفسه: ص72، 73.

1. ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الإسراء: 34]، قال: « والتي هي أحسن أن يوفر ماله، حتى إذا بلغ أشده دفع إليه ماله إن آنس منه رشدا.»[1]

2. وكذلك عند قول الله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: 134]، قال: « في العذاب. قال الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ [طه: 135]، نحن وأنتم.

وكان المشركون يتربصون بالنبي ﷺ أن يموت، وكان النبي عليه السلام يتربص بهم أن يجيئهم العذاب.»[2]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: 137، 138]: « ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم ﴾، على منازلهم. ﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾، أي: نهارا. ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، يقوله للمشركين يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم.»[3]

ثالثا: التعقيب على الأقوال الواردة في تفسير الآية، ومن ذلك:

1. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: 46]، قال: « قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾، قال بعضهم: من قاتلك ولم يعطك الجزية، يعني: إذ أمر بجهادهم.

وإنما أمر بجهادهم بالمدينة وهذه الآية مكية.»[4]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: 17- 18]، أورد آثارا في تفسيرها بالصلوات الخمس، ثم أعقبها بقوله: « كل صلاة ذكرت في المكي من القرآن قبل الهجرة بسنة فهي ركعتان غدوة وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وإنما افترضت الصلوات الخمس قبل

1 . المصدر نفسه: ص134.
2 . المصدر نفسه: ص296.
3 . المصدر نفسه: ص841.
4 . المصدر نفسه: ص633.

أن يهاجر النبي ﷺ بسنة ليلة أسري به، فما كان من ذكر الصلاة بعد ذلك، يعني: فهي الصلوات الخمس.

وهذه الآية نزلت بعدما أسري بالنبي ﷺ، وفرضت عليه الصلوات الخمس.»[1]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الأحزاب: 31]، قال: «أي: ومن يطع منكنّ الله ورسوله فيما حدثني قباث ابن رزين اللخمي، عن عكرمة، عن ابن عباس، وليس فيه اختلاف.»[2]

رابعا: الترجيح بين الأقوال والاختيار

لم يكن الإمام يحي بن سلام ينقل الأقوال التفسيرية وحسب، ولكنه كان كثيرا ما يرجح بينها، ويبيّن اختياره، ومما ورد في تفسيره:

1. عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[الكهف: 8]، قال: « ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾، ما على الأرض، ﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾، والجرز هاهنا: الخراب في تفسير الحسن.

وقال قتادة: التي ليس فيها شجر ولا بناء.

وقال ابن مجاهد عن أبيه: بلقعا.

قال يحي: وهي في موضع آخر، حيث قالوا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾[السجدة: 27]: اليابسة التي ليس فيها نبات ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾ [السجدة: 27].»[3]

فقد رجّح بين الأقوال اعتمادا على التفسير بالقرآن.

2. وبيّن اختياره عند قول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[طه: 132] ، حيث قال: « قوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾، وأهله في هذا الموضع: أمته. ﴿ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾، قال بعضهم: لا نسألك على ما أعطيناك من النبوة رزقا.

وتفسير الحسن في التي في الذاريات: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [الذاريات: 57]: أن يرزقوا أنفسهم.

---

1. المصدر السابق: ص649، 650.
2. المصدر نفسه: 715/2.
3. المصدر نفسه: ص172، 173.

قال يحي: فإن كانت هذه عند الحسن مثلها فهو: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: أن ترزق نفسك وهو أعجب إلي.»[1]

3. وكذلك عند قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 49]، قال:

« سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: جعلت لها المتعة في هذه الآية، فلما نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[البقرة: 237] جعل لها النصف ولا متاع لها وهو قول قتادة، وبه يأخذ يحي.

وقال الحسن: ليست بمنسوخة لها المتاع.

وقد حدثني قرة بن خالد، عن الحسن أنه كان يقول: لها المتاع، وليست بمنسوخة.

والعامة على أنها منسوخة.»[2]

يتبين بعد هذه الأمثلة اجتهاد الإمام يحي بن سلام في التفسير، وبراعته فيه، كما يتبّن مدى سعة وقوة اطلاع الإمام، واستفادته من شتى العلوم في اجتهاداته التفسيرية.

ومع تقدم الزمن برز الاجتهاد في التفسير، وازداد الاعتناء بالمنهج الجامع، والذي تمثّل في العديد من التفاسير.

الفرع الثاني: اجتهادات أبي العباس الباغائي

لقد كان الإمام أبو العباس الباغائي ممن اهتم بالمنهج الجامع في تفسيره أحكام القرآن، وإن كان لا يظهر بوضوح لغلبة الاتجاه الفقهي عليه، وكونه جاء مختصرا، ومع ذلك فإنّنا نلمح اجتهادات الإمام في التفسير، والتي نذكر منها:

أولا: دقة الاستنباط وذلك من خلال ربطه للآيات القرآنية بالأحكام الشرعية، فلا يلزم أن تكون الآيات القرآنية ذات أمر أو نهي، بل أي إشارة في الآية، لفظة أو غيرها يلمح من خلالها حكم من الأحكام يوردها ويذكرها تبعا لها، ومن ذلك نذكر:

1. المصدر السابق: ص295.

2. المصدر السابق: 727، 728.

1. تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ ﴾[الحج: 5]، حيث قال: «إذا أسقطت التي يطؤُها سيّدها علقة أو مضغة أو شيئا ممّا يعرف النساء أنه ولد، كانت به أُمّ ولد من سيدها، لا يجوز له بيعها، وهي حرة إذا مات من رأس ماله.

وكذلك إذا ألقت المطلقة أو المتوفى عنها زوجها علقة أو مضغة فقد حلّت للأزواج بذلك وتخرج من العدة.

وإذا أسقطت المرأة جنينا تبيّن خَلقه أو بعض خَلقه، فإن هذا يغسّل ويكفّن ولا يصلّى عليه، إلا أن يسقط فيستهل صارخا.»[1]

2. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: 28]: « فالعلماء ثلاثة: علم بالله وبأمر الله، وعالم بأمر الله وليس عالما بالله، وعالم بالله وليس عالما بأمر الله، وأخشى الخَلق لله أكثرهم به علما، ومَن لم يعمل بعِلمه عاد بعد العلم جاهلا، وشُبِّه بحمار يحمل كُتبا لا يدري ما فيها، كما قال في اليهود لعنهم الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾[الجمعة: 5]. وزلة العالم كانكسار السفينة، تغرق ويَغرق بغرقها خَلق كثير.»[2]

3. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾[الصافات: 141]، قال : « وهذه الآية تصحيح للقرعة، والحكم بها في ما لا ينقسم على التساوي ولكن ينقسم على القيمة، وهذا في الثياب، والرقيق، والدواب التي بعضها خير من بعض، يقسم على تجزئ القيم، ثم يضربون بالقرعة، نحو أن يكون بين الرجلين أربعة أَعبد، يساوي أحدهم مائة مثقال بالقيمة، ويساوي الثلاثة مائة مثقال بالقيمة، فيقترعان إذا أرادوا القسمة.

وإن تضاربوا بلا قرعة فذلك جائز، وكذلك هذا في الثياب وغيرها، وكذلك يفعل بين أهل الميراث فيما أشبه هذا.»[3]

1 . أحكام القرآن: ص240.

2 . المصدر نفسه: ص284، 285.

3 . المصدر نفسه: ص287.

4. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور: 2]، قال: « والفائدة في حضور الطائفة، أنها جُعِلت تحصينا لمن قذف هذا المجلود بالزنى يوما، فإذا شهدوا أنه حُدّ على الزنى فلا حدّ على الذي قذفه لأنه صدق في قوله.

وكذلك إذا قذف امرأة كانت مملوكة فزنت، وحدّها مولاها ثم أعتقها، فإذا رماها رجل بالزنى وهي حرّة، فإن أقام بيّنةَ أنها زنت حُدّت على الزنى وهي مملوكة، فلا حدّ عليه.

ولو قال لامرأة مسلمة كانت نصرانية، فزنت وهي نصرانية ثم أسلمت، فقال لها: (يا زانية)، وجب عليه الحدّ إن لم تقم بيّنة أنها زنت بعد الإسلام، لأنّ زناها وهي نصرانية ليس بزنا، كما أن نكاحها ليس نكاحا، وطلاق زوجها إياها وهي نصرانية ليس طلاقا.»[1]

ثانيا: التعقيب بالشرح والتوضيح، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾[الحج: 28]، ذكر قول أبي جعفر محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ من أن معناها ليشهدوا المغفرة، ثم قال: « ومعنى قوله: ليشهدوا ما يوجب المغفرة، وهو فعلهم ما أُمروا به من الوقوف بعرفة والمزدلفة، ورمي الجِمار، وطواف الإفاضة، ونحر الهدي وما أَشبه هذا من أعمال الحجّ.»[2]

ومن هذه النماذج تتضح قوة وبراعة الإمام في الاستنباط، وإعمال رأيه في التفسير.

الفرع الثالث: اجتهادات مكي بن أبي طالب

ومن الذين اعتنوا بالمنهج الجامع بين الأثر والرأي الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، فقد كانت آراءه في تفسيره واضحة وكثيرة، ومما ورد في تفسيره من اجتهادات نذكر:

أولا: الاستنباط والإضافة، ويُقصد بها كل ما يضيفه الإمام من آراء وأحكام، ومن ذكر للمناسبات وفوائد مستنبطة من الآية القرآنية، ومما جاء تفسيره نذكر:

1. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: 11]، قال: « المعنى: وضربنا على آذانهم بالنوم، أي ألقينا النوم عليهم.

وإنما ذكر الأذان لأن النوم يمنعهم من السماع.»[3]

1. المصدر نفسه: ص249، 250.
2. المصدر نفسه: ص240.
3. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4336.

2. وكذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ [الكهف: 69]، قال: « وفعل موسى ﷺ في هذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد ترك طلب العلم والازدياد منه والرحلة فيه وإن كان قد بلغ فيه مبلغه. ويدل على وجوب التواضع لمن هو أعلم منه.»[1]

3. وفي تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ ﴾ [المؤمنون: 19]، قال: « وخص ذكر النخيل والأعناب دون سائر الثمار، لأن القوم الذين نزل عليهم القرآن كان عامة فاكهة بلدهم النخيل والأعناب، فخوطبوا بما عندهم من الثمار ليذكروا أنعم الله عليهم، فكان النخيل لأهل الحجاز والمدينة، وكانت الأعناب لأهل الطائف.»[2]

4. وكذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: 32]، قال: أي: « كل طائفة تفرح بما هم عليه من الدين وتظن أن الصواب معها.

وهذا أمر من الله جل ذكره بلزوم الجماعة، وترك تفريق الكلمة، وتنبيه منه أن الفرقة معها الضلالة.»[3]

ثانيا: التعقيب على الأقوال ومناقشتها؛ لقد كان الإمام مكي بن أبي طالب القيسي كثيرا ما يتعقب الأقوال التفسيرية لآيات القرآن الكريم، سواء كان موضحا، أو مؤكدا ومدلِّلا، وأحيانا رادّا، أو منكرا، وهذه نماذج مما ورد في تفسيره:

1. عند تفسيره لقول المولى عزّ وجلّ: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡ ﴾ [النور: 29]، ذكر الأقوال الواردة في بيان البيوت الغير مسكونة، ثم قال: « وتحقيق الآية: لا حرج على من دخل بيتاً لا ساكن له، ولا دافع عنه من غير أن يستأذن، فبيوت التجار مملوكة لهم لا يحسن دخولها إلا بإذنهم، إلا أن يكون قد علم منهم أنهم إنما فتحوها ليدخل عليهم فلا يستأذن، لأن فعلهم كالإذن.»[4]

1 . المصدر نفسه: ص4426، 4427.

2 . المصدر نفسه: ص4955.

3 . المصدر نفسه: ص5689، 5690.

4 . المصدر نفسه: ص5063، 5064.

2. وعند قول المولى العليّ: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الإسراء: 70]، قال: « أي: من طيبات المطاعم والمشارب. وقيل: هي: الحلال. وقيل: ذلك السمن والعسل. وهو قول شاذ.»[1]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، ردّ قولا من بين الأقوال الواردة في تفسيرها، فقد قال: « وعن ابن عباس أنه خرج مغاضباً على ربه لما رد العذاب عن قومه وصرفه عنهم. وهذا قول مردود، لا تغضب الأنبياء على ربها، لأن الغضب على الله معاداة له، ومن قصد الله بالعداوة كفر. ونعيذ الله تعالى يونس ﷺ من ذلك. وكذلك لا يجوز أن تتأول في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، إنه من القدرة عليه، وأنه يفوت الله. كان ﷺ أعلم بالله من ذلك، إنما هو من التقدير الذي هو التضييق. ظن أن الله لا يضيق عليه مسلكه في خروجه عنهم. طمع برحمة الله له في ترك التضييق عليه. وقد فسرنا هذا المعنى.»[2]

4. وبعد ذكره لتفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: 35] الآية، والأقوال الواردة فيها، قال: « وفي هذه الآية، قول غريب منه ما يوافق ما تقدم، ومنه ما يخالف. ذكره الدمياطي في تفسيره.»[3]

وبعد ذكره للتفسير قال: « وهذا التفسير مخالف في أكثره لجميع ما قدمناه. والله أعلم بحقيقة ذلك، فهذا ما وصل إلينا في تفسير هذه الآية، والله أعلم بصحة معناها وبما أراد فيها.»[4]

ثالثا: الترجيح بين الأقوال والاختيار؛ لا يفوت الإمام مكي بن أبي طالب التنبيه إلى ما عليه أكثر المفسرين، والترجيح والاختيار من بين الأقوال التفسيرية، وهذه بعض منها:

1. في قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء: 72]، ذكر الأقوال التفسيرية الواردة فيها، وذكر آخرها ما قاله قتادة وابن زيد، ثم قال: « وهذا القول حسن مختار، لأن من لم يؤمن في الدنيا بالله عزّ وجلّ مع ما يرى من الآيات الظاهرة الدالات

1 . المصدر السابق: ص4249.
2 . المصدر نفسه: ص4800، 4801.
3 . المصدر نفسه: ص5109.
4 . المصدر السابق: ص5110.

على توحيد الله سبحانه فهو أحرى ألا يؤمن بالآخرة التي لم يعاين أمرها وإنما هو خبر غائب عنه دعي إلى التصديق به.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: 76]، قال: « وقيل: الأرض هنا أريد بها أرض الحجاز. وقيل: مكة، وعليها أكثر المفسرين. وقيل: المدينة، وفيه بعد. لأن السورة مكية ولم يكن النبي ـ عليه السلام ـ في المدينة عند نزول هذه الآية، فالأرض: يعني: بها مكة أحسن وأولى.»[2]

3. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾[المؤمنون: 65]، قال: « أي: لا تضجوا وتستغيثوا قد نزل بكم العذاب، فلا ناصر لكم منه.

وقد قيل: هو عذاب الآخرة. وعلى القول الأول أكثر الناس.»[3]

4. وعند قول الله تعالى : ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[النور: 36]، قال: « قال مجاهد: ترفع: تبنى. وقال الحسن: ترفع: تعظم لذكره وتصان. وقول مجاهد أولى لقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[البقرة: 127]، أي يبنيان.»[4]

وبهذا تتبيّن براعة الإمام مكي بن أبي طالب وتميّزه في التفسير على غرار القراءات وعلوم القرآن وغيره من العلوم التي برز فيها، كما يتبيّن سبب الاهتمام الكبير بتفسيره والأخذ عنه.

كما تتأكد أهمية التفاسير المغاربية، وتتبين قوتها، ومدى حضورها في الساحة التفسيرية، إذ إنهم لم يكونوا مقلدين، بل أخذوا واستفادوا ممن سبقهم، وأضافوا وناقشوا ومحصوا.

ومن خلال كل ما سبق تتبيّن مدى قوة التفاسير المغاربية، ومدى حضورها في الساحة التفسيرية، وما هذا إلا لاعتمادهم على المنهج الجامع في التفسير فهم لم يهملوا الأثر، بل اعتمدوا على الآثار بشكل كبير، وزادوا عليها من اجتهاداتهم وآرائهم، كما تكمن قوة التفاسير المغاربية في اعتمادهم على أحسن طرق التفسير، من تفسير بالقرآن، وبالسنة النبويّة المطهّرة، وكل ما وصلهم من آثار وأقوال تفسيرية، مع اطلاعهم الواسع بشتى العلوم.

---

1 . المصدر نفسه: ص4255، 4256.

2 . المصدر نفسه: ص4261.

3 . المصدر نفسه: ص4982.

4 . المصدر نفسه: ص5113.

المبحث الثاني: قواعد التفسير عند المفسرين المغاربة

المطلب الأول: التعرف بقواعد التفسير

الفرع الأول: تعريف قواعد التفسير

سنتطرق للتعريف بقواعد التفسير باعتباره مركبا إضافيا، مكونا من لفظيْ: قواعد، والتفسير، وقد سبق التعريف بالتفسير، ليتبقى لنا التعريف بالقواعد، ومن ثَمّ قواعد التفسير.

القواعد في اللغة جمع قاعدة، التي أصل مادتها: قعد، و" القاف والعين والدال أصل مطرد منقاس لا يخلف، وهو يضاهي الجلوس وإن كان يتكلم في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس."[1]

وقيل إنّ القعود ما يكون فيه لبث وإقامة، ولذا يقال قواعد البيت، ولا يقال جوالسه.[2]

" والقاعدة أصل الأس، والقواعد الإساس، وقواعد البيت إساسه."[3]

وجاء في محكم التنزيل قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: 127]، وقال: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[النحل: 26].

و" القواعد : أساطين البناء التي تعمده، وقولهم : بنى أمره على قاعدة، وقواعد، وقاعدة أمرك واهية، وتركوا مقاعدهم : مراكزهم، وهو مجاز."[4]

فالقاعدة في اللغة تدل على الثبوت، والأساس الذي يعتمد عليه غيره.

وعُرّفت اصطلاحا بأنها: " قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها."[5]

هذا وقد اختُلف في تعريف القاعدة بين الأمر الكليّ الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تُفهم أحكامها منه، وبين حكم أغلبي ينطبق على معظم الجزئيات، والخلاف صوري، إذ كل منهما يقرر أن لكل قاعدة مستثنيات لا تدخل تحت حكم القاعدة.[6]

---

1 . معجم مقاييس اللغة: 108/5.

2 . ينظر: تاج العروس: 45/9.

3 . لسان العرب: ص3690.

4 . تاج العروس: 60/9.

5 . التعريفات: ص177.

6 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص37، 38.

وعليه فقد عُرّفت قواعد التفسير بأنها " الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها." [1]

وأنّها " القضايا الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم."[2]

وأنّها " الأمور الكلية المنضبطة ضبطا علميا، والتي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامه لها ابتداء ويبني عليها فائدة في التفسير، أو ترجيحا بين الأقوال."[3]

وكثيرا ما تطلق قواعد التفسير على أصول التفسير، لدورها الكبير والفعّال في التفسير، ومن باب تسمية الكل بالجزء، إذ " جعل جماعة من المعاصرين قواعد التفسير جزءا من أصول التفسير، وقد يقع اشتباه بينهما لتقارب معنييهما في اللغة. ... لكن هذا التقارب بين المعنَيَيْن لا يعني ترادفهما من كل وجه، وأيّا كان الأمر، فقد سار بعض المعاصرين على أن قواعد التفسير جزء من أصول التفسير، وهذا هو الصواب."[4]

فقواعد التفسير هي " القواعد التي يستخدمها المفسر لاستنباط المعاني القرآنية، وهي غير أصول التفسير، إذ هي أخص منها وأدق، إذا نظرنا إلى كيفية تطبيقها والاستفادة منها."[5]

وننوه هنا إلى أنّ القاعدة في الإطار التفسيري توظف جنبا إلى جنب مع قواعد بلاغية وأصولية وعقدية وأخلاقية واجتماعية وتربوية انسجاما مع موضوعات الوحي وقضاياه فضلا عن الاستفادة من شتى العلوم في التفسير.[6]

1 . قواعد التفسير جمعا ودراسة: 30/1.

2 . علم أصول التفسير محاولة في البناء: ص146.

3 . جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص76. وينظر في: فصول في أصول التفسير: ص87.

4 . جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم: ص1615.

5 . قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي: ص51.

6 . قراءة في أصول التفسير وقواعده: ص559.

الفرع الثاني: أنواع قواعد التفسير

يمكن تقسيم قواعد التفسير إلى قسمين:

الأول: قواعد التفسير العامة: وهي" التي يمكن أن يعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن."[1]

وتتعلق قواعد التفسير العامة ببيان معاني القرآن الكريم، وبما وراءها من الفوائد والاستنباطات، فهي يستخدمها المفسّر ابتداء عند تفسير آي القرآن الكريم.[2]

الثاني: قواعد التفسير الترجيحية: وهي" التي يمكن أن يعملها المفسر عند الترجيح بين أقوال المفسرين."[3]

كما عُرّفت بأنّها" أمور أغلبية يُتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله."[4]

أو إنّها " أحكام كلية أو أغلبية ـ مسوغة بعد استقراء ـ يُعملها المفسر ليظهر الراجح من بين الأقوال المختلفة في بيان معاني القرآن الكريم."[5]

ومع تقسيم هذه القواعد إلى قسمين فإنهما قد يتداخلان فيكملان بعضهما البعض، إذ قد تُستعمل قاعدة من قواعد التفسير العامة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية.[6]

وتعتبر قواعد التفسير الترجيحية من الموضوعات المهمة في أصول التفسير، فهي تصوّر لنا طريقة تعامل المفسرين مع الأقوال المختلفة في التفسير.[7]

---

1 . فصول في أصول التفسير: ص87. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص125، 126. جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص76.

2 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص292.

3 . تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص126. وينظر في: فصول في أصول التفسير: ص94.

4 . قواعد الترجيح عند المفسرين: ص39.

5 . التحرير في أصول التفسير: ص307.

6 . ينظر في: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص126. قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير : ص124.

7 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص307.

كما تُمكّننا من" معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله، ومن ثَمّ العمل بها اعتقادا إنّ كانت من آيات العقيدة، وعملا بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكا وأدبا إن كانت من الأخلاق والآداب.

وتصفية وتنقية كتب التفسير مما علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي ونحو ذلك."[1]

فالعمل بقواعد التفسير الترجيحية يكون عند اختلاف الأقوال التفسيرية، ولا يخرج هذا الاختلاف عن إحدى الحالتين، وهما:

أ- اختلاف التنوع: وهو تعدّد الأقوال التفسيرية لآية من آيات القرآن الكريم، بحيث تكون هذه الأقوال تحتملها الآية دون تكلف.[2]

ب- اختلاف التضاد: وهو تعدّد الأقوال الواردة في تفسير آية من آيات القرآن الكريم، بحيث لا يمكن التوفيق أو الجمع بين هذه الأقوال لتعارض بعضها مع بعضها.[3]

فإن كان الاختلاف من باب اختلاف التنوع فإنه يجوز إعمال القواعد في هذه الحالة على سبيل تقديم القول الأولى، مع احتمال غيره وقبوله، لكنه بدرجة أقل من القول المرجَّح، وأمّا إن كان من باب اختلاف التضاد، فإنه يلزم الترجيح بين الأقوال لعدم إمكانية الجمع بينها، فيقبل أحدها، ويُردّ الآخر، فيكون استخدام قواعد التفسير الترجيحية إما لترجيح أحد الأقوال على غيره، أو لردّ الأقوال، ولا تستخدم إن كان في التفسير إجماعا بحال من الأحوال. [4]

ومع هذا فقد تجتمع أكثر من قاعدة في ترجيح قول من الأقوال، ويكون ذلك من باب تعاضد القواعد وتعزيز وتقوية بعضها بعضا، فهي تزيد الترجيح قوة إلى قوة.[5]

ومن الأمثلة عليه نذكر:

---

1 . قواعد الترجيح عند المفسرين: ص40.

2 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص57. مفاتيح التفسير: ص71.

3 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص57. مفاتيح التفسير: ص67.

4 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص94. التحرير في أصول التفسير: ص326، 327. جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص79.

5 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص57. التحرير في أصول التفسير: ص328.

ما جاء في تفسير الإمام مكي بن أبي طالب القيسي حال تفسيره لفاتحة سورة الإسراء، حيث ذكر الاختلاف في إسرائه ﷺ بروحه أم بجسده، وأورد الأقوال والآثار لكلا الرأيين، ثمّ رجّح مذهب من قال أنه أُسري بجسده ﷺ مستندا على قاعدتين في التفسير وهما:

- **قول الأكثر من الصحابة والتابعين أو المجمع عليه مرجَّح على غيره،** فقد قال: « فمذهب من قدمنا ذكره أن النبي ﷺ أسرى بجسمه **وعليه أكثر الناس.**»[1]
- **الأصل حمل الكلام على حقيقته،** فلا **يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه،** حيث قال: « والاختيار عند أهل النظر: أن يكون أسرى الله عز وجل بجسمه وليست برؤيا في المنام. والدليل على صحة ذلك: أنها لو كانت رؤيا رآها في منامه لم يكن في ذلك دليل ولا حجة على نبوته، لأن كل إنسان يرى أنه ببلد بعيد وهو في بلد آخر. فقد يرى الإنسان أنه في الصين و هو بقانة، وبينهما سيرة نحو السنتين وأكثر. وقد قال الله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء: 1]، ولم يقل: بروح عبده، **فلا يتعدى ما قاله الله عزّ وجلّ إلى غيره إلا بدليل قاطع.**»[2]

وفي حالة أخرى قد تجتمع قواعد التفسير الترجيحية وتتنازع في ما بينها، فإذا أُعملت قاعدة رَجّحت قولا، وإذا أُعملت قاعدة أخرى رَجّحت قولا آخر، فإنه يعمل بالمرجِّح العقلي، وما قَوِيَ فيه الظنّ مما يعاينه المفسّر من قرائن، والأمر فيه سعة ما دامت الأقوال الواردة في تفسير الآيات صحيحة وتحتملها الآية.[3]

هذا وقد كان للمفسرين في عرض الاختلاف في الأقوال التفسيرية والترجيح فيما بينها ثلاثة طرق، وهي[4]:

- ذكر الأقوال المختلفة في التفسير فقط دون بيان الراجح منها.
- ذكر الأقوال المختلفة في التفسير مع ترجيح أحد الأقوال دون ذكر القاعدة التي استند عليها في الترجيح.

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4830.

2 . المصدر السابق: ص4131.

3 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص57. التحرير في أصول التفسير: ص329، 330.

4 . ينظر في: فصول في أصول التفسير: ص95. جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير: ص79.

- ذكر الأقوال المختلفة في التفسير مع ترجيحه لأحد الأقوال مع تبيين القاعدة التي استند عليها في الترجيح.

والتفاسير التي بين أيدينا جاءت على هذا النسق، فمِن الأول تفسير أحكام القرآن للإمام أبي العباس الباغائي، فتفسيره جاء على الاختصار، فهو لا يسعف في استخراج قواعد التفسير منه إلا فيما ندر.

وأما الإمام يحي بن سلام فهو يورد الأقوال المختلفة في تفسير الآيات، وقد يرجّح ويختار من بينها، ولكن دون ذكر مستنده في الترجيح والاختيار على الغالب.

وأما الإمام مكي فهو كثيرا ما يناقش الأقوال ويرجّح ويختار معتمدا على حجج وأدلة وبراهين يذكرها في ثنايا تفسيره.

ولم يسعنا الجهد والوسع لاستنطاق التفاسير، لاستدرار ما فيها من قواعد التفسير، ولكن حسبنا بعض النماذج لاستعانة هؤلاء المفسرين محل الدراسة بقواعد التفسير.

المطلب الثاني: قواعد التفسير العامة عند المفسرين المغاربة

لا يُستغنى في التفسير عن قواعد يُعتمد عليها في بيان معاني القرآن الكريم، واستنباط الحكم والفوائد منه، وقد استعان المفسرون المغاربة بقواعد التفسير العامة في تفاسيرهم، وهذه بعض منها:

1. الأصل حمل الكلام على حقيقته، فلا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

الأصل في النصوص الشرعية أن تحمل على ظاهرها، وتُفسّر على ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز العدول عنه إلا بدليل واضح، لأنه لا يُعرف مُراد المتكلّم من كلامه إلا بالألفاظ الدالة عليه، والتي الأصل فيها أن تكون دالّة على ما في نفسها من معاني.[1]

وقد راع المفسرون هذه القاعدة في تفسيرهم لكلام الله تعالى، وهذه نماذج لما ورد في تفسيرهم:

1. عند قول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: 25]، قال الإمام مكي: « وهذه الآية تدل على أن الإنسان يجب عليه العقاب بنيته لفعل الشر في

1 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسّرين: ص137.

الحرم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ولم يقل: من يفعل ذلك. وإنما ذكر العقوبة على الإرادة فقط، **فهو ظاهر الآية**، وذلك لعظيم حرمة الحرم وجلالة قدره، وكذلك يضاعف فيه الحسنات أكثر مما يضاعف في غيره.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[الحج: 18] قال الإمام مكي: « أي: يخضعون وينقادون لله.

وقيل: السجود هنا مما لا يعقل، ومن الموات والكفار إنما هو ظهور أثر الصنعة عليها، والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة. وانقيادها لله وتصريف الله لها فيما شاء.

أن يصرفها فهو مجاز وتوسع. وهذا القول لا يصح، لأنه تعالى قد أخبرنا بأن من الحجارة ما يخشى، وأنه سخر مع داود الجبال والطير يسبحن. **وهذا لا يمتنع حمله على الحقيقة**، ولا يحسن حمله على معنى ظهور الصنعة فيها، لأن ذلك مع غير داود مثل ما هو مع داود. وإذا لم يكن بد من حمله على الحقيقة، حسن حمل السجود في الموات وما لا يعقل على الحقيقة أيضاً.»[2]

وقد تستخدم هذه القاعدة كقاعدة ترجيحية، كما في المثال التالي:

3. عند قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: 2]، قال الإمام مكي: « وقال قوم: يراد بهذا كله يوم القيامة، فمن قال: هو يوم القيامة قال: المعنى: يوم يرون القيامة. ومن قال: هو قبل يوم القيامة قال: المعنى: يوم يرون أشراطها تذهل. **وظاهر النص** يدل على أن " الهاء " في " ترونها " تعود على الزلزلة. أي: يوم ترون الزلزلة، وذلك من أشراط الساعة، **وهو ظاهر النص**، لأن يوم القيامة لا حامل فيها ولا مرضعة. إنما ذلك في الدنيا، فهو وقت تظهر فيه الزلازل والأشراط والشدائد الدالة على قيام الساعة فتذهب المرضعات عن أولادها، وتضع الحوامل حملهن لشدة ذلك، وعظيم خوفه وصعوبته ولما يلقى فيه من الهلع والفزع.»[3]

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4869.

2 . المصدر نفسه: ص4859، 4860.

3 . المصدر السابق: ص4837.

2. الأصل تفسير كلام الله بما يوافق سياق الآية.

أي أن يكون تفسير الآية داخلا في معاني ما قبلها وما بعدها، لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق، ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير أو يصحح غيره.[1]

وهذه بعض مما جاء من تطبيقها في تفاسير الدراسة:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[الإسراء: 80] قال الإمام مكي: « يعني: مدخله المدينة حين هاجر إليها وخروجه من مكة. قال ذلك: ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد. ودل على هذا ما تقدم من قوله: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾[الإسراء: 76].»[2]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: 47] قال الأمام مكي: « أي: وجمعناهم إلى موقف الحساب فلم نترك منهم أحداً تحت الأرض. فهذا يدل على أن معنى ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ تبرز مَن في بطنها من الموتى على ظهرها.»[3]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب: 19]: « والمعنى: أنهم عند قسم الغنيمة يتطاولون بألسنتهم لشحهم على ما يأخذ المسلمون، يقولون: أعطونا أعطونا، فإنا شهدنا معكم، وهم عند البأس أجبن قوم، هذا معنى قول قتادة.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله بعد ذلك: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾، أي: على الغنيمة إذا ظفر المسلمون.»[4]

3. إذا ثبت الحديث وكان في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

وقد اعتمد المفسرون المغاربة على أحاديث الرسول ﷺ في التفسير، وكيف لا وهي ثاني مصادر التشريع، فلا يذهب إلى غيره من الأقوال حتى تُستنفد السنة المطهرة، ومما جاء في تفاسيرهم من اعتماد هذه القاعدة نذكر:

---

1. ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص125.
2. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4272.
3. المصدر نفسه: ص4397.
4. المصدر نفسه: ص5812.

1. قال الإمام أبو العباس الباغائي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: 78]: « الفجر: يعني صلاة الفجر.

﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾، يعني: أن صلاة الصبح تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.»[1]

فالإمام أبو العباس الباغائي فسّر الآية بناء على حديث[2] الرسول ﷺ، الذي ذكر نحوه الإمام يحي بن سلام عند تفسيره للآية، إذ قال: « قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ قال قتادة: وهي صلاة الصبح.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، يجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيما حدثنا عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة، عن النبي: « فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟

فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون.»[3].»[4]

2. كما قال الإمام أبو العباس الباغائي عند قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه: 14]: « قال النبي ﷺ: « من نسي صلاة ثم ذكرها فليصلها إذا ذكرها.»[5] فإذا نسي الرجل صلاةً، صلاها متى ذكرها، وإن ذكرها في وقت لا تجوز الصلاة فيه.»[6]

3. وقال الإمام مكي بن أبي طالب عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: 88]: « أي: إذا استغاثوا.

---

1 . أحكام القرآن: ص233.

2 . عن أبي هريرة . رضي الله عنه .، قال: سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: « تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده، بخمس وعشرين جزءا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، ثم يقول أبو هريرة: فاقرءوا إن شئتم ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [الإسراء: 78]. صحيح البخاري: باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم: 648، 131/1.

3 . مسند أحمد: رقم: 9151، 75/15. صحيح ابن خزيمة: باب ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر جميعا، ودعاء الملائكة لمن شهد الصلاتين جميعا، رقم: 322، 197/1.

4 . تفسير يحي بن سلام: ص154، 155.

5 . عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: « من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك. ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[طه: 14] ». صحيح البخاري: باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ولا يعيد إلا تلك الصلاة، رقم: 597، 122/1.

6 . أحكام القرآن: ص238.

قال سعيد بن مالك: سمعت النبي ﷺ يقول: « **اسم الله جلّ وعزّ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى. قال: قلت: يا رسول الله: هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس خاصة، وللمسلمين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله جلّ ذكره: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾**[الأنبياء: 87، 88]، **فهو شرط الله تعالى لمن دعاه به.**»[1].»[2]

4. المدني منزل في الفهم على المكي وكذا المكي على المكي بعضه مع بعض والمدني بعضه على بعض على حسب ترتيبه في التنزيل.

والمعنى يجب مراعاة ترتيب النزول في القرآن، فلا يمكن تفسير المتأخر في النزول بمعزل عن المتقدم عنه، فالقرآن مترابط بعضه ببعض.[3]

وقد راعى المفسرون المغاربة هذه القاعدة في تفسيرهم، وهذه نماذج من تطبيقاتهم لها:

1. قال الإمام يحي بن سلام عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ**﴾[النحل: 118]: « سعيد، عن قتادة، قال: يعني ما قص الله عليه في سورة الأنعام، وهي مكية، وهذا الموضع من هذه السورة مدني، يعني: ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ**﴾[الأنعام: 146] و﴿ **ٱلْحَوَايَآ** ﴾: المبعر، ﴿ **أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ** ﴾[الأنعام: 146] وقد فسرناه في سورة الأنعام.»[4]

2. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ** ﴾[القصص: 59]: « يعني: معذب القرى، يعني: هذه الأمة.

﴿ **حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا** ﴾[القصص: 59]، يعني: مكة.

---

1 . المستدرك على الصحيحين: رقم: 1865، 685/1.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4808.

3 . ينظر في: قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي: ص203، 204.

4 . تفسير يحي بن سلام: ص96.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾[القصص: 59]، تفسير السدي: يعني: لم يكن يهلك، يعني: يعذب القرى.

﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص: 59] مشركون، وأمها مكة، هي أم القرى، والرسول محمد ﷺ. وقال في آية أخرى مدنية في النحل بعد هذه الآية:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ [النحل: 112]، والرغد لا يحاسبها أحد بما رزقها الله، قال:﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾[النحل: 112]، يعني: كفر أهلها، وهي مكية ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾[النحل: 112-113]: محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[النحل: 113].»[1]

وقد تستخدم في الترجيح بين الأقوال، ومثاله:

3. حال تفسير الإمام مكي لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: 76] قال: « وقيل: الأرض هنا أريد بها أرض الحجاز. وقيل: مكة، وعليها أكثر المفسرين. وقيل: المدينة، وفيه بُعد. لأن السورة مكية ولم يكن النبي ﷺ في المدينة عند نزول هذه الآية، فالأرض: يعني: بها مكة أحسن وأولى.»[2]

5. التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب وما عداهما فباطل.

أي أنّ التفسير لا يكون مقبولا إلا إذ كان من الكتاب، والسنة، وما ورد من الأقوال المأثورة في ذلك، أو اجتهاد مُستمد منهم مبني على أصول وقواعد تضبط العملية التفسيرية، وتوجّهها توجيها سليما، وما عدا هذا فباطل مردود على صاحبه.[3]

وما كان هذا غائبا عن المفسرين المغاربة، وقد أشاروا إلى ذلك خلال مقدماتهم كما رأينا، ومن تطبيقاتهم لها في تفسيرهم نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[النحل: 38] قال الإمام مكي: « وتأول قوم من أهل البدع أن عليا ﷺ

1 . المصدر السابق: ص603.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4261.

3 . ينظر في: قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي: ص176.

يبعث قبل يوم القيامة بهذه الآية، فسئل عن ذلك ابن عباس، فقال: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: 35] قال: « وفي هذه الآية، قول غريب منه ما يوافق ما تقدم، ومنه ما يخالف.»[2]

وقال بعد ذكره للتفسير الغريب: « وهذا التفسير مخالف في أكثره لجميع ما قدمناه. والله أعلم بحقيقة ذلك، فهذا ما وصل إلينا في تفسير هذه الآية، والله أعلم بصحة معناها وبما أراد فيها.»[3]

3. وقال عند قول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[الفرقان:36]: « وقال الفراء: المأمور بالذهاب في المعنى موسى وحده، بمنزلة قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[الكهف: 61]، والناسي يوشع وحده. وبمنزلة ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن: 22]، وإنما يخرجان من الملح. وهذا قول مردود لأنه قد كرر في كثير من الآيات إرسال هارون مع موسى إلى فرعون، فلا يحتاج فيه إلى هذا المجاز.»[4]

6. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وهي قاعدة مشهورة، ولها تعلق كبير بأسباب النزول إذا جاء القرآن المنزل فيها بلفظ عام، وقد قررها علماء الأمة من مفسرين وأصوليين وغيرهم.[5]

وقد اهتم بها المفسرون المغاربة في تفسيرهم، وهذه نماذج مما جاء في تفسيرهم:

1. الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3991، 3992.
2. المصدر نفسه: ص5109.
3. المصدر نفسه: ص5110.
4. المصدر نفسه: ص5219.
5. ينظر في: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص127.

1. عند قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[النحل: 4] قال الإمام مكي: « ومعنى ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أي: مبين عن خصومته بمنطقه، ومجادل بلسانه. والإنسان هنا جميع الناس. وقيل: عني به أبي بن خلف، ثم هو عام في من كان مثله.»[1]

2. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾[النور: 33]: « ويقال: إن هذه الآية نزلت في صبيح القبطي مملوك لحاطب بن أبي بلتعة، وكان صالحا، ثم هي عامة لجميع المسلمين.»[2]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾[الشعراء: 227] قال الإمام مكي: « والسورة مكية إلا هذه الآيات نزلت بالمدينة في: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وهم شعراء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم هي لكل من كان مثلهم.»[3]

7. العام على عمومه ما لم يرد مخصص.

ألفاظ القرآن الكريم كثيرا ما ترد عامة تفيد الشمول والاستغراق، فتبقى هذه الألفاظ على هذا الأصل وتحمل عليه حتى يدل دليل على تخصيصها.[4]

فالعام يبقى على عمومه، وما كان من اختلاف في تفسيره فهو اختلاف تنوع لا تضاد فيه، وهو من قبيل التفسير بالمثال، أو" من قبيل المعاني الجزئية لدلالة الكلمة أو الجملة القرآنية ذات المعنى العام، فلا معنى لحملها على أحدها دون مخصص لذلك."[5]

وفي الآتي نماذج على عناية المفسرين المغاربة بهذه القاعدة في تفسيرهم للقرآن الكريم:

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3951.

2 . المصدر نفسه: ص5085.

3 . المصدر نفسه: ص5364، 5365.

4 . ينظر في: قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي: ص227.

5 . تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: ص128.

1. عند قول الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: 8] أورد الإمام مكي عدة أقوال في تفسيرها، ثم قال: « والأحسن في هذه الآية: كونها على العموم، أن الله يخلق الأشياء لا يعلمها ولا يعرفها أحد، وأنه هو العالم بها وحده لا إله إلا هو.»[1]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: 24] قال الإمام مكي: « وقد قال بعض العلماء أن قوله: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ منسوخ بالنهي عن الاستغفار للمشركين.

وقال بعضهم: الآية مخصوصة في المؤمنين خاصة.

وقيل: هي عامة إلا لمن مات من المشركين، فلا يستغفر له. فأما إذا كانا مشركين حَيَّيْن، فيجوز للمسلم أن يستغفر لهما كما فعل إبراهيم ـ ﷺ خليل الرحمن عزّ وجلّ.»[2]

8. التفسير يكون بالأغلب والأعرف في اللغة والاستعمال العربي.

ذلك أنّ " ألفاظ اللغة تختلف من حيث الاشتهار والقلّة في الاستعمال، وقد تحتمل اللفظة في سياقٍ ما أحد اللفظتين اللتين تختلفان في الاشتهار من عدمه، والذي هو أولى بالتقديم اللفظ المشهور."[3]

ومن تطبيقات المفسرين المغاربة لها نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[النحل: 32] قال الإمام يحي: « تقبض أرواحهم.» [4]

فقد فسّرها بناء على هذه القاعدة، حيث أنّه ذكر مسبقا في تفسير ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ قولين: القبض، أو الحشر.[5]

كما تستخدم هذه القاعدة في الترجيح بين الأقوال والاختيار، ومثاله:

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3958.
2 . المصدر نفسه: ص4178.
3 . التحرير في أصول التفسير: ص316.
4 . تفسير يحي بن سلام: ص61.
5 . ينظر في: المصدر نفسه: ص60.

2. عند قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[المحل: 3] قال الإمام مكي: « أي: من خلق هذا وابتدعه، فلا تصلح الألوهية إلا له. ومعنى ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾: بالعدل، أي: للعدل. وقيل: ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بقوله: كن فكانتا ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾. فالحق كناية عن قوله: كن . والقول الأول أبين.»[1]

9. ألفاظ الشارع محمولة على المعاني الشرعية، فإن لم تكن فاللغوية.

ذلك أنّ بعض الألفاظ لها دلالة لغوية، وعند مجيء الإسلام صار لها حقيقة شرعية، لا بد من مراعاتها حال التفسير، ذلك أن الشارع معنيّ ببيان الشرع لا ببيان الألفاظ ومدلولاتها من جهة اللغة، ومن تلك الألفاظ: الصلاة، الزكاة، الحج، العمرة، الكفر، وغيرها من الألفاظ[2]، ومن الأمثلة لهذه القاعدة نذكر ما ورد عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء: 110]، فقد أورد الإمام يحي بن سلام عدة آثار في الدلالة على أن المقصود من الصلاة هي الصلاة المشروعة، وليس المقصود منها الدعاء، الذي أورد فيها أثرا واحدا، حيث قال: « تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ إذ هو بمكة كان يجتمع إليه أصحابه، فإذا صلى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فآذوه، وإن خفض صوته لم يسمع من خلفه، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا.

وقال مجاهد في حديث الأعمش: حتى لا يسمعك المشركون فيسبوك.

سعيد، عن قتادة، قال: كان نبي الله وهو بمكة إذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث، فأمره الله أن يغض من صوته وأن يقتصد في صلاته، وكان يقال: ما أسمعت أذنيك فليس تخافت.

عاصم بن حكيم أن مجاهدا قال: ﴿ أُنزِلَ ﴾ [الإسراء: 110] في الدعاء والمسألة.

ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، أن ابن عباس كان يقول: إن من الصلاة سرا، ومنها جهرا، فلا تجهر فيما تسر فيه، ولا تسر فيما تجهر فيه، وابتغ بين ذلك سبيلا.

قال يحي: هي على هذا التفسير: أي تجهر فيما يجهر فيه وتسر فيما يسر فيه.»[3]

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3950.

2 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص302.

3 . تفسير يحي بن سلام: ص168، 169.

10. الجمع أولى من الترجيح

فإذا تعددت الأقوال التفسيرية في الآية القرآنية، وكان بالإمكان الأخذ بالقول الذي يجمع بينها، كان ذلك أولى من الترجيح والاختيار، ومثاله مما ورد في التفاسير المغاربية:

1 . عند قول الله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء: 95]، أورد الإمام يحيى بن سلام أقوالا في تفسيرها، ثم جمع بينهم، إذ كلها تحتملها الآية، فقد قال: « – نا سفيان والمعلى بن هلال، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس والمعلى، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يقرأها: (وحِرْمٌ على قرية أهلكناها)، وفسرها في حديث سفيان والمعلى قال: أي وجب على قرية أهلكناها أنهم لم يكونوا ليؤمنوا.

وقال سفيان: وجب عليهم أنهم لا يؤمنون.

نا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ يعني: لا يتوبون.

وقال ابن عباس: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أي: وجب عليه أنها إذا هلكت لا يرجعون إلى دنياهم.

قال يحيى: والعامة يقرءونها: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾ وتفسيرها عندهم: حرام عليهم أنهم لا يرجعون. وهي على الوجهين في التفسير: إلى التوبة وإلى الدنيا.»[1]

2. وما ذكره الإمام مكي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[النور: 31]، حيث أورد عدد من الأقوال التفسيرية للصحابة والتابعين، ثم قال: « وقول من قال: هو الوجه والكفان أحسنها، لأن العلماء قد أجمعوا أن للمرأة أن تكشف وجهها، وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه أباح لها أن تبدي من ذراعيها إلى قرب النصف، فالكحل، والخاتم، والخضاب، والبنان داخل تحت هذا، فإذا كان لها ذلك مباحا في الصلاة علم أنها ليس

1 . تفسير يحي بن سلام: ص 341.

بعورة، وإذا لم يكن عورة جاز لها إظهاره، كما أن ما ليس بعورة من الرجل جائز له إظهاره، فيكون هذا مما استثناه الله جل ذكره.»[1]

11. لا يجوز تفسير ألفاظ القرآن بغير ما تعرفه العرب من كلامها.

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي على قوم عرب، وكان يأتي على أفصح ألفاظهم وبأساليبهم، وأبلغ كلامهم، لذا لا يجوز تفسيره وتَفهّم معانيه بغير العربية، فمَن حمل لفظا من ألفاظه، أو أسلوبا من أساليبه على غير لغة العرب فقد وقع في الخطأ.[2]

ولقد اهتم المفسرون المغاربة باللغة العربية وعلومها أثناء تفسيرهم لكلام الله تعالى، كما كانت هذه القاعدة حاضرة في أذهانهم ولم يتجاوزوها، وهذه أمثلة عليها:

1. قال الإمام يحيى بن سلام عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: 7]: «وهم لا يعلمون. وهي كلمة عربية.

يقول: إن كنت لا تصدق فاسأل، وهو يعلم أنه قد كذب.»[3]

2. كما قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾[المؤمنون: 110]: « ليس يعني أن أصحاب الأنبياء أنسوهم ذكر الله فأمروهم ألا يذكروه، ولكن جحودهم، واستهزاءهم، وضحكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر الله، كقول الرجل: أنساني فلان كل شيء، وفلان غائب عنه، بلغه عنه أمر فشغل ذلك قلبه.

وهي كلمة عربية.»[4]

3. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾[الروم: 49]: « ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ وهو كلام من كلام العرب مُثنّى، مثل قوله: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[النمل: 3]، وكقوله: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: 7].»[5]

---

1. الهداية إلى بوغ النهاية: ص5070.
2. ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص293.
3. تفسير يحيى بن سلام: ص300.
4. المصدر نفسه: ص419.
5. المصدر نفسه: ص665.

4. وقال الإمام مكي بن أبي طالب عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الإسراء: 2]: « والمعنى: سبحان الذي أسرى بعبده وأتى موسى الكتاب وهو التوراة. لكنه خرج من الغيبة إلى الأخبار وذلك كثير في القرآن وفي كلام العرب.»[1]

12. مجيء الأمر المستقبل بصيغة الفعل الماضي لإفادة تحقق الوقوع.

فالأفعال تكون في الأصل مطابقة للحدث في الزمن، فإذا خالف الفعلُ زمنَ الحدثِ، فإن ذلك لعلّة بلاغية، ومن ذلك أن يوضع الفعل الماضي في مقام الأمر المستقبل الذي لم يحدث بعد، وهو دليل على تحقّق القائل من وقوع ذلك الحدث.[2]

وقد كان المفسرون المغاربة على بيان بهذا، ولم يهملوه في تفسيرهم، ومثاله:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[النحل: 1]، قال الإمام يحي بن سلام: « أي إن العذاب آت قريب.»[3]

وقال الإمام مكي: « ومعنى أتى أمر الله: يأتي. ... وقيل: إنما أتى بالماضي لأنه أمر سيكون لا بد منه، فأتى فيه بالماضي الذي قد كان في موضع ما سيكون.

وقيل: إنما جاء كذلك لأنهم استبعدوا ما وعدهم الله من عذاب، فأتى بالماضي في موضع المستقبل لقربه من الإتيان، ولصدق المخبر به.»[4]

2. وقال الإمام مكي عند قول الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[النمل: 66]:« أي بل تكامل علمهم في الآخرة، أي يتكامل ذلك يوم القيامة، والماضي بمعنى المستقبل، فالمعنى: أنهم يتكامل علمهم بصحة الآخرة، إذا بعثوا وعاينوا الحقائق.»[5].

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4135.

2 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص297.

3 . تفسير يحي بن سلام: ص49.

4 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3944، 3945.

5 . المصدر نفسه: ص5457.

13. الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور.

الضمير مختصر تستعمله العرب لمذكور سابق عليه، تجعله عوضا عن تكرار ذلك الظهار المذكور مرة أخرى، وقد يقع قبل الضمير ذكر لمسمّيات تحتمل أن يعود الضمير عليها، فيكون عود الضمير إلى أقرب مذكور.[1]

ومن تطبيقاتها في تفاسير الدراسة نذكر:

1. قال الإمام مكي عند قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[الحج: 40]: « وقوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني: في المساجد، لأنها أقرب إلى الضمير من غيرها. وقيل الضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على جميع ما ذكره ومعناه: يذكر فيها اسم الله في وقت شرائعهم وإقامتهم للحق.»[2]

3. وعند قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: 2]، قال: « وقال قوم: يراد بهذا كله يوم القيامة، فمن قال: هو يوم القيامة قال: المعنى: يوم يرون القيامة. ومن قال: هو قبل يوم القيامة قال: المعنى: يوم يرون أشراطها تذهل. وظاهر النص يدل على أن " الهاء " في " ترونها " تعود على الزلزلة. أي: يوم ترون الزلزلة، وذلك من أشراط الساعة، وهو ظاهر النص، لأن يوم القيامة لا حامل فيها ولا مرضعة. إنما ذلك في الدنيا، فهو وقت تظهر فيه الزلازل والأشراط والشدائد الدالة على قيام الساعة فتذهب المرضعات عن أولادها، وتضع الحوامل حملهن لشدة ذلك، وعظيم خوفه وصعوبته ولما يلقى فيه من الهلع والفزع.»[3]

14. لا يقال بالزيادة في القرآن إلا بدليل ظاهر.

فينبغي" أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، فإن الزائد قد يُفَهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك."[4]

---

1 . ينظر في: التحرير في أصول التفسير: ص323.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4901.

3 . المصدر السابق: ص4837- 4839.

4 . الإتقان في علوم القرآن: ص1233.

وقد عني المفسرون المغاربة ببيان بهذه القاعدة، ومن تطبيقاتهم لها:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾[الأنبياء: 94]، قال الإمام مكي: « ف ﴿ مِنَ ﴾ للتبعيض. أي: من يعمل شيئا من الصالحات وهو مؤمن.

وقيل: ﴿ مِنَ ﴾ زائدة. والأول أحسن. إذ لا يحكم على الزيادة إلا بدليل ظاهر. ولا دليل يدل على ذلك. وأيضا: فإن في تقدير زيادة ﴿ مِنَ ﴾ تكليف غاية العمل. وهذا لا يقدر عليه، ولا يكلف الله نفسا فوق طاقتها، فمن ذا الذي يقدر على عمل الصالحات كلها.»[1]

2. وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾[الحج: 5]: « أي: ثم نعمركم لتبلغوا أشدكم.

وقيل: معناه: ثم نخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم.

والأول أحسن، لأن هذا، يوجب زيادة " ثم "، ولا يحسن زيادتها، بل لا بد لها من فائدة، وهو ما ذكرنا من التعبير ليقع به البلوغ إلى الأشد.»[2]

3. كما قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾[النور: 63]: « وقال أبو عبيدة: ﴿ عَنْ ﴾ هنا زائدة. وذلك بعيد، على مذهب سيبويه، وغيره لأن ﴿ عَنْ ﴾ و﴿ عَلَىٰ ﴾ لا تزادان. ومعناه يخالفون بعدما أمرهم النبي عليه السلام.»[3]

1. الهداية إلى بلوغ النهاية : ص4812، 4813.

2. المصدر نفسه: ص4847.

3. المصدر نفسه: ص5168.

المطلب الثالث: قواعد التفسير الترجيحية عند المفسرين المغاربة

وليس لنا في هذا المطلب إلا ذكر بعض القواعد الترجيحية وتطبيقاتها عند المفسرين المغاربة.

1. التفسير الذي يؤيده آي القرآن أولى من غيره

فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حُمل عليه، ورُجّح القول بذلك على غيره من الأقوال.[1]

بمعنى أن القول الذي تأتي بنفس معناه آية أخرى من القرآن، وتشهد له، فهو المرجّح على غيره من الأقوال.

وهذه نماذج من تطبيقاتها في التفاسير المغاربية:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء: 102]، قال الإمام يحي بن سلام: « المعلى، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: محسورا، أي: يدعو بالحسرة والثبور في النار.

قال يحي: الدعاء بالويل والهلاك. قال: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾[الفرقان: 13]: ويلا وهلاكا.

سعيد، عن قتادة قال: ﴿ مَثْبُورًا ﴾، أي: مهلكا.

وقال الكلبي: ﴿ مَثْبُورًا ﴾: ملعونا.»[2]

2. وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[الكهف: 8]: « قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ ما على الأرض. ﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ والجرز هاهنا: الخراب في تفسير الحسن.

وقال قتادة: التي ليس فيها شجر ولا بناء.

وقال ابن مجاهد عن أبيه: بلقعا.

قال يحي: وهي في موضع آخر حيث قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾[السجدة: 27]: اليابسة التي ليس فيها نبات ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾[السجدة: 27].»[3]

3. كما ذكر الإمام مكي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾[النور: 36]: « وقوله: ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾، قال مجاهد: ترفع: تبنى.

---

1. ينظر في: التسهيل لعلوم التنزيل: ص19.
2. تفسير يحي بن سلام: ص166.
3. المصدر السابق: ص172، 173.

وقال الحسن: ترفع: تعظم لذكره وتصان. وقول مجاهد أولى لقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقرة: 127]، أي يبنيان.»[1]

2. القول الذي يؤيده السياق القرآني مرجح على غيره.

أي" يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده."[2]

وقد اهتم المفسرون المغاربة بهذه القاعدة، ومما ورد في تفاسيرهم من تطبيقات لها نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[النحل: 9]، قال الإمام مكي: « أي: وعلى الله تبيين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين. فالسبيل الطريق، والقصد الاستقامة.

وقيل معناه: رجوعكم ومصيركم إليّ كما قال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[الحجر: 41]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: 14].

والقول الأول أحسن لدلالة قوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي: من السبيل ما هو جائر عن الحق.

والسبيل هنا جمع في المعنى بدلالة قوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، فدخول " من " يدل على أن السبيل جمع. أي: من السبيل، سبيل جائر. أي: غير قاصد للحق. يعني ما خالف دين الإسلام من الأديان.»[3]

2. قال الإمام مكي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾[الأحزاب: 55]: « أي: لا إثم على أزواج النبي في الظهور إلى آبائهم ولا إلى من ذكر بعد ذلك من ذوي المحارم.

قال مجاهد: معناه: لا إثم عليهن في أن تضع الجلباب ومعها من ذكر.

وقال قتادة: رخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم.

وهذا القول أليق بسياق الآية. والآية عامة في أزواج النبي ﷺ وأزواج المؤمنين ألا يحتجب من الآباء ولا من الأبناء ولا من الإخوة ولا من أبناء الإخوة.»[4]

---

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5113.

2 . التسهيل لعلوم التنزيل: ص19.

3 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص3958، 3959.

4 . المصدر نفسه: ص5865.

3. إذا ثبت الحديث النبوي وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره.

قد يُختلف في تفسير آية من آيات القرآن الكريم، ولا يترجّح أحد الأقوال إلا بالرجوع للسنة النبوية المطهرة والتي ليست مما جاء عن النبي ﷺ في التفسير المباشر لآي القرآن، فإذا توافق معنى الحديث مع أحد الأقوال التفسيرية، فهو مرجِّح له على غيره من الأقوال.

ومن أمثلته مما ورد في التفاسير المغاربية نذكر:

1. عند قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[المؤمنون: 101]، قال الإمام مكي: « أي: فإذ نفخ إسرافيل في القرن.

وقال أبو عبيدة:﴿ ٱلصُّورِ ﴾ جمع صُورة، ومعناه: فإذا نفخ في صُوَرِ النّاس الأرواح.

قال ابن مسعود: " الصور ": قرن.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبتهه، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر.»[1].»[2]

2. كما ذكر عند قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾[السجدة: 23]، الاختلاف في عود الضمير، وذهب إلى القول بأنه يعود على موسى عليه السلام معتمدا على ما رُوي عن النبي ﷺ، فقد قال: « أي: في شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة الإسراء، قاله قتادة.

وبذلك أتى الخبر عن النبي ﷺ أنه لقيه ليلة الإسراء، روى ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوَّالا جَعْدا، كأنّه من رجال شَنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياضِ سبط الرأسِ، ورأيت مالكا خازن النار والدجّال.»[3] فالهاء لموسى.»[4].

---

1 . مسند أحمد: رقم:11039، 89/17. سنن الترمذي: باب ومن سورة الزمر، رقم: 3243، 226/5. وقال: حديث حسن.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5001، 5002.

3 . صحيح البخاري: باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: 3239، 116/4.

4 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5768، 5769.

4. إذا صح سبب النزول فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

إن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول أنها تعين على فهم الآية على الوجه الصحيح، فإذا تنازع الآية القرآنية العديد من الأقوال التفسيرية، فإن أولى الأقوال بتفسيرها هو القول الذي يوافق سبب نزول الآية الصحيح[1]، ومثاله عند تفسير الإمام مكي بن أبي طالب لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[النحل: 126]، إلى آخر السورة، حيث قال: « المعنى: وإن ظفرتم أيها المؤمنون بالمشركين فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم ولئن صبرتم عن عقوبتهم وأحسنتم، واحتسبتم عند الله عزّ وجلّ ما نالكم منهم، للصبر خير للصابرين.

وهذه الآيات الثلاث: نزلن بالمدينة دون سائر السورة. نزلت حين أقسم النبي ﷺ وأصحابه ليمثلن بالمشركين إن ظفروا بهم كما فعل المشركون بحمزة وغيره يوم أحد من التمثيل بهم. ... وروى أبو هريرة: " أن النبي ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب حيث استشهد فنظر إلى شيء لم ينظر قط إلى شيء كان أوجع منه لقلبه ونظر إليه، قد مُثّل به، فقال: « رحمة الله عليك، فإنك كنت ما علمتك، فعولا للخيرات، وصولا للرحم، ولولا حزن من بعدك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى. أما والله، مع ذلك، لأمثلن بسبعين منهم.» فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتم النحل."».[2]

5. قول الأكثر من الصحابة والتابعين أو المجمع عليه مرجَّح على غيره.

" فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه."[3]

وهذه نماذج مما ورد منها في تفاسير المغاربة:

1. قال الإمام يحي بن سلام عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل: 120]:

« والأُمّة في تفسير غير واحد: السُّنَّةُ في الخير، يُعلّم الخير.

وقال السدي: يعني كان إماما يقتدى به في الخير.

1 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص241.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4116- 4119.

3 . التسهيل لعلوم التنزيل: ص19.

سعيد عن قتادة قال: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾، أي: مطيعا لله، كان إمام هدى يهتدى به.

قرة بن خالد، عن سيار بن سلامة، أن ابن مسعود قال: إن معاذ بن جبل كان أمة. ثم قال ابن مسعود: إن معاذا كان يعلم الخير.

وفي تفسير المعلى، عن أبي يحيى، عن مجاهد قال: كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا.»[1]

2. وقال الإمام مكي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 76]: « وقيل: الأرض هنا أريد بها أرض الحجاز. وقيل: مكة، وعليها أكثر المفسرين. وقيل: المدينة، وفيه بُعد. لأن السورة مكية ولم يكن النبي ﷺ في المدينة عند نزول هذه الآية، فالأرض: يعني: بها مكة أحسن وأولى.»[2]

وهذه القاعدة وإن كانت في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، فإنها معتبرة كذلك عند ابتداء التفسير، فلا يمكن مخالفة الإجماع، أو قول جمهور مفسّرين، ومثاله:

- عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: 3]، قال الإمام يحي بن سلام: «وعامة ما في القرآن في تفسير العامة أن الشكور المؤمن.»[3]

6. القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية.

إذا تفاوتت الأقوال التفسيرية في تفسير آية من آيات الكتاب العزيز، وكان أحد هذه الأقوال يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها، فهو الأولى والأرجح من بينها، لأن التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها.[4]

وقد كانت هذه القاعدة معتبرة من قبل المفسرين المغاربة، ومما جاء من تطبيقات لها في تفسيرهم نذكر:

1. أورد الإمام مكي عند قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[الكهف: 52] عدة أقوال تفسيرية للموبق، ثم قال: « وأحسن الأقوال، قول من قال: الموبق المهلك والهلاك. لأن العرب تقول:

1 . تفسير يحي بن سلام: ص97.

2 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4261.

3 . تفسير يحي بن سلام: ص115.

4 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص511. قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي: ص253.

وبقَ يَبِق: إذا هلك. ومنه قوله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾[الشورى: 34] أي: يهلكهن. فالمعنى وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة. وقد يسمى الوادي موبقا لأنه يهلك فيه.»[1]

2. وكذلك عند قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: 25]، ذكر الإمام مكي جملة من أقوال السلف في تفسير ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾، ثم قال: « وأصل آب إلى كذا، رجع إليه فكأنهم الراجعون من معصية الله عزّ وجلّ إلى طاعته. ومن آب الرجل من سفره، أي: رجع. وأوّاب فعّال من أب. والأوبة الرجعة منه.»[2]

هذا وقد تستخدم هذه القاعدة ابتداء في التفسير، ومثاله:

1. قال الإمام مكي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[طه: 18]:

« أي: ولي في عصاي حاجات أخرى. والمآرب جمع واحدة مأربة ومآربة ومارِبة. بضم الراء وفتحها وكسرها. وهي من قولهم: لا إرب لي في هذا. أي: لا حاجة لي فيه.

وقال: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولم يقل " أخر ". لأن المآرب جماعة، فأتت على ذلك.»[3]

2. وعند قول الله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[الحج: 3]، قال الإمام مكي:« أي يتبع في قوله ذلك كل شيطان مارد. والمريد والمارد: المتجاوز في الشر القوي فيه. ومنه قيل: صخرة مرداء، أي: ملساء. ومنه: الأمرد.»[4]

7. القول بالاستقلال في الكلام أولى من التقدير

قد يختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فمنهم من يرى افتقار الكلام إلى تقدير محذوف، ومنهم من يرى عدم احتياجه إلى ذلك التقدير، والمعنى مستقيم بدونه، فيُقدم حمل الكلام على الاستقلال موافقة للأصل.[5]

ومما جاء في التفاسير المغاربية من تطبيقات لهذه القاعدة نذكر:

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص4407، 4408.

2 . المصدر نفسه: ص4182.

3 . المصدر نفسه: ص4626.

4 . المصدر نفسه: ص4842، 4843.

5 . ينظر في: قواعد الترجيح عند المفسرين: ص421.

1. عند قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾[السجدة: 23] ذكر الإمام مكي فيها عدة أقوال تفسيرية، ومن بينها أنّ في الآية حذف، والتقدير: " ولقد آتينا موسى الكتاب، فأوذي وكُذب فلا تكن في شك يا محمد من أنه سيلقاك مثل ما لقيه موسى من التكذيب والأذى."[1]

ولكنه اعتمد على هذه القاعدة ولم يقل بالتقدير، بل فسّرها بعود الضمير فيها على موسى عليه السلام، فقد قال: « أي: في شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة الإسراء، قاله قتادة.

وبذلك أتى الخبر عن النبي ﷺ أنه لقيه ليلة الإسراء.»[2]

وهكذا اعتمد المفسرون المغاربة اعتمادا واضحا على قواعد التفسير، والتي تراوحت بين القواعد العامة التي كان اعتمادهم عليها ابتداء، أو القواعد الترجيحية، والتي اعتمدوا عليها في الترجيح بين الأقوال التفسيرية تارة، وفي رد الأقوال الخاطئة أو الباطلة تارة أخرى، مما أضفى على تفاسيرهم صبغة خاصة بهم، وتميزا، كما أن قواعد التفسير كانت مستمدة من شتى أنواع العلوم التي كانوا على اطلاع وإلمام بها، فكانت تفاسيرهم عظيمة جليلة، استفاد منها العديد مِمَّن جاء بعدهم، وأشاد بها الكثير من العلماء.

1 . الهداية إلى بلوغ النهاية: ص5770.

2 . المصدر نفسه: ص5768.

الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم ويسّر وأعان على إتمام هذه الدراسة، والتي تركّزت على التفاسير المغاربية في القرون الهجرية الخمس الأولى، وأصول التفسير التي بُنيت عليها، ومن أهمّ النتائج التي يمكن الوقوف عليها نذكر:

1. إنّ اهتمام المغاربة بالقرآن الكريم ومختلف العلوم المتعلقة به كان بليغا، وكان هذا مع بدايات الفتح الإسلامي على يد عدد من الصحابة ﷺ، وإن لم يبرز دورهم بشكل واضح نظرا لكثرة ارتدادات المغاربة وعدم استقرار الوضع، بينما كان الدور فعّالا للتابعين وخاصة بعد تشييد القيروان، التي أصبحت العاصمة العلمية للمغرب العربي، وبتدعمها ببعثة عمر بن عبد العزيز زاد رسوخ علوم الدين وخاصة التفسير.
2. أنّ المغاربة خاضوا صراعات شديدة مع التيارات المذهبية المختلفة، وكانت لهم اليد الطولى في الذبّ عن القرآن الكريم من التحريفات والتأويلات الخاطئة والباطلة، وعن السنة النبويّة المطهّرة، وصحابة رسول الله ﷺ.
3. تميّز التفسير في المغرب العربي بتعدد اتجاهاته وتنوعها، وقد كان لهم الفضل في إرساء المنهج الجامع أو الاتجاه الأثري النظري، وبفضلهم عاد التفسير بالرأي إلى الواجهة، وصار يتماشى مع التفسير بالأثر جنبا إلى جنب لا يتخلى أحدهما عن الآخر.
4. أنّ المكانة التي حظيت بها التفاسير المغاربية ليست من ضرب الصُّدَف، بل لاعتماد مفسّري بلاد الغرب الإسلامي على أصول متينة ورصينة في التفسير، جنّبتهم الوقوع في الزلل.
5. أنّ أصول التفسير عبارة عن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، وبيان معانيه، والتمييز بين الحق والباطل من الأقاويل، والتنبيه على الدليل الفاصل بينها. فتتمحور وظيفة أصول التفسير في البيان والترجيح والنقد والتقويم.
6. أنّ نشأة أصول التفسير سارت وفق مسارَيْن متفاوتيْن من حيث الظهور والتطور، وهما المسار التطبيقي العملي، والذي كان منذ بداية التفسير على يد النبيّ ﷺ، والمسار النظري العلمي، والذي كانت بدايته في القرن الثامن للهجرة على يد الإمام ابن تيمية بتأليفه للمقدمة.
7. أهمّ مرتكزات أصول التفسير هي: العلوم التي يحتاج إليها المفسّر، أو ما اصطلح عليه باستمداد التفسير، طرق التفسير، وقواعد التفسير.
8. للمفسّرين المغاربة دور في إرساء أصل استمداد التفسير على يد الإمام يحي بن سلام، كما كان له قدم السبق في وضع الاعتبار الزمني للتمييز بين المكي والمدني من القرآن الكريم.

9. لأصول التفسير علاقة وطيدة بكل العلوم، كالتفاسير السابقة، والحديث وعلومه، واللغة وعلومها، والفقه وأصوله، وخاصة علوم القرآن، فهي جزء منها، كما لعلوم القرآن دور هام في العملية التفسيرية، وخاصة أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وغيرها من العلوم التي تمكّن المفسّرين في استدرار معاني القرآن الكريم، وكذا الردّ على التفسيرات الباطلة المبنية على اتّباع الهوى والمذاهب الفاسدة.

10. إنّ من أهمّ طرق التفسير التي اعتمد عليها المفسّرون المغاربة، تفسير القرآن بالقرآن، هذه الطريقة التي استعملها النبيّ ﷺ، فأكسبها الجانب التأصيلي، وجعلها منهجا تفسيريا سار عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولهذا اعتمدها المفسرون وتتابعوا عليها، فتجد تفسير القرآن بالقرآن سمة بارزة في تفاسيرهم سواء بنقل الروايات المأثورة عن السلف، أو بقيامهم بهذه المهمة من قبل أنفسهم، فاحتفاء المفسرين المغاربية بالقرآن الكريم كان قويا ودقيقا وشاملا، فتقريبا لا تمرّ آية من آيات القرآن الكريم إلا وتجد التفسير بالقرآن حاضرا.

11. ومن أهمّ طرق التفسير التي عُني بها المفسّرون المغاربة أيضا، التفسير بالسنة النبويّة المطهّرة، فالرسول ﷺ هو المبيّن الأول للقرآن الكريم، والمعصوم من الخطأ والزلل، والكل متفق على مدى أهمية الرجوع لها في التفسير، إذ إنّها ثاني مصادر التشريع، وثاني ركائز الدين الإسلامي، ولا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال. فالسنة النبويّة بعمومها ـ القولية والفعلية والتقريرية ـ تعتبر بيانا للقرآن الكريم، ولا غِنى للمفسر عن النظر فيها وفي سيرته ﷺ، وما فيها من التطبيق العملي للقرآن الكريم.

12. ومن أهمّ طرق التفسير كذلك، والتي اهتمّ بها المفسّرون المغاربة التفسير بأقوال الصحابة والتابعين، فلا بد لكل مَن يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى أن يكون مطلعا على ما أُثر من تفاسير سابقة، والأولى بالاطلاع ما ورد عن الصحابة والتابعين، وخاصة إن كان من المأثور الذي لا مجال للاجتهاد معه، فتفسير السلف الصالح من أحسن طرق التفسير مع التفسير بالقرآن، والسنة، وقد اهتم المفسرون المغاربة بأقوال السلف الصالح اهتماما بالغا، وجعلوا منها ركيزة لتفسيرهم مع القرآن والسُّنة، فما من آية من الكتاب العزيز إلا وتجد لأقوالهم حضورا عند تفسيرها.

13. أمّا التفسير باللغة فكلّ المفسّرون يؤكدون على أهمية الرجوع للغة والاستفادة منها في تفسير الكتاب العزيز، وقد وقع بين العلماء ما يمكن اعتباره إجماعا على اعتبارها مرجعا أصيلا في

التفسير، ولا غنى عنها في الكشف عن معاني القرآن والوقف على سر جماله ومناط إعجازه، ولذا تجد المفسّرين المغاربة حريصين كل الحرص على التفسير باللغة، واستغلال مختلف المباحث اللغوية في بيان المعاني القرآنية، والردّ على التأويلات الخاطئة، فالرجوع للغة العربية في التفسير يعتبر سد منيع ضد المتأوّلة وغلاة الباطنية، والمتطرفين من المتصوّفة أصحاب الرمز الذين أغربوا وانحرفوا عن السياق القرآني الواضح، كما يتبّن بها خطأ الذين يحاولون تحميل نصوص القرآن ما لا يحتمله من دلالات على المكتشفات العلمية الحديثة التي لا استقرار لها.

14. إنّ أهمّ المرتكزات في أصول التفسير قواعد التفسير، والمفسرون المغاربة اعتمدوا عليها اعتمادا واضحا، والتي تراوحت بين القواعد العامة التي كان اعتمادهم عليها ابتداء، أو القواعد الترجيحية، والتي اعتمدوا عليها في الترجيح بين الأقوال التفسيرية تارة، وفي رد الأقوال الخاطئة أو الباطلة تارة أخرى، مما أضفى على تفاسيرهم صبغة خاصة بهم، وتميزا، كما أن قواعد التفسير كانت مستمدة من شتى أنواع العلوم التي كانوا على اطلاع وإلمام بها، فكانت تفاسيرهم عظيمة جليلة، استفاد منها العديد مِمَّن جاء بعدهم، وأشاد بها كثير من العلماء.

ومن أهمّ التوصيات التي نوصي بها:

- . زيادة الاهتمام بأصول التفسير تدريسا، وبحثا، وذلك بتكليف الطلبة بدراسة أصول التفسير في أحد التفاسير.
- . ندعو لتكاتف الجهود بتخصيص هيئات أو ورشات لدراسة أصول التفسير، وخاصة قواعد التفسير التي لا يسعها الجهد الفردي لاستنباطها من التفاسير.

هذا ولله الحمد أولا وآخرا على ما يسّر وأعان من عمل، فما كان فيه من صواب فمن فضل الله سبحانه وتعالى وكرمه، وما كان فيه من زلل فمن نفسي ومن الشيطان، والعفو والقبول نرجو من الحنّان المنّان، وأن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات، والشكر موصول للمشرف المتفان، وكل من ساندنا ولو باللسان اللاهج بالدعوات، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾	[127]	194-173
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾	[236،237]	88
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾	[237]	167
آل عمران		
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	[110]	136
النساء		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	[82]	124
المائدة		
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	[3]	91
الأنعام		
﴿ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾	[31]	96
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	[82]	54
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾	[146]	182-92
الأعراف		
﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾	[41]	126
الأنفال		
﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	[32]	141

التوبة		
﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾	[29]	87
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	[113]	87-86
يونس		
﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾	[24]	141
هود		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾	[40]	141
﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾	[87]	161
﴿ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾	[118]	128
يوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	[2]	150
﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾	[82]	161
الرعد		
﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾	[02]	126
﴿ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾	[31]	128
إبراهيم		
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	[24]	47
الحجر		
﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾	[5]	47
﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾	[18]	126
﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾	[41]	194
النحل		
﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾	[1]	140
﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	[3]	187

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾	[4]	185
﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ ﴾	[8]	159
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞ ﴾	[9]	194
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	[10]	158
﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾	[14]	158
﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾	[15]	159
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	[24]	101
﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾	[25]	132
﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴾	[26]	165
﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	[32]	173
﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	[35]	161
﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	[38]	183
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾	[41]	93
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	[44]	129
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾	[48]	160
﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾	[52]	156
﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴾	[62]	96
﴿ مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾	[66]	104

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	[67]	164
﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا ﴾	[69]	80
﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ ﴾	[77]	160
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾	[43،44]	156
﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	[98]	105
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	[106]	85
﴿ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	[110]	83
﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾	[111]	29
﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ ﴾	[112-113]	183
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾	[118]	182
﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ ﴾	[120]	196
﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾	[126]	196
الإسراء		
﴿ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾	[1]	177
﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	[2]	190
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ ﴾	[3]	155
﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾	[7]	
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾	[9]	128
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ﴾	[23]	80

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾	[24]	186-87
﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾	[25]	198
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾	[29]	127
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ﴾	[31]	80
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾	[32]	80
﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾	[33]	107
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	[34]	165
﴿ وَلَا تَقۡفُ ﴾	[36]	80
﴿ وَلَا تَمۡشِ ﴾	[37]	80
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾	[57]	137
﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	[59]	99
﴿ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾	[70]	171
﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾	[72]	171
﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	[76]	172
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾	[78]	105
﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾	[79]	157
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ ﴾	[80]	180
﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾	[102]	193
﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾	[110]	187
الكهف		
﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزٗا ﴾	[8]	166
﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾	[11]	169

﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	[16]	96
﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾	[18]	141
﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ ﴾	[19]	149
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	[24]	106
﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾	[29]	126
﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾	[47]	180
﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾	[52]	197
﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾	[61]	184
﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾	[69]	170
مريم		
﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾	[1]	104
﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾	[2]	104
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	[59]	81
طه		
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	[05]	127
﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	[12]	106
﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾	[13،14]	21
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾	[132]	166
﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾	[134]	165
﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾	[135]	165
﴿ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	[14]	21
﴿ وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾	[18]	198
﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾	[40]	161
﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾	[61]	160

الأنبياء		
﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	[7]	189
﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	[10]	141
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾	[78]	157
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	[87]	171
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	[88]	181
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾	[94]	192
﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	[95]	188
الحج		
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾	[2]	191-179
﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾	[3]	198
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾	[5]	168
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	[18]	179
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾	[25]	100
﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	[25]	178
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾	[28]	139
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾	[34]	97
﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾	[36]	108
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾	[40]	191
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾	[45]	161

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾	[52]	92
﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ﴾	[55]	92
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾	[57]	154
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾	[73]	102
الحجرات		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾	[4]	127
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	[13]	91
المؤمنون		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾	[10]	134
﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	[11]	153
﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ ﴾	[14]	134
﴿ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ ﴾	[19]	170
﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾	[65]	172
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	[101]	195
﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي ﴾	[110]	189
النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾	[2]	88
﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡ ﴾	[29]	170
﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا ﴾	[31]	137
﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ ﴾	[32]	157
﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا ﴾	[33]	185
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾	[35]	155

﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾	[36]	172
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾	[39]	155
﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡ ﴾	[54]	160
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ ﴾	[58]	107
﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾	[63]	127
﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾	[63]	192
الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	[1]	154
﴿ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾	[13]	193
﴿ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	[23]	154
﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾	[33]	48
﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	[36]	184
﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴾	[48]	133
﴿ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾	[52]	92
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾	[63]	154
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾	[67]	127
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	[68]	93
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾	[70]	89
﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾	[72]	158
الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾	[192-195]	150
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾	[214]	83

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾	[227]	89
النمل		
﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾	[3]	189
﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾	[60]	156
﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾	[66]	190
القصص		
﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾	[28]	148
﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	[55]	89
﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾	[56]	85
﴿ رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾	[59]	183
﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾	[77]	78
﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ ﴾	[85]	94
العنكبوت		
﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾	[2-1]	83
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾	[46]	165
﴿ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	[54]	126
﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ ﴾	[55]	126
﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	[56]	139
﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾	[68]	162
الروم		
﴿ وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾	[7]	189
﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾	[18-17]	165

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾	[32]	170
﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ﴾	[49]	126
﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ﴾	[49]	189
لقمان		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾	[6]	84
﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾	[13]	54
﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾	[18]	157
السجدة		
﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾	[13]	128
﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	[17]	132
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾	[23]	199
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾	[27]	166
الأحزاب		
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾	[4]	84
﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾	[5]	100
﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾	[6]	135
﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾	[15]	86
﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾	[19]	158
﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾	[23]	86
﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	[31]	166
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	[33]	97
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾	[36]	99

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾	[49]	167
﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾	[53]	85
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ ﴾	[55]	194
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾	[56]	163
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾	[59]	100
﴿ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾	[66]	154
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾	[69]	147
سبأ		
﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	[39]	138
فاطر		
﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾	[22-19]	156
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	[28]	168-127
يس		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾	[12]	114
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾	[29]	98
﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	[30]	155
﴿ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾	[62]	162
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾	[77]	94

الصافات		
﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾	[10]	126
﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾	[11]	154
﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾	[62]	84
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾	[63]	84
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	[65-64]	84
﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾	[68-67]	84
﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	[137،138]	165
﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾	[141]	168
﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾	[143]	128
ص		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	[29]	124
﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾	[46]	141
الزمر		
﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾	[16]	126
الشورى		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾	[28]	126
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾	[30]	29
﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾	[34]	198
الزخرف		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾	[44]	141
الذاريات		
﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾	[57]	166
النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	[3،4]	129
الرحمن		
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	[22]	184

الواقعة		
﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾	[6]	154
الحشر		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾	[7]	129
الجمعة		
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾	[5]	127
القلم		
﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾	[17]	128
﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾	[28]	128
القيامة		
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	[22،23]	21
عبس		
﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾	[31]	151
الفجر		
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾	[14]	194
العصر		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى ﴾	[2]	108
المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾	[1]	84

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم	195
اسم الله جلّ وعزّ الذي إذا دُعي به أجاب	182
أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة	164
إنّ أحدكم يجمع خلقه	134
إن الله تبارك وتعالى قال: أعددت لعبادي	133
أن رسول الله ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين	132
أنا أولى بكل مؤمن من نفسه	79
أيما داع دعا إلى هدى فاتُّبِعَ	132
بلِّغوا عنى ولو آية	144
خير أمتي قرني	136
فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد	133
فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي	181
قولوا: اللهم صل على محمد	163
كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ	195
لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب	143
لولا ذلك لأحرقت	128
ليس كما تظنون، إنما هو	54
ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به	135
ما منكم أحد إلا له منزلان	134
من قال في القرآن بغير علم	110-62
من نسي الصلاة عليّ فقد خطئ	164
من نسي صلاةً	133
هو الطهور ماؤه	134
وما يمنعني يا أبا طلحة، وإنما صدر جبريل من عندي	163
يوشك أن يضرب الناس	25

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (الشاطبي)	69
أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن	42
أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي	82
أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي	58
أبو الحسن علي بن زياد	19
أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي	58
أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني	50
أبو العباس أحمد بن علي الباغائي	31
أبو القاسم محمد بن أحمد (ابن جزي الكلبي)	39
أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان	39
أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	19
أبو أيمن سفيان بن وهب	13
أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي	79
أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد	42
أبو جعفر عبد الله بن محمد البخاري	81
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	34
أبو جعفر هارون الرشيد	20
أبو جهم عبد الرحمن بن رافع	16
أبو حفص عمر بن عبد العزيز	16
أبو حنيفة النعمان بن محمد	24
أبو خالد يزيد بن حاتم	18
أبو رشيد حنش بن عبد الله	15

أبو زكريا يحيى بن سلام	27
أبو سعيد سحنون بن سعيد	21
أبو سعيد كيسان المقبري	15
أبو عبد الحميد إسماعيل بن أبي المهاجر	16
أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد	22
أبو عبد الرحمن موسى بن نصير	14
أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم (ولي الله الدهلوي)	60
أبو عبد الله أسد بن الفرات	19
أبو عبد الله سفيان بن سعيد	17
أبو عبد الله مالك بن أنس	19
أبو عبد الله محمد بن أحمد (ابن عقيلة المكيّ)	65
أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي	58
أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي	65
أبو عبد الله محمد بن سحنون	22
أبو عبد الله محمد بن سليمان الكافيجي	60
أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ابن أبي زمنين)	36
أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الله المري	34
أبو عمرو زبان بن العلاء البصري	96
أبو كريب جميل بن كريب	18
أبو محمد بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي	81
أبو محمد عيسى بن مسكين	22
أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي	32
أبو مسعود سعد بن مسعود	16
أبو موسى علي بن رباح	15

أبو نعيم معاوية بن حديج	11
أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح	10
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم	16
عبد الله بن فروخ	19
عقبة بن نافع	12
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح	34
محمد بن مقاتل بن حكيم العكي	19
محمد بن يحيى بن سلام	22
هود بن محكم	30

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**: مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عاصم

كتب الحديث

1. الجامع الكبير(سنن الترمذي): محمد بن عيسى الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون طبعة، 1998م.
2. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.
3. السنن الصغرى: أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.
4. صحيح ابن حبان: ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ/1993م.
5. صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تح: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، دون بلد، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2003م.
6. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دون بلد، الطبعة الأولى، 1422هـ.
7. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
8. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تح: عبد الرحمن بن ناصر البراك وأبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.
9. المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م.

10. مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إش: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ/2001م.

11. موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، 1406هـ/1985م.

التفاسير

1. أحكام القرآن: أحمد بن علي الباغائي، تح: محمد شايب شريف، دار بن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1440هـ/2019م.

2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1426هـ.

3. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د ط، 1420هـ.

4. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دون طبعة، 1984م.

5. التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ.

6. تفسير ابن أبي زمنين (تفسير القرآن العزيز): ابن أبي زمنين، تح: حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

7. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م.

8. تفسير هود بن محكم (تفسير كتاب الله العزيز): هود بن محكم، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

9. تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام، تح: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

10. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دون طبعة، 1423هـ/2003م.

11. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

12. الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب، تح: مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.

كتب علوم القرآن

1. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426هـ.

2. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد البناء، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثالثة، 1427هـ/2006م.

3. أسباب النزول: الواحدي، تح: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام/السعودية، الطبعة الثانية، 1412هـ/1992م.

4. الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

5. أصول التفسير في المؤلَّفات (دراسة وصفية موازنة بين المؤلفات المسمّاة بـ " أصول التفسير"): وحدة أصول التفسير، إش: مساعد الطيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الأولى، 1437هـ/2015م.

6. أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.

7. الإكسير في علم التفسير: سليمان بن عبد القوي الطوفي: تح: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، لبنان، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.

8. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، دون بلد، دون طبعة، 1419هـ.

9. بحوث في أصول التفسير: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

10. البرهان في علوم القرآن: محمد عبد الله الزركشي، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

11. التحرير في أصول التفسير: مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الثانية، 1438هـ/2017م.

12. تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير(مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل): أبو الحسن الحرالي، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

13. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صالح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 2008م.

14. تفاسير آيات الأحكام ومناهجهم: علي بن سليمان العبيد، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

15. التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري: فهد الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط: 1، 1417هـ/1997م.

16. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الثانية، 1430هـ/2010م.

17. تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم: محسن بن حامد المطيري، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

18. التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، دون بلد، دون طبعة، دون تاريخ.

19. التفسير النبوي مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح: خالد بن عبد العزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

20. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث: فضل حسن عبَّاس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م.

21. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، دون طبعة، 2000م.

22. التفسير ورجاله: محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث العلمية، دون بلد، دون طبعة، 1390هـ/1970م.

23. التيسير في أصول واتجاهات التفسير: عماد علي عبد السميع، دار الإيمان، الإسكندرية، دون طبعة، 2006م.

24. الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي، تح: مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006م.

25. علم أصول التفسير محاولة في البناء: عمر بن حمّاد، دار السلام، القاهرة/ مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، فاس، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

26. فصول في أصول التفسير: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثالثة، 1420هـ/1999م.

27. القراءات بإفريقية(من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري): هند شلبي، الدار العربية للكتاب، دون بلد، دون طبعة، 1983م.

28. قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة تأصيلية تطبيقية: عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م.

29. قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.

30. قواعد التفسير جمعا ودراسة: خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، دون بلد، الطبعة الأولى، 1421هـ.

31. قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري: مسعود الركيتي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

32. مباحث في علوم القرآن: منّاع القطّان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، دون تاريخ.
33. معجم علوم القرآن: محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م.
34. مفاتيح التفسير: أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.
35. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، 1427هـ.
36. مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، تح: عدنان زرزور، الطبعة الثانية، 1392هـ/1972م.
37. مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطيعة الأولى، 1418هـ/1997م.
38. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.
39. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.
40. نشأة التفسير بتونس: وسيلة بلعيد، مجلة جامعة الزيتونة، تونس، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.
41. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

المعاجم اللغوية

1. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، دون بلد، دون طبعة، دون تاريخ.
2. التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، دون طبعة، 1985م.
3. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م.

4. لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

5. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دون طبعة، 1399هـ/1979م.

6. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

كتب التراجم والتعريف بالأعلام

1. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م.

2. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

3. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، دون بلد، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.

4. إنباه الرواة على أنباه النحاة: أبو الحسن علي القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة/ ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1982م.

5. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

6. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، تح: بشار عواد معروف وآخر، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م.

7. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أبو عبد الله الذهبي، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.

8. تاريخ علماء الأندلس: ابن الفرضي عبد الله بن محمد، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م.

9. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.

10. ترتيب المدارك وتقريب المسالك(الأجزاء: 2، 3، 4): القاضي عياض، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، الطبعة الأولى، 1966- 1970م.

11. ترتيب المدارك وتقريب المسالك (الأجزاء: 6، 7، 8): القاضي عياض، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى، 1981- 1983م.

12. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، دون بلد، الطبعة الأولى، 1426هـ.

13. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

14. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، 1387هـ/1967م.

15. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي العسقلاني، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد/ الهند، دون طبعة، 1392هـ/1972م.

16. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون(ت 799هـ)، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

17. ديوان الإسلام: شمس الدين أبو المعالي محمد(ت1167هـ)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م.

18. رياض النفوس قي طبقات علماء القيروان وإفريقية: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م.

19. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م.

20. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ابن سالم مخلوف (ت 1360هـ)، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424هـ/2003م.

21. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ابن بشكوال، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1374هـ/1955م.

22. طبقات المفسرين للداوودي: محمد بن علي الداوودي، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

23. طبقات المفسرين للسيوطي (طبقات المفسرين العشرين): جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ.

24. طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس: أبو العرب محمد بن أحمد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

25. غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، تح: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.

26. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد الدباغ، تص: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، 1388هـ/1968م.

27. معجم أعلام الجزائِر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر): عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م.

28. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1993م.

29. معجم المؤلفين: عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

30. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

31. معرفة الصحابة: ابن منده، تح: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

32. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، لطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

33. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن الأنباري، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م.

34. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، دون طبعة، 1420هـ/2000م.

35. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.

كتب متنوعة

1. مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري: الحسين بن محمد شواط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، 1411هـ.

2. مصادر السيرة النبوية وتقويمها: فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2002م.

3. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.

4. الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، تح: عبد الله دراز وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير والمقالات

1. الاتجاه الإصلاحي من خلال التفسير دراسة مقارنة بين الإمامين ابن باديس والنورسي (رسالة ماجستير): نور الدين لعموري، إش: عبد المجيد بيرم، جامعة الجزائر 1/كلية العلوم الإسلامية (قسم العقائد والأديان، تخصص كتاب وسنة)، 2014/2013م.

2. أصول التفسير عند عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم دراسة تحليلية (أطروحة دكتوراه): أندري نيروانا الأندونيسي، إش: الشيخ بن جمعة سهل، جامعة أم درمان الإسلامية (معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي)، السودان، 2012هـ.

3. أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير (مقال): سلمى داود إبراهيم بن داود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: 53، رمضان 1432هـ.

4. أصول التفسير وأسباب الاختلاف عند المفسرين (أطروحة دكتوراه): إبراهيم عبد الله زايد، إش: أحمد خالد بابكر، جامعة أم درمان (كلية الدراسات العليا)، السودان، 2006م.

5. أصول التفسير وعلاقته بأصول الفقه(مقال): مختار عمر الشنقيطي وزكي البشايرة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد: 1، العدد: 34، 2017م، الصفحات: 699- 752.

6. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (مقال): أحمد بن محمد البريدي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد: 2، ذوالحجة 1427هـ، الصفحات: 12- 68.

7. التفسير بالمأثور مفهومه وأنواعه وقواعده: محمد بن عمر بازمول، .www.pdffactory.com

8. التفسير واتجاهاته بإفريقية من النشأة إلى القرن الثامن الهجري (أطروحة دكتوراه): وسيلة بلعيد، إش: عبد الحميد محمد المنيف، جامعة تونس، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، تونس، 1987م.

9. جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم (مقال): مساعد الطيار، المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه (جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع والرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المجلد: 3، أبريل/ جمادى الأولى 2011م، الصفحات 1577-1637.

10. جهود العلماء المتقدمين والمتأخرين في بناء أصول التفسير دراسة مقارنة (أطروحة دكتوراه): عباس عبد الله عباس بابكر، إش: عمر يوسف حمزة، جامعة أم درمان الإسلامية/ كلية الدراسات العليا(كلية أصول الدين: قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم)، السودان، 1439هـ/2018م.

11. جهود العلماء في أصول تفسير القرآن الكريم (مقال): حامد بن يعقوب بن يوسف الفريح، المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه (جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم

وعلومه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع والرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المجلد: 4، أبريل/ جمادى الأولى 2011م، الصفحات 1639- 1700.

12. جهود المغاربة في الانتصار للنص القرآني (مقال): محمد عبد الحليم بيشي، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود (كرسي القرآن الكريم وعلومه)، المملكة العربية السعودية، 1434/4/6هـ- 2013/2/16م.

13. جهود المفسرين المغاربة في تناول الدرس البلاغي من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري (أطروحة دكتوراه): عبد الرحيم ثابت، إش: رابح دوب، جامعة الأمير عيد القادر للعلوم الإسلامية/ كلية أصول الدين (قسم الكتاب والسنة)، قسنطينة، 2017م.

14. جهود علماء المغرب العربي في تفسير القرآن الكريم من الفتح الإسلامي حتى العصر الحديث(أطروحة دكتوراه): عبد الشكور محمد سعيد فكة، إش: مبارك محمد أحمد رحمة، جامعة أم درمان الإسلامية/ كلية الدراسات العليا، كلية أصول الدين(قسم التفسير وعلوم القرآن)، السودان، 1433هـ/2012م.

15. ضوابط التفسير عند عبد الرحمن حبنكه الميداني (مقال): أسماء عبد الرحمن زعيتر ونصار أسعد نصار، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد: 14، العدد: 1، رمضان1438هـ/يونيو2017م.

16. علم أصول التفسير (مقال): البويسفي محمد، المؤتمر الدولي القرآني الأول (توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة)، جامعة الملك خالد (كلية الشريعة وأصول الدين)، المجلد: 4، 2016هـ، الصفحات 4242- 4282.

17. قراءة في أصول التفسير وقواعده (مقال): محمد السيسي، ندوة مناهج الاستمداد من الوحي، الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، الرباط، مارس 2008م، الصفحات 555- 567.

18. القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل أسس منهج القدماء لاستخراج المعنى القرآني (رسالة ماجستير): جوهري فضيلة، إش: مغراوي محمود، جامعة الجزائر 1 (كلية العلوم الإسلامية)، 2008م.

19. قواعد التفسير: النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرى (مقال): عبد الرحمن حللي، مجلة التفاهم، العدد: 45، 2014م.

20. منهج الإمام مكي بن أبي طالب في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية (أطروحة دكتوراه): عبد العزيز ناصري، إش: خير الدين سيب، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان/كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية(قسم العلوم الإسلامية/ تخصص التفسير وعلوم القرآن)، الجزائر، 2015-2016م.

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة.....

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: نشأة التفسير المغاربي واتجاهاته

المبحث الأول: نشأة التفسير في بلاد المغرب العربي وتطوره 10

المطلب الأول: التفسير مع الفتح الإسلامي..... 10

المطلب الثاني: التفسير في عهد الولاة (96 هـ – 184 هـ) 16

المطلب الثالث: التفسير في عهد الأغالبة والأدارسة 20

المطلب الرابع: التفسير في عهد الشيعة الإسماعيلية (296 – 362 هـ) وما بعده 23

المبحث الثاني: المؤلّفات التفسيرية المغاربية وترجمة مفسّري الدراسة..... 27

المطلب الأول: تفسير يحيى بن سلام..... 27

المطلب الثاني: أحكام القرآن..... 31

المطلب الثالث: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية..... 32

المبحث الثالث: اتجاهات التفسير في بلاد المغرب العربي..... 35

المطلب الأول: الاتجاه الأثري..... 35

المطلب الثاني: الاتجاه اللغوي 38

المطلب الثالث: الاتجاه الفقهي..... 40

الفصل الأول: التعريف بأصول التفسير

المبحث الأول: تعريف أصول التفسير وأهميته 47

المطلب الأول: تعريف أصول التفسير..... 47

الفرع الأول: تعريف الأصول..... 47

الفرع الثاني: تعريف التفسير 47

الفرع الثالث: تعريف أصول التفسير:..... 50

المطلب الثاني: أهمية أصول التفسير والغاية منها 52

المبحث الثاني: نشأة وتطور أصول التفسير..... 54
المطلب الأول: المسار التطبيقي العملي..... 54
الفرع الأول: أصول التفسير من التفسير النبوي 54
الفرع الثاني: أصول التفسير من تفسير الصحابة والتابعين:..... 55
الفرع الثالث: أصول التفسير من كتب التفسير: 56
المطلب الثاني: المسار النظري العلمي:..... 57
المطلب الثالث: علاقة أصول التفسير بالعلوم الأخرى من حيث النشأة..... 62
الفرع الأول: علاقته بالتفسير أو مقدمات التفاسير..... 62
الفرع الثاني: علاقته بعلوم القرآن..... 65
الفرع الثالث: علاقته بعلوم الحديث..... 68
الفرع الرابع: علاقته بعلوم اللغة..... 69
الفرع الخامس: علاقته بأصول الفقه..... 70
المبحث الثالث: موضوعات أصول التفسير 73

الفصل الثاني: استمداد التفسير وأنواعه عند المفسرين المغاربة

المبحث الأول: استمداد التفسير عند المفسرين المغاربة..... 76
المطلب الأول: المصنّفات في التفسير..... 78
المطلب الثاني: علوم القرآن..... 82
الفرع الأول: أسباب النزول..... 82
الفرع الثاني: الناسخ والمنسوخ..... 87
الفرع الثالث: المكي والمدني..... 90
الفرع الرابع: القراءات 95
المطلب الثالث: علوم الحديث والسيرة النبوية: 98
المطلب الرابع: علوم اللغة..... 103
المطلب الخامس: الفقه وأصوله..... 105
المبحث الثاني: أنواع التفسير عند المفسرين المغاربة 110

المطلب الأول: التفسير بالرأي: 112
الفرع الأول: تعريف التفسير بالرأي وأنواعه..... 112
الفرع الثاني: الاختلاف في التفسير بالرأي بين الجواز والمنع 113
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور 114
الفرع الأول: تعريف التفسير بالمأثور 114
الفرع الثاني: أنواع التفسير بالمأثور 118
الفرع الثالث: قيمة التفسير بالمأثور وأهميته..... 119

الفصل الثالث: طرق التفسير وقواعده عند المفسرين المغاربة

المبحث الأول: طرق التفسير عند المفسرين المغاربة 122
المطلب الأول: التفسير بالقرآن..... 122
الفرع الأول: المراد من التفسير بالقرآن وأهميته..... 123
الفرع الثاني: أوجه تفسير القرآن بالقرآن..... 124
الفرع الثالث: التفسير بالقرآن عند المفسرين المغاربة..... 125
المطلب الثاني: التفسير بالسنة النّبوية..... 129
الفرع الأول: التفسير النبويّ وأهميته..... 129
الفرع الثاني: المفسرون المغاربة والتفسير بالسنة النبوية المطهرة 132
المطلب الثالث: التفسير بأقوال الصحابة والتابعين. 135
الفرع الأول: أهميّة تفسير الصحابة والتابعين..... 135
الفرع الثاني: المفسرون المغاربة وأقوال الصحابة والتابعين..... 137
الفرع الثالث: الإسرائيليات في تفسير المغاربة..... 142
المطلب الرابع: التفسير باللغة..... 150
الفرع الأول: المراد من التفسير باللغة وأهميته..... 150
الفرع الثاني: عناية المفسرين المغاربة بالمباحث اللغوية 153
المطلب الخامس: التفسير بالاجتهاد..... 162
الفرع الأول: اجتهادات يحيى بن سلام..... 163

الفرع الثاني: اجتهادات أبي العباس الباغائي..... 167
الفرع الثالث: اجتهادات مكي بن أبي طالب..... 169
المبحث الثاني: قواعد التفسير عند المفسرين المغاربة..... 173
المطلب الأول: التعرف بقواعد التفسير..... 173
الفرع الأول: تعريف قواعد التفسير..... 173
الفرع الثاني: أنواع قواعد التفسير..... 175
المطلب الثاني: قواعد التفسير العامة عند المفسرين المغاربة..... 178
المطلب الثالث: قواعد التفسير الترجيحية عند المفسرين المغاربة..... 193
1. التفسير الذي يؤيده آي القرآن أولى من غيره..... 193
2. القول الذي يؤيده السياق القرآني مرجح على غيره..... 194
3. إذا ثبت الحديث النبوي وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره.
..... 195
4. إذا صح سبب النزول فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير..... 196
5. قول الأكثر من الصحابة والتابعين أو المجمع عليه مرجَّح على غيره.... 196
6. القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية..... 197
7. القول بالاستقلال في الكلام أولى من التقدير..... 198
الخاتمة..... **200**
الفهارس العامة..... **204**
فهرس الآيات..... 205
فهرس الأحاديث..... 219
فهرس الأعلام..... 220
قائمة المصادر والمراجع..... 223
فهرس المحتويات..... 236